

مصطفى محمود

اعترافات عشاق

الطبعة الرابعة



دار المعارف

هذا الكتاب من تأليف الآخرين وليس من
تألفي.

لقد تركت مقعد المتكلم واكتفيت بأن أكون
مستمعاً وأعطيت الميكروفون لكل من يريد أن يطلق
ضحكة أو يسكب دمة أو يصرخ صرخة.. واكتفيت
بالتعليق.

هنا لقاء طويل تلتقون فيه بكل من عشق وأحب
وتألم.

تلتقون بأنفسكم.. برسائلكم.. وأوراقكم
وحروفكم.

هذا كتاب منكم ولكم.

فيه جيلكم الشاب بأسراره وجروحه وأمراضه
ومباهجه وأحزانه وأفراحه.. وكل شيء فيه.. حتى
تفاهاته.. هو أرشيف صادق لخطاباتكم.

وأغلب ما فيه منقول بالنص من الخطابات
الأصلية، لم أ تدخل بقلمى إلا لمجرد صياغة عبارة أو
استبدال كلمة بكلمة تعبر أكثر عما يريد أن يقوله

المتكلم.. وتجنببت النصح وإلقاء المواعظ، وتحاشيت
فرض الحلول، وآثرت تحليل المشاكل وتعميق
جوانبها وإلقاء الضوء عليها.. بمجرد إلقاء الضوء..
ليصبح صاحب المشكلة أقدر على فهم مشكلته وفهم
نفسه.. وبالتالي أقدر على الاختيار.

وأحياناً يكون مجرد الاعتراف والإفشاء
والمصارحة والمكاشفة.. ولو على الورق.. ولو لإنسان
لا نراه ولا نعرفه.. أحياناً يكون مثل هذا الإفشاء
وإفراغ مكنون القلب، راحة وحلا. ولحظة صراحة
من النفس قد تشفى من داء عضال، تعجز كل الحيل
عن مداواته.

إن كتابة رسالة ليس أبداً أمراً صيائناً.. فالكلمة
شئ ساهر.. وحينما تتجمع عواطفنا الحبيسة، لتخرج
في كلمة على الورق.. فإن سحابة من الراحة تلفنا..
وكأنما انزاحت عن كاهلنا أعباء العالم كله.

ولا أحب أن أطيل.

وأفضل.. أن أقدم لكم.. أنفسكم.

مصطفى محمود

البت والمرأة

١٩ سنة مدللة دلوعة متهشكة على الآخر مع أنها السادسة على خمس أخوات كلهن تزوجن وهى الباقية

بعد ست سنوات تعليم ابتدائى وثلاث أخرى فى الثانوى تكتب اسمها بصعوبة ولا تفتح مجلة ولا تقرأ كتاباً وطول وقتها أمام المرأة تسبب شعرها وترفعه وتضفره وتعقصه وتفكه وتربطه وتحله.. إلخ.. إلخ.. إلخ.

وبعد الشعر يبدأ دور الحواجب.. والملقاط.. تنتف شعرة شعرة فى صبر مقرز حتى يصبح وجهها مثل وجه قرد مسلوخ. ثم الأظافر الطويلة والطلاء بالمانيكير الأحمر الدامى ثم البودرة والروح والريميل.

ثم تحزيق الفستان، ونقل الحزام من مكان إلى مكان، ورفع السوتيان وتقصير الحملات وتطويل الحملات إلخ.. إلخ.. إلخ. هذا غير يوم الحلاوة.. وما أدراك ما الحلاوة.

والفستان غايته شهرين.. ثم يلقى فى قاع الدولاب ويبدأ الحنق على فستان جديد.

وأنا الأخ الغلبان طالب الجامعة إذا طلبت بدلة فتح الأب
المحترم جاعورته وراح يتصايح ويلقى درسًا في أصول الكفاح،
وكيف أن العباقرة كانوا في أيام تلمذتهم يلبسون خيشًا ويذاكرون
على شمعة أو لمبة جاز.

وأعود إلى الست الهانم الأخت.

وهي حرة تلبس وتدهن وتلمع وتورنش وتستعمل الملقاط
والكماشة كما تشاء.. ما دامت تؤدي واجب البيت وتعطيه حقه.
أما أن يكون البيت زربية والغرفات قدرة لا تعرف المكنسة
والعنكبوت مدلى من الأركان والبق سارج على الفرش والأطباق
قدرة والأكواب مدهنة ورائحة البيت تفوح كريهة لحظة أن يفتح
الباب وكأن مقبرة فتحت فإنها مصيبة.

والمصيبة الأكبر أن الهانم نفسها لا تستحم.. لا تدخل الحمام
إلا في المواسم والأعياد.

الكسل.. الكسل.. الكسل.

كسلانة لدرجة الموت وكأن الكسل صفة هوانى وخاصة من
خواص الأنوثة.. تزيد من فتنها وجاذبيتها.

وهي لا تنشط إلا في الرغى والتلقيح على الناس، وصوتها
مرتفع مسرع مزعج من رأس الشارع.. وكلامها كله لت وعجن
والى تقوله تعيده.

كثيرة الأكل وفمها لا يخلوا أبداً من شيء.. لب وسوداني..
حمص.. كرملة.. جيلاتى.. سميط.. مفتقة.. عجة.. سد الحنك..
حلاوة طحينية.

وهى تفتح الثلاجة وتأكل.. لا تسأل لمن الطبق المغطى وإنما
تكشفه وتهشه، فإذا كلمها أحد راحت تنهشه هو الآخر بلسانها
السليط.. وعندها لسان منشار تدخل به فى الكلام فى كل موضوع
وعاملة نفسها «أبو العريف» وتبالغ وتوقع بين الجيران وتوقع
نفسها وتوقعنا فى مشاكل لا آخر لها.

فإذا حاولت أن أنصحها وأصلح من اعوجاجها قامت القيامة
وهبت الأم (٥٥ سنة على نيتها ومدروشة) وراحت تصرخ.. إنت
حاتكون السبب فى أنها تطفش زى ما طفشت فلانة وعلانة..
يا ميلة بختى.. يا دهوقى.. يا حوستى.. يا مصيبتى.

وطبعاً الهانم تسمع الكلام ده تتمرع أكثر وأكثر، والنتيجة أنها
تدخل وتخرج على كيفها وتسهر على كيفها.
وسمعتنا فى الشارع زفت..
كل الناس يتكلمون علينا..

وأنا إذا فتحت فمى انطلقت تصرخ فى وجهى... يا خايب
يا نايب.. يا ساقط.. يا ضايع.. يا ضايع.. اجري شوف لك كلمة
ذاكرها.. اجري اتشطر على كتاب تقراه.

وأنا فعلا ساقط.. بدل السنة سنتين.. وربما أسقط هذه السنة
أيضاً.

ولكن هى السبب.

فكيف يمكن أن أذاكر فى زريبة.

وكيف أفتح كتاباً فى مولد لا ينفذ.

أصبحت سريع الغضب ضعيف الذاكرة بسبب الحياة فى نرفزة
متواصلة.

ولا أمل.. الأم مدروشة.. والأب هتلر.

ولا أحد يريد أن يتفاهم.

وكل ما تفعله البنت سكر.

وكل ما يقوله الولد خايب مثله.

والأب يقول لى بالفم المليان.. إنت آخرتك حاتطلع حرامى

شحات صايع مش نافع.. كل زمايلك فى كلية الحقوق تخرجوا

وأنت قاعد زى المرأة المطلقة.

- طيب وهى حاتطلع إيه فهمونى؟

- إنت مالك يا أخى هى آخرتها حايجيلها عريسها وتنكش

من على قفانا.. إنما أنت راجل.

- نفسى أبقى راجل.. نفسى تخلونى مرة راجل قدامها.

- إحنا إالى حانخليك راجل.. فيه راجل طول بعرض

يسقط كل سنة زى الرطل.. إنت إلى حمار.. حانعملك إيه..
كلام.. كلام زى الدبش. زى السكاكين. زى السم..
وأنا أعيش فى ارتباك..
أختى قتلتنى..
نفسى تحطمت بسببها..
تخلفت فى كل شىء بسببها..
ولا حل أمامى..

المعذب م. م



أنا أفهم أن أختك بنت صايعة وضايعة فعلا..
ولكن لا أفهم كيف تكون هى المسئولة عن خيبتك..
وكيف تلقى على أكتافها مسئولية فشلك..
والرجولة معناها أن تكون مسئولاً أولاً وأخيراً عن أفعالك
وَأَلَّا تقول رسبت فى الامتحان لأن أختى فعلت، لأن أختى
لبست.. لأن أختى قلعت.. أنت لم تخلق هذا العالم لتفرض على
الآخرين شروطك.. قوم نفسك أولاً لتكون قدوة للآخرين قبل
أن تطلب منهم أن يكونوا على مثالك..
ويمكنك أن تبدأ بأن تكنس غرفتك بيدك.. وتغسل أطباقك
بيدك.. وتنظف فراشك بيدك..

إن الزرية زرية لأنك لا تفكر بأن تمد يدك. بأى مساهمة فى
تنظيفها.

وأختك قذرة.. هذا صحيح.

ولكنك لا تفعل أى شىء لتكون نظيفاً.

إن ما تفعله أختك لا يسقط عنك المسؤولية إلا إذا كنت أنت
الآخر صفرًا.. بلا إرادة وبلا عقل وبلا يدين.. كل دورك فى
الحياة أن تنتظر ما تفعله الأخت.

وبالمعنى الواسع نحن لنا إخوة فى الإنسانية قتلة وسفاحون
ولصوص، وبائعو مخدرات وهاتكو أعراض.. فهل نتخذ من هؤلاء
الإخوة عذراً لنلقى المسؤولية عن أكتافنا ونقول رسبنا وفشلنا
بسبب هؤلاء الإخوة.

وأختك نموذج ردىء بلا شك ولكنها نموذج شائع جداً، وكثير
من البنات مثلها لا هم لهن إلا الثوب والمرأة والمشط وانتظار
العريس فهل معنى هذا أن نصاب جميعاً بالعقم والفشل.

لن تكون رجلاً إلا فى اللحظة التى تتصرف فيها باستقلال
كامل عما تفعله أختك وتعتز على شخصيتك الخاصة، وتصنع
مصيرك كما تريد أنت لا كما تتخيلك الهانم وأمها.

الكلب

عمرى ٢٠ سنة وابن أكابر ومن عائلة غنية وشكلى وسيم
كما يقول جميع الأصدقاء..

ساقط فى الثانوية العامة للمرة الثانية.. لم أجد حلاً لهذا
السقوط المتكرر سوى الحرب من وجه الأهل والأقارب ومن
كلمة «ياساقط» طفشت من البيت وأنا مصمم على عدم العودة.
فكرت أن ألتحق بأى عمل وأعتمد على نفسى وأكسب قوتى
وأدخل امتحان هذا العام وأذاكر وأجتهد ولا أعود إلى البيت
إلا ناجحاً.

كان الشيء الوحيد الذى أجيده هو قيادة السيارات.
وعن طريق صديق لى عملت سائقاً لدى عائلة مكونة من
رجل يكاد يكون «أهبل» ويمكن «يستهل» وكان من
الإقطاعيين وسنه فوق ٥٥ سنة وزوجة شابة عمرها حوالى ٣٥
سنة.

كنت على استعداد أن أقبل أى عمل بأى مرتب وحتى بدون

مرتب مقابل المأكل والسكن فقط، ولكنهم أكرموني وأعطوني
ستين جنيهًا كل شهر، وغرفة صغيرة جميلة في حديقة الفيلا (هى
في الواقع قصر) وأكثر من هذا كانت هناك خادمة تأتيني كل يوم
بطعام جيد مرسل إلى من الفيلا.

كنت في غاية السعادة في عمل جميل وعندي فرصة للمذاكرة
وفي جيبي مبلغ اعتبرته ثروة ومصروف سخى يأتيني كل شهر.
وكانت السيدة صاحبة ذلك القصر تطلب مني أن أخرج لها
السيارة كل يوم لتعرفني بالأماكن التي يذهبون إليها فكنت أقود
السيارة وتجلس هي خلفي وتظل طوال الطريق تسألني.. إنت ابن
مين.. وليه سبت أهللك، وإيه نوع دراستك.. وباختصار عرفت
عنّي كل شيء.

كانت لا تتحدث معي إلا بالإنجليزية بعد أن عرفت أنني
أجيدها.

إلى هنا وأنا أعامل كل من في المنزل سواء أصحابه أو الخدم
بكل احترام وأدب.

ثم بدأت ألاحظ أشياء غريبة، فالزوجة تستغل سفر زوجها
(وهو دائم السفر) لتخترع أى مشاوير وتطلب السيارة وأنا
بالطبع معها، أكثر من هذا كانت تطلب السيارة للخروج، وعندما
أسألها على فين تقول لى.. أنا عايزة أتفسح.. لف بالعربية كده قد
ساعة وارجع تانى.

كان المفروض أن أشك في الموضوع ولكنى كنت أقول إن بعض الظن إثم.. إلى أن كانت ليلة كنت جالساً في حديقة الفيلا ألاعب الكلب فخرجت هى من بلكونة غرفتها ونادتنى فصعدت إليها.. التقيت بها فى صالة الفيلا.. كانت تمسح عينيها وتقول إنها تعبانه ومش لاقية حد يجيلها كباية الميه تأخذ قرص الدواء (برغم أن المنزل ملئ بالخادومات) فنزلت إلى الدور الأول وأحضرت لها كوب الماء وصعدت فلم أجدها فى الصالة.. وسمعتها تناديني من غرفة داخلية وتدعونى للدخول.

كانت نائمة على السرير بغرفة النوم فى قميص نوم شفاف. وقفت متردداً على الباب.

شجعتنى بإشارة من يدحا.

لاحظت أنها لا تلبس شيئاً تحت القميص الشفاف.

ومن هذه الليلة تطورت علاقتنا زادت مرتبى عشرين جنيهاً وعرضت على أن تحضر لى مدرسين لمعاونتى فى دراستى، وأصبحت تغازلنى علناً مظهرة إعجابها بلون عيني وجمال شعري أمام زوجها الذى كنت أشك فى رجولته، لأنه لم يكن يعبأ بكل هذا الذى تقولهُ زوجته.

كل هذا ياسيدى وأنا سارقانى السكينة زى المثل ما بيقول، إلى أن كانت ليلة فظيعة حاولت فيها أن أثور عليها وعلى العبودية والخضوع الذليل الذى وصلت إليه وقمت لأخرج من

غرفتها فقامت هي وسدت الباب بجسمها وهددتني إذا حاولت الخروج أن تصرخ وتجمع حولنا الجيران والخدم وتدعى أنى كنت أحاول أن أتهجم عليها فى غرفة نومها فى أثناء سفر زوجها.. عندئذ وفى تلك اللحظة فقط أفقت من سكرتى وعرفت أى ورطة وأى مصيبة وضعت نفسى فيها.

ولا تتصور ياسيدى كيف دارت بى الدنيا وكيف أصبحت خادماً لها أسيراً لرغباتها على كره ونفور منى.

وقد تقول لى وماذا يكرهك على البقاء فى خدمتها.. لماذا لا تترك البيت وترحل، والإجابة أنها تهددنى إذا تركت خدمتها أن تلفق لى تهمة سرقة (والمنزى به نقود سائلة تصل أحياناً إلى عشرة آلاف جنيه عدا المجوهرات).

أصبح فكرى مشتتاً وانقطعت عن المذاكرة.

أصبحت تسلط على الخادماى وتهددنى بأن تبلغ البك بآنى أغازهن وتلوح بأنها سوف تطلب البوليس، وسوف تطلب الكشف على الخادمة.. وسوف تزوجه لى بالإكراه إذا اتضح بالكشف أنى أفسدتها..

وهكذا أصبحت فى دوامة من التهديدات.. وأصبحت كالكلب المربوط بالسلاسل عند قدمى سيده.. لا سبيل له إلى فكاك. أفكر فى الانتحار أو قتلها لأتخلص من المأزق الذى وضعت نفسى فيه.

كيف أنجو من هذا الفخ.
لا تشتمنى فأنا مش ناقص.
حاول أن تدلنى على طريقة أنقذ بها نفسى ومستقبلى.. ولك
شكرى..

يبدو لى خطابك كأنه «حلم يقظة» من فبركة خيال تلميذ
ساقط خييان يحلم بأنه أصبح معشوق امرأة مليونيرة، وأنه أصبح
يتمرغ فى فلوسها وفى أحضانها على كره منه وعلى نفور
واشمزاز، وكالعادة يتصور أنه ضحية.. ضحية الست.. كما كان
ضحية المدرسين الذين اضطهدوه وسقطوه.. وإنه ابن الأكابر
المجنى عليه.

والواقع أنه لا امرأة هناك ولا فلوس.. ولا عاشق
ولا معشوق.. ولا خدم ولا حشم.. وكل ما هناك هو الخيال
المريض الذى يبنى القصور والفيلات فى الهواء.. ويصور لنفسه
اللذات القرية المنال وهو يرفضها وهى تطارده، وهو ينفر منها
وهى تجرى وراءه وتحاصره.. وهو فى النهاية معذور مسكين غلبان
يقارف هذه اللذات تحت التهديد.

مسكين يعمل إيه.. مضطر لهذه اللذات المقرفة.

لا أقول إن مثل هذه الحكايات لا تحدث..

إنها يمكن أن تحدث..

وهى عادة تحدث بكثرة فى الأفلام المصرية.

وهى تحدث دائماً فى خيال المراهقين الذين يعيشون فى انطواء ووحدة وسوداوية تحت وطأة العادة السرية والعزلة والفشل والسقوط فى حياة الواقع.

وهى الغذاء الرئيسى لأحلام الفقراء.

وقد تحدث فى الواقع فتعتبر نادرة تروى..

ممكن..

ولكن إذا وقعت فحلها يكون سهلاً جداً لا يحتاج إلى كل هذه التشنجات.. فيمكنك أن تترك الخدمة التى لا تعجبك.. دون أى خوف، فلن تتقدم الست بأى شكوى من أى نوع.. فمثل هذه المرأة تكون جبانة جداً.. فهى سيدة مجتمع ولا يمكن أن تجلب لنفسها فضيحة للاحتفاظ بهلفوت مثلك، وهى يمكن أن توظف غيرك فى هذه الوظيفة المغرية، ولو أعلنت عن طلب سائق لجاءها ألف، ولأمكن لها أن تنتقى ما تشاء أجمل وأرشق من سيادتك.. والمصابات بالشذوذ من أمثالها يعتمدون على خدمات الكلاب لا على السواقين إلى زيك.

ولا أفهم كيف تكون ابن أكابر ومن عائلة غنية وتصف «غرفة السائق» فى الفيلا على أنها قصر.. أن هذا خيال رجل فقير كحيان مش لاقى يأكل يبيت فى غرفة خدم فيتصور أنها

قصر لأن عمره ما شاف سرير.

ومثل هذه المرأة إلى في بيتها نقود سائلة أكثر من عشرة آلاف جنيه غير المجوهرات وعندها هذه العربة الفاخرة، وسنها ٣٥ وجيلة، مثل هذه المرأة تكون مشتركة في عدة نواد ولها أكثر من معجب وأكثر من صديق.. ولا يمكن أن تكون مقطوعة ومتفرغة لواحد ساقط بكالوريا زيك أمثاله بالمئات على نواصي عماد الدين.. وكلهم يشعر مسبب وعيون على.. وما أكثر وأرخص هذه البعاعة وما أوفرها في مجتمعا، والعشرة بصاغ بالمون.. والمسألة مش محتاجة لكل هذا الحصار وتعب القلب. يا صديقي.. إنت بتعلم.

والحل بسيط جداً.. أن تفوق إلى نفسك وتبطل سرح وتفتح كتاب الإنجليزي وتقرأ لك كلمتين ينفعوك بدل ما تعلم أنك بتكلم صاحبك بالإنجليزي بطلاقة (أمال سقطت ازاي وأنت بتكلم زى شكسبير، يا أخى فلقتنى).

هل هو الجنون

سأظل أضحك.. ولكن ذلك لن يؤثر في الحدة المتناهية التي تحيط مشكلتي.

أبى وأبوها أخوان.. فهي ابنة عمى..
ولأبدأ لك بأبى..

وأبى نموذج طيب لرجال كثيرين كانت البارات براقصاتها تعيش على أكتافهم في الأعوام الماضية.. يملك الأرض وما يكاد يجمع «قرشين» حتى يطير إلى كازينو بديعة بالقاهرة، فينفق «القرشين» ويعود مرهق الأنفاس ضيق الصدر حاد الطبع يقضى وقته متناوئاً متعباً في بار لوكاندة بالاس القائمة كالغراب على قناطر سنورس.. وما يكاد المحصول الجديد يحصد حتى يجمع الريع ويجرى إلى القاهرة.

ثم عمى..

ولكن عمى لم يكن يعرف القاهرة بل ولم يزرها طوال حياته إلا مرتين، مرة أيام كان عضواً في الاتحاد القومي وسافر على نفقة الدولة.. ومرة ذهب ليحضر والدى عام ١٩٥١ حينما علم أن

والدى قد باع أرضاً لراقصة متسولة أصبحت فيما بعد نجمة سينمائية مشهورة.

وعندما تاب والدى ورجع إلى صوابه كانت ثمانون فداناً من أجود الأراضي قد بيعت لراقصات وسماسرة ومقامرين ووفاء لديون بعض البنوك.

ولم يكن لنا رصيد سوى والدق في ميراث وقف الجميع ضده كي لا يبده.

وكنت أنا في المدرسة، وكان أخى الأكبر هو الذى يرعى الزرع ويجمع المحصول.. وهو الذى «لطيبته المتناهية» كان يراهن على أن يأكل ٢ كيلو حلاوة طحينية مقابل ٣٥ قرشاً فيأكل نصفها ويخسر الرهان وينام في المستشفى ١٨ يوماً.

أما عمى فقد ابتعد عنا بعد ذلك وأصبح رجلاً في حاله لا يعرفنا ولا نعرفه، عاش عاكفاً على تنمية ثروته واستثمارها وأنجب بنتاً أدخلها مدرسة أمريكية في أسيوط.. وأنشأ لها حديقة وأقام حول الحديقة سوراً وجلس خارج السور يلعب الطاولة.. هوايته الأزلية المباركة المفضلة.

ثم انفجرت العداوة بيننا وبين عمى.

كنت أيامها في منتصف الدراسة بأحد المعاهد العليا عندما جاءنى النبأ العظيم.. أخى الأوسط قرر الزواج من بنت عمى. ورفضت البنت ثم أمها ثم أبوها.. رفضاً غير مؤدب مشمولاً

بأسباب تؤرخ لحياة أختى بادئة من علاقته بنعيمة بائعة الطعمية
ومنتهى بموضوع الحلاوة الطحينية.

وثار أختى الأكبر وثارت والدق وثار أخوالى وثار أبى ثم
بالطبع ثرت أنا.. ولكى كنت أضحك.

ولم أكن قد رأيت بنت عمى منذ ثلاث سنوات.

وفى الإجازة الصيفية رأيته.

كنت أمر بجوار سور الحديقة عندما تلصصت نظراتى من
وسط النباتات فوجدت ابنة عمى.. كأودرى هيبورن.. جالسة
على الحشيش تحت شجرة مشدبة تطالع كتاباً ملوناً.

وداخل تلافيف مخى عشت البنت.. صورة حلوة هادئة مليئة
بحوافر الحصول عليها.

وبعد مناقشات ومباحثات ومفاوضات مع أقطاب البيت وافق
الجميع على أن يطلبوها الى حيث لم يسبق لى بشهادة الجميع أن
كانت لى صلة بنعيمة بائعة الطعمية، أو كان لى تاريخ فى الرهان
على التهام الحلاوة الطحينية.. بالإضافة الى أنى كنت فى طريقى
لأن أصبح موظفاً محترماً تمنى أى فتاة أن تدق نفسها بين
أحضانها.

وتقدم الوفد مساء يوم الخميس من شهر أغسطس الى والدها.

ولم يرفض والدها هذه المرة بل بصق.. نعم بصق فى وجه كبير
الوفد.. وكانت المأساة المروعة أن كبير الوفد كان خالى.. وهو

من عائلة أخرى شديدة البأس.

وانفجر الموقف.. وهراوات وضرب.. وانتهى الأمر بتدخل أصحاب المعروف.. ولكن وما أظفح لكن هذه.. قرر أخى بعد موافقة أبى أن يغتال عمى.

كما قرر خالى أن يغتال عمى ويغتال أبى أيضاً.

وجمعت حقائبي وذهبت إلى صديق في قرية أخرى.. مجروح الكرامة ولكنى كنت ربما من الغيظ.. أضحك.

ولأنك لا تعرف قريتنا ثم لأنك لا تعرف عائلتنا، ثم لأنك لا تعرف أبى وإخوتي.. فأرجو ألا تسخر أو تستهين بهذه الكلمات.. فقد كانت هذه القرارات لا تعنى سوى التنفيذ. ولأنى كنت مجروحاً.. ولأن سلوك أهلى لم يعجبني.. ولأنى واحد من معادلة لا يمكن الخروج عن قانونها، فقد قررت أنا الآخر اغتيال عمى.

قررت أنا كاتب هذه السطور اغتيال عمى عن طريق بنته. قررت أن أغتصب بنته.

كنت حزيناً ولكنى كنت واعياً مدركاً لخطورة ما أنتوى عليه. درست حركات أبيها عند عودتي إلى القرية.

وعرفت أنه كل مساء سبت من الساعة الخامسة يترك جلسته الأبدية أمام باب المنزل ويتمشى لغاية الجمعية التعاونية الزراعية

ليحضر الاجتماع الأسبوعي.

أما الابنة المدللة الارستقراطية التي كانت تشمتني وتطلق التصريحات ضدى فى كل مناسبة.. فما كان أسهل أن أعتدى عليها.. ضربة فوق الرأس «على طريقة المصارعة الحرة» ثم ينتهى كل شىء وبدأت اتخذ الترتيبات ثم حددت اليوم السبت ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ الساعة ٥ مساءً.

وقبل الميعاد.. سقط عمى مريضاً بذبحة صدرية حادة أقول لك صراحة لقد فرحت وتوقعت أن تعم الفرحة الجميع.. أبى وإخوتى ووالدتى.

ولكن المفاجأة أن أبى المتحفظ فى تصرفاته جرى كالطفل يبكى ثم تبعه إخوتى ووالدتى وجريت خلف الجميع.

طلبنا طبيباً فتأخر الطبيب فأحضرنا سيارة ونقلنا عمى إلى أحد الأطباء بالبندر.. وتغير الجميع.. أبى ظل ملازماً لأخيه عدوه اللدود فى العيادة.

أخى الأكبر أصبح الراعى للمنزلين.

أخى الأوسط الطيب ظل طوال اليوم والأيام التى تلتها من العيادة للبيت ومن البيت للفيط ومن الفيط للعيادة حتى كاد يسقط إعياءً.

وأنا آخذ ابنة عمى وأمها فى السيارة إلى العيادة وأعود بهما حيث أجلس أمام منزل عمى هادئاً مرتاحاً أرعى لهم أى طلب.

آه.. كم كانت بنت عمى تذوب رقة وحناناً خلال هذه الأيام
الستة الرائعة.

وعاد عمى.
وجلس أمام المنزل من جديد يلعب الطاولة.
وبدأت الأوضاع بسرعة غريبة تأخذ مجراها القديم.
العبوس الدائم..
السلام الذى لا يلقي على عمى. وأن ألقى فلا أحد يرد عليه.
وبدأت أشعر بعودة الغيظ القديم.
ثم..

حيث حفرت بنت عمى لها مأوى فى نفسى وحيث أصبح
الحديث عن اغتيال عمى متداولاً بيننا.. وكان مرضه المفاجئ كان
مجرد نقطة لم تقطع خط الكراهية المستقيم.
وحيث عدت أتلصص من خصاص السور لأرصد تحركات
بنت عمى.

فقد عاد القرار القديم يراودنى.
مرة أخرى بدأ يلح على ذهنى أن اغتال عمى عن طريق
اغتصاب ابنته.

وابنته تجلس فى الحديقة عصر كل يوم هادئة.
وهو يلعب الطاولة أمام السور.

وأنا..

أنا مرجل من النار لا يهدأ.

الرغبة التى لا تقاوم تأكلنى.

أخطط لتنفيذ انتقامى..

وأود أن تقنعنى بعدم تنفيذه.. ولن أطاوعك.

ولقد بدأت اعترافى ضاحكاً.

وهأنذا أنهيه وأنا أبكى.

معذب من القرية

بالرغم من جاذبية أسلوبك وخفة روحك فى الكتابة.. إلا أن دمك ثقيل جداً.. وأفكارك غاية فى السخف والانحطاط بخصوص هذا القرار أو الخطة التى تقول أنك ستنفذها انتقاماً من عمك فى ابنته التى تحبها.

إن مجرد الانتقام من شخص فى شخص آخر هو ظلم غبى أعمى.

وأن يكون هذا الشخص هو من أحببت هو حضيض الأنانية. وأن تعامل من تحب بما تكره وبما يكره ينحط بعواطفك لمجرد الرغبة الحاقدة فى الامتلاك بأى ثمن.. وبمجرد التسلط والتحكم وفرض النفس على الآخرين بالقوة.

ولا يغفر لك إلا أن تكون كل هذه الأفكار هي مجرد خيالات
مجنونة تسيطر عليك لمجرد حرمانك ممن أحببت.. أو أن تكون
مزاحاً سخيلاً وثقيلاً يراودك.

أما إذا كنت تقصد بالفعل وبكل برود أن ترتكب هذه
الحماقة فأنا لن أقنعك.. وإنما البوليس هو الذى سيعرف كيف
يقنعك وحبل المشنقة سيكون أكثر إقناعاً..

وكنت أفهم أن تحاول أن تعرض رجولتك فى القتال فتضع
أمثال هذه الخطط لتوقع بأعدائك وأعداء بلدك.. أما أن تنفذ
ما تعلمته فى المصارعة الحرة على بنت قليلة الحيلة لمجرد أنها
رفضتك، فإنك تصبح دون الرجل ودون المرأة ودون الحيوان..
ولن تفوز بشيء سوى بضقة أخرى من العائلة كلها والقرية
بأجمعها تظل عالقة كالوصمة على صدرك..

والحب لا ينال بالكراهية.. ولا التفاهم بالقوة.. وواضح من
أسلوبك أنك تفهم هذه الأشياء جيداً وأعود فأقول إنى سوف
اغتفر لك هذه الكلمات الهوجاء إذا كانت مجرد الصفحات الأولى
من رواية خيالية تكتبها فقد تعودت أن أقرأ أمثال هذه الفجوات
العنيفة فى القصص من شخصيات أمثال هيثكليف فى رواية أميلى
برونتي وغيرها.

وأسلوبك يرشحك للدخول فى ميدان الكتابة..

وهذا أفضل من الدخول في تخشية البوليس أو مستشفى
القصر العيني بعد علقه ساخنة من هراوات الفلاحين، وأفضل
بكثير من حكم بالإعدام أمام محكمة الجنايات.

أكرهه.. أحبه..

هو ابن عمى الوحيد.. كان المثال السيئ والفاشل والشرير في العائلة كلها.. منذ نعومة أظفاره كان دائماً مطارداً.. أوسارقاً أوهارباً من المدرسة.

توفى والده وهو صغير فحاول والدى - وهو خاله - وبصفته أحد كبار رجال التربية والتعليم في ذلك الحين - حاول والدى أن يصلحه وأن يحتضنه ولكنه فشل.. إذ أن «الولد» لم يكن يقيم وزناً لأى شيء، مقامراً لُصاً مشاكساً حتى كرهناه جميعاً وكرهنا أن يدخل منزلنا وطرده والدى من عشر سنوات وترك الجميع عوضهم على الله فيه.. بالطبع ما عدا عمى.. «والدته» التى عانت الأمرين وهى تتحمل شكاوى الناس وسبهم له ومطاردتهم، وشتائمهم بسبب أخلاقه وصفاته التى لم يكن فيها ثقب إبرة واحدة. يستطيع الإنسان أن يرجو منه الخير.

ومنذ خمس سنوات حصلت على شهادة غير معترف بها وغير ذات أهمية من إحدى مدارس «الفرير» الأجنبية، ونظراً لأن وضعنا فى القرية لا يساعد على أكثر من ذلك فقد قنعت بها

منتظرة - بعد ذلك - العريس القادم حتمًا - كالدستور الأبدى
لعائلي الكبيرة، والتي ترقد بناتها في البيوت.. ويعمل رجالها سواء
أصحاب أراض أو ضباط أو موظفين.

وبدأت المتاعب في المنزل بعد أن أحيل والدى إلى المعاش -
فقد قل دخلنا واستولى أبناء عمى على الأرض التي كان يديرها
والدى لحسابهم «بعد موت الوالد» كوصى لهم أيام أن كانوا
قصرًا.. ونتج عن ذلك هبوط شنيع في حياتنا بل وفي ضرورياتنا،
ولا سيما أن أبناء عمى لم يرحموا أبى في مطالبته النهائية بكل
التقديرات المالية المطلوبة منه.

ثم بدأ هو يدخل حياتنا جميعًا من جديد.
المكروه أبدًا المطارد أبدًا مثال الشر القاسى الذى لا يقيم
وزنًا لأحد أو لمثاليات.

لا أعرف كيف عاد إلينا - برغم أنه لم يكن قد ترك القرية
أو نزح عنها.. إنما - كالماء - تسرب إلى حياتنا وأصبح الصديق
الدائم لوالدى.

لم يعد يسرق، لم يعد يتاجر في المنوعات - على قدر
علمى - ولكنه أصبح شخصًا آخر.. مقامرًا سكيرًا يملك مالا
ويزرع أرضًا.. هكذا أصبح - وفي نظرى إذا كان لا يسرق،
فذلك ليس معناه أنه لا يسرق، وإنما معناه أننا لا نعلم بذلك..
أي كل ما فى الأمر قصور فى معرفتنا وليس صلاحًا فى أخلاقه.

وأحسست بأن والدى يقترض منه مالا، بل وأحسست أنه
يملك قدرة التصرف فى كثير من شئوننا.

أحسست أننى الصفقة التى ستقع قريباً فريسة ..
وعندما بدأت أجر الخيوط مع والدى اكتشفت أن ليس عنده
مانع نفسى لبيعى له.

انهارت أحلامى.. واستيقظت الأفعال الشريرة التى كان
يطارد بها الناس وظللت مؤرقة ضيقة الصدر.
وفكرت فى الانتحار.

ولكننى قبل أن انتحر قررت أن أواجهه. لا يمكن أن انتظر
حتى تقع الفاس فى الرأس.
ثم استطعت أن انفرد به..

وبكل الضيق وبكل الأسى وبكل الحزن وبكل اليأس..
صارحته بأننى أفهم سياسته.. وأنه حقير وأن ظفرى بعشرة مثله..
وأننى سأنتحر إذا ما فكر أن يحصل على..
كنت ثائرة ومستعدة لأن أقتله لحظتها..
ولكنه كان بارداً..

قال إنه لم يفكر فى ذلك ولن يفكر فى ذلك وليس مستعداً لأن
يشترى «جثة جميلة» «على حد قوله».

وإذا كان أحد آخر قد فكر فى ذلك فليس هذا شأنه..

ولكنى كنت أفهم خبثه ومكره.. فسببته وقلبت ماضيه على رأسه وبرغم ذلك لم يثر.. بل ازداد برودًا.. واستطاع أن يمتص غضبى وثورقى.. وتكلم كثيرًا.. تكلم عنى وقال إننى لا أصلح لشيء إطلاقًا لأن الحياة الحديثة «نعم.. هو يتكلم عن الحياة الحديثة».. الحياة الحديثة لا تقبل أن تضم مثلى بين جدرانها قال إننى لا أستطيع أن استقل قطارًا بمفردى.. وقال إننى لا أستطيع أن أسير خطوة واحدة خارج المنزل، وكل الذى يمكننى عمله هو أن أقدم الطبخ الدسم واللحوم المشككة وقراءة مجلة حواء.. ويكفى أن مجلة حواء تنشر «باترونات» لم تؤثر حتى الآن فى طريقة ملابسى، وأنى فلاحه سلبية دسمة جميلة تعلمت القراءة والكتابة فى مدرسة أجنبية بحكم الصدفة، وأن كل الذى أصلح له أن أكون زوجة مدرس ابتدائى يعود إلى آخر اليوم حاملا بطيخة غير ذلك لا أصلح له ولا لأحد آخر.

أما مسألة أنه لص فذلك أمر لا يخصنى، وأن الذين يعلمون كيف تسير حياته أربعة: الله وأمه وضميره وحبيبته.. وأنه سيتزوج العام القادم.. موظفة فى إحدى المصالح الحكومية بالبندر، وأنه مستعد لأن يقدمها إلى فى الفرصة والوقت اللذين أحدهما. وفى المساء عاد - بنفس هدوئه - وقدم لى خطابات حبها له وقرأت بعضها ورأيت صورتها.. وعرفت أنه خلال الثلاث سنوات الماضية لم يكن له هم سوى نقلها من المحافظة التى تعيش فيها وهى محافظة بعيدة إلى البندر الذى تقع فيه قريتنا.

ودخلت الدوامة من أوسع أبوابها.

الأسى يطحننى والألم يهزنى.. وعلاقاتى بالناس ارتبكت.
وكرهت أبى وأمى وإخوتى.. وكرهته.. ثم كرهته.. ثم أصبح هو
قطعة من أفكارى.. لم أعد أنام.. ولم أعد أستيقظ.. ولم أعد أراه
ولكنى أرغب دائماً فى رؤيته، أتمنى أن أستيقظ فأجده ميتاً.. وأحياناً
أفكر أن أدس له السم.. وأحياناً أتصور نفسى زوجة - نعم
زوجة له قادرة على إسعاده وقادرة على أن أسافر إليه - أينما
وكيفما كان - بمفردى أتصوره لثاً ومهرباً ومزارعاً ناجحاً
أشاركه حياته «الجنة» كما وصفها.. ثم لم أعد أتصور شيئاً سوى
أنى حبيبته.

نعم حبيبته.. أترين له.. وأقص فساتينى على باترونات مجلة
حواء كى أرضى خيالى معه..
أحبه.. حتى أننى أتمنى أن أقذف بنفسى بين أحضانه ثم نشعل
النيران فى البيت.. لنموت معاً..
لنموت معاً..

ومازلت أتقلب على فراشى داخل السجن فى انتظار رجلى..
ر.. كوم أمبو

* * *

أكاد لا أشك فى النار التى تأكل قلبك.
ولكن هل هذا حب.

أنت ذكية جداً ويجب ألا تخدعي نفسك بالكلمات.
هل هي نار الحب التي تأكل قلبك أم نار الكرامة الجريحة
والأنوثة التي سقطت في الامتحان.

إنه في نظرك الشيطان اللص بائع المخدرات المقامر السكير
والانتحار أهون ألف مرة من التفكير في الزواج به.

ولكن اكتشافك أنه طول الوقت لم يكن يفكر فيك.. وأنتك
في نظره واحدة ست بلدى لاتعرف كيف تلبس ولا كيف تتركب
قطاراً تعلمت كلمتين أفرنجى بالصدفة.. وأنه طول الوقت كان
يفكر في امرأة أخرى. كل هذا أشعل الغيرة في قلبك وجعل منه
رجلاً محبوباً.

ولكن هذه أسباب لا ترشح رجلاً مكروها لأن يجب..
إن ما حدث لم يكن شيئاً بينك وبينه.. وإنما شيء بينك وبين
نفسك.. ثورة امرأة جرحت في أنوثتها.

وأنت الآن تجرين وراءه لتحصلي على اعتراف عاجل بهذه
الأنوثة التي أنكرها والجاذبية التي أهدرها.

إن حبك لنفسك وليس حبك له هو الدافع الحقيقي.. أنت
تريدين رد اعتبار سريع لجمالك بأى ثمن ولو بأن تعلنى حبه..
وأنت في هذا أنانية مثله شريرة مثله.

كانت أمنيته في البداية أن تستمتعي بإذلاله ورفضه. فإذا به

هو الذى يستمتع برفضك وإذلالك.

إنها مبارزة ذكية جدًا بين أنانية وأنانية.. مبارزة دوافعها شريرة فى الجانبين.

وإن كنت لا أستبعد أن يكون فى أعماق هذا الشر حب مستتر قديم وباطن فى قلبك وفى قلبه.. فتعليقاته المفصلة حول تصرفاتك تدل على أنه كان يراقبك طول الوقت وأنت تقرنين حواء بما فيها من باترونيات.. ثم لا تلبسين فى النهاية إلا العباءات والاشولة الفلاحى «ومعنى هذا كله أنه كان يتمنى أن يراك فى فستان محزق أو جابونيز أو ديكولتيه وهى أمنية عين تحب وتشتهى».

وأنت بدورك.. كلامك الحاد البذى عنه يدل على اهتمام مبكر به وبشئونه «ولو أن كلامك شتيمة».

ثم لم تكن هناك دواع عاجلة واضحة لهذه الخلوة التى صارحته فيها برفضك له كزوج.. فلم يثر أحد موضوع هذا الزواج المرتقب.. لا أبوك - ولا أمك.. وما قالاه فى هذا الموضوع كان نتيجة استدراج منك.. معنى هذا أنك أنت وأنت وحدك التى فتحت موضوع الزواج بلا مناسبة.. وكأن باطن شعورك يريد أن يقول: يا الله يا أخى بقى اتحرك واخطبنى.. ولو كان ظاهر كلامك يقول العكس.. بعينك ولو تطلع عينك مش حاتأخذنى. ضافرى بعشرة زيك.. يا راجل يا كلب.. «وهى مرقعة نسوانى شائعة فى

الأخلاق الشرقية بين نساءنا.. أن تقول الواحدة للرجل..
يا سم.. ابعد عني أوعى تلمسني.. بعينك.. وهى تموت فيه وتدوب
فى دباديبه».

ومعنى هذا انك شريرة مثله كما قلت.. تريدان أن تسرقى
قلبه كما يريد هو أن ينشل أفكارك.
وأنت كذابة. أئيمة وهو كذاب أئيم.. وأنتو الاثنان ألعن من
بعض.

وأنا أحب أن أعرف كيف ستنتهى هذه المباراة القاتلة بينكما
وإن كنت أتوقع أن ينتهى كل منكما إلى أحضان الآخر وأن تختتم
القصة بزواج قريب «وما تنسوش تعزمونى فى الفرح».

الصدمة

أشعر كأني أكتب لك هذه الرسالة بدمى أنا ابن السادسة عشرة الذى قدر له أن يفتح عينيه على مأساة ويصدم فى أمله وأحلامه ومثالياته.

إنها قصة أشبه بما تقرأ فى الروايات للأبطال الذين ينتحرون ويعيشون حياتهم على حافة الجنون.. ومع ذلك فما أجمل بداية هذه القصة.

أب حنون طيب يجاهد طول عمره ليوفر المال والثراء لأسرته.. ويقول دائماً إن السر والحياة فى كرامة ونظافة لا يتوفر لمن يعيش فى ذل الفاقة، وأن الدخل الميسور معناه أن تجد الأسرة الطعام وتظفر برعاية الطبيب وتمتع بتعليم راق لأولادها وتأمين لمستقبلها.

والحياة لا أمان لها.. ورصيد فى البنك باسم الأم والأب والأولاد هو ضمان ضرورى، فالأعمار بيد الله ولا أحد يعرف ماذا يجيئ المستقبل من مفاجآت.

وهكذا مضى الأب الطيب يكدح ويقتصد ويستثمر ذكاه

وبمجهوده واشترى بضعة أسهم وعقارًا.

ثم مات في العام الماضي ليترك لنا إيرادًا شهريًا يبلغ حوالى أربعمائة جنيه وسيارة مرسيدس وفيللا جميلة في ضاحية راقية.

كل ما نحتاج إليه وأكثر لنعيش حياة مرفهة مستقرة، أنا وأمى وأختاى اللتان تتراوحان بين العشرين والثالثة والعشرين وتلتحقان بمدرسة أجنبية.

حياة يحلم بها أى واحد في هذه الدنيا.

ومكانة يحسدنى عليها أى ابن..

كنت في هذا الحلم الجميل حينما سافرت مع مدرستى في رحلة للبحر الأحمر لمدة أسبوعين.

ومضيت أَلعب وألهو على شاطئ البحر وأصطاد السمك. وأمزح مع أصدقائى.. ولأمر ما اضطررنا الظروف للعودة قبل انقضاء الأسبوعين.

وعدت إلى الفيللا وكان ذلك حوالى السابعة مساءً.. وكان معى مفتاح للبيت ففتحت ودخلت بدون أن يشعر بى أحد لكى أفاجئ العائلة بعودتى.. ولكنى لم أجد أحدًا.. وصعدت للدور الثانى وذهبت إلى غرفة نوم أمى وكان بابها مغلقًا.. ورأيت وبالبتئى ما رأيت. رأيتها فى أحضان عمى.

صعقت وتصبب العرق على وجهى وارتجفت أوصالى ودارت

الدنيا بي.. وعدت أدراجي وأنا كالمذهول.. ماذا أفعل؟.. كيف أتصرف؟

واستبد بي التفكير والأرق..

ولم أعد استطيع التركيز في كتاب أنا الطالب المجتهد الذي داومت على التفوق في جميع مراحل تعليمي.

وتناوبتني الهواجس والوساوس.. هل أقتل عمي، هل أصرح أمي.. وماذا أقول؟، وكيف تصبح العلاقة بيننا بعد مثل تلك المصارحة والمواجهة.. ماذا يصبح مركزها في نظر نفسها وفي نظري ماذا يصبح مركزي في نظرها وفي نظر نفسي.. أنا الابن الذي فضح أمه وسقطت من نظره إلى الأبد، وفقد القدوة والمثل الأعلى.

كيف تقف مني بعد هذا موقف الناصح.. وكيف تواجهني وترشدني في حياتي وهي التي عجزت عن إرشاد نفسها..

وكيف أقف منها موقف الناصح وأنا ابن السادسة عشرة وهي السيدة الأم في الأربعين.. كيف أوجه إليها مثل هذا الاتهام المهين المشين المخجل..

وأى كراهية تنمو بيننا بعد هذا.. كراهية في نهايتها أسوأ من السقوط واللعن من الخطيئة.

وكان عقلي أضعف من أن يحتمل هذه الضغوط الفظيعة فبدأ ينهار.

وتحولت إلى طيف شارد سارح مذهول على الدوام.
وليت الأمر انتهى عند ذلك، ولكنى عرفت مؤخرًا أن إخوتي
البنات يذهبن إلى النادي ويترددن على شبان في شققهم ويعدن في
الواحدة صباحًا وأمي لا تكلمهن ولا تسألن ابن ذهبن،
وسمعتن في النادي قذرة.

وتصور أن تنهار عمد البيت الذى أعيش فيه فجأة وبدون
توقع أو انتظار فاكشف أن أمى ساقطة وإخوتي ساقطات.
وأنا من أكون.. وماذا أفعل.. وماذا يقول عنى الناس.. حينها
ينكشف عارنا للكل.

أنا المثالى المتدين الذى نبت فى بيئة كلها حب.. أو هكذا خيل
لى.

وتصور كيف أجلس لأذاكر فى الدور السفلى وعمى يداعب
أمى فى حجرتها فى الدور العلوى مطمئنين إلى جهلى بكل شىء...
وأخواتى يراقصن الشبان التويست فى النادي.

كيف أجد العقل لأركز وأقرأ؟

كيف أجد الانتباه لأفهم؟

وكيف أجد الإرادة لأواصل وأثابر.. وأنا مشئت مبعثر ممزق
الذهن والوجدان إنه عذاب فطيع الذى أعيش فيه.
أفكر فى الانتحار ولكنى أخشى الله وعقابه.

سوف أرسب.. أنا أعرف أنك سوف توأسني ولكن
ما جدوى المواساة؟

لماذا لم تكن أُمى امرأة فاضلة.. وماذا تريد من الدنيا؟..
وعندها المال الوفير والعربة الأنيقة والسكن الراقى..
والمركز واحترام الناس وكل ما تتمناه امرأة؟
هل أخطأت ليعاقبنى الله فى أُمى وفى أهلى؟..
إنى أموت من الحسرة ولا أجد مخرجًا!!
ماذا أفعل؟

١. ح. ح

* * *

إنها كارثة فظيعة بالفعل وربما لو قرأت أمك كلماتك وشعرت
بأساتك ربما تصرفت بكرامة وحفظت للبيت على الأقل هيئته
واحترامه وقطعت رجل هذا العم من البيت.

ولكنى لا أنصحك بأى مواجهة أو مصارحة بينك وبين أمك..
لا تفتح فمك بكلمة.. ولا تكاشف أمك بهذه السقطة
وإلا تقطعت حبال المودة وزرعت كلماتك كراهية لا شفاء لها.
وتذكر أنك لست خالق هذه الدنيا لتحمل وزرها على كتفك.
وإذا كانت أسرتك سقطت فالعالم كله فى حالة سقوط.. العالم
أسرتنا الكبرى تتمزق بين الزنا والخمر والحروب والقتل والسرقة

والكذب ونحن أبنائوها نتألم ولكن علينا أن نواصل ليصلح كل
منا ذات نفسه ويكون قدوة حسنة للآخرين لا قاضيا وجلاداً لهم.
كن رجلاً صالحاً في ذاتك لتصبح قدوة لأهلك وإخوتك.
وسيكون هذا صعباً في البداية، ولكنك يمكن أن تتعود عليه.
على كل واحد أن يعمل وزر عمله.

وشرفك هو ما تقدمه أنت بيدك لا ما تفعله أهلك.
إن النظرة التقليدية الأخلاقية بأن الأم يمكن أن تلتطخ ابنها
بالعار بما تفعله هي نظرة غير صحيحة.

فالإنسان يشرف بأعماله هو لا بأعمال غيره.
والعار لصاحب العار وحده.

وأنت لن تستطيع أن تصنع نفوساً جديدة لأم في الأربعين
وأختين راشدين، كل ما سوف تفعله إذا قذفت بالطين في وجه
الجميع هو مزيد من التمزق والكراهية والعداوة للكل.

ستعاني صراعاً عنيفاً لتغالب الانفجار والغضب، ولتروض
نفسك على تقبل مصيرك وقدرك.. ولكن تذكر أن من وراء
الجدران في بيوت كثيرة حولك تخطئ أمهات وتسقط بنات، وأنه
في هذه اللحظة يسقط قتيل برىء في فيتنام.. ويموت أطفال من
الجوع في الهند.. ويقتل الأخوة بعضهم بعضاً في الصين.

إننا ولدنا في أرض الخطايا.

والحل ليس الصراخ، وليس الغضب، وليس القتل، وليس
قذف الطين في وجوه المخطئين.

ولكن الحل مزيد من الحب.

أن يحاول كل منا أن يصلح نفسه ويقوم ذاته ويكون قدوة
لغيره قبل أن يقف منه موقف القاضى من المتهم.

وتذكر أنك يمكن أن تخطئ أنت أيضاً حينما تكبر وتلح عليك
شهواتك وغرائزك.

حاول أن تكون الابن المشفق لا القاضى الجلاد.

ولتكن مثلاً أعلى في تصرفاتك قبل أن تطالب الآخرين بأن
يكونوا مثلاً علياً.

إن الله يمتحنك بهذا البلاء الذى أنت فيه.

ولكنى أعتقد أنك ستمر وستتفوق على نفسك وعلى عذابك.

العفريت الذى ركبنى

أتيت من الريف.. لأدرس الطب فى القاهرة.
ولأعرفك بنفسى.. فأنا متفوق فى دراستى دائما طموح أهوى
الشعر وأؤلف الروايات والتمثيلات والقصص فى أوقات فراغى..
مدمن اطلاع.. عقليتى علمية.. انظر إلى كل شىء نظرة علمية
وأرفض التعلق بأى خرافة ولا أصدق قضية لم يقم عليها دليل
محسوس.

تبدأ مأساقي حينما عرض على بعض الزملاء فى أثناء نقاش
حول الأرواح والجن والعفاريت أن نقضى ليلة فى شقة معينة
قالوا لى إنها «مسكونة» بالجن.

وضحكت طبعاً على هذه الخزعبلات وقلت لهم إنه لا يوجد
من يسكن الشقق غير البشر.. وإن الجن والعفاريت كلام فارغ
وتحاريـف عجائز انحدرت إلينا من عصور ما قبل العلم.. عصور
الجهالة والظلمات.

وقالوا حينذاك فى حماس.. نحن نتحدثك أن تبيت ليلة فى تلك
الشقة.

وقلت لهم في تحد أعترف.. سوف أبيت الليلة وكل ليلة.. مع السكان الجان وأجعلهم يدفعون خلو رجل كمان.
ونظروا إلى باستخفاف وإشفاق.. وهم يتهايمسون.
أنت بتنتكت كمان على الجن.

ولن أطيل عليك ذهبنا جميعاً وكنا خمسة وبتنا ليلة في تلك الشقة المشنومة.. وكان ما حدث شيئاً لا يصدق.. انقطع التور في البداية ثم أمطرنا السقف المظلم بقذائف لا حصر لها.. طوب وملاعق وسكاكين وصحون وأشواك مسننة وقطع صابون وأكواب وثمار فاسدة وبيض وكراسي.. ثم بدأنا نسمع نقرات عالية على زجاج النوافذ والأبواب.

وحاولت أن أهرب بنفسى فأحسست بيد في الظلام تناولني لظمة قاسية على خدى وصرخت وأغمى على.

وفي اليوم التالي كنت أمشى إلى الكلية وأنا كالمصعوق.. المشدوه.. أفكر.. وأفكر كيف يمكن أن تحمل روح كرسياً وتقذفه في الهواء.. وهى ذاتها هواء أو أثير.. أو لا شيء.
وهل يوجد ذلك الشيء الذى اسمه عفريت.
وكيف يسكن العفريت جسماً آدمياً.

وماذا يحدث إذا كان أحد هذه العفاريت قد أعجبه جسمى فسكن فيه وترك الشقة لزملائه.

وكانت الفكرة عابرة في البداية.

ولكنها بدأت تلح على ذهني.

وبدأت أشعر بالفعل أن هناك شيئاً أثيراً يسكن في داخلي، شيئاً كالظل مكوم داخل هيكل.

ولم أعد أعرف النوم.

وتحول الليل إلى عذاب طويل ورعب وسلسلة من الهواجس والمخاوف بدأت أشعر بالظل في داخلي يتمدد ويتكشم.

ثم بدأت أشعر بأنه ينقر على رأسي ومفاصلي ويدق على ظهري.

وأحياناً كنت أراه يقلب صفحات الكتاب الذي أقرؤه قبل أن أمد يدي لأقلبه وتحولت حياتي إلى سلسلة من الجنون.

ولم أجرو أن أصرح أحداً بهواجسي حتى لا يذهبوا بي إلى المجازيب.

واعترلت عن أصدقائي وسجنت نفسي في غرفتي.. أعود من الكلية فأدخل غرفتي لا أبرحها وأصبحت أضىء غرفتي طوال الليل بلمبة مائتي وات من الخوف ولم أعد قادراً على التركيز في مذاكرة أو قراءة.

حتى الفتاة التي خطبتها قاطعتها وأصبحت أتجنبها حتى لا تلحظ التغيير الذي طرأ عليّ، وهي بدورها أصبحت تعيش في حيرة من أمري.

أكتب لك الخطاب الآن في الفجر وأشعر طول الوقت أن
العفريت الذى يسكننى يدق على جمجمتى من الداخل.
نعم أقسم لك أن هناك دقائق فى داخل رأسى.
إنه شيء فظيع لم أقله لأحد ولكنه، هناك من يدق على رأسى
من الداخل.

أنا أصبحت كالخرابة المسكونة.
وأشبع ما فى الأمر أنى أحارب عدوا غير منظور.
لو أن ما بداخلى مرض أو ميكروب أو ورم سرطاني لأمكن
استئصاله بالجراحة أو علاجه بالدواء.

إنه يكون شيئاً معروفاً يمكن لمسه وتشخيصه ووصفه وتبين
خصائصه وملاحظه.
أما ذلك الذى يسكن بداخلى.. فهو عدو كالهواء.. كالاتير..
كالشيء.

ذهبت إلى المشايخ ولبست أحجية وتعاويز أنا طالب الطب
ابن العشرين عاماً.. دون جدوى.. ودون فائدة.
إنى أموت من الرعب والجنون.
وأهلى قد فقدوا كل حيلة معى.. ولا أحد يعلم مأساقي وأنت
أملى الاخير.

إنى أقرأ لك دائماً فى الموت وما بعده.

واقراً لك تأملات عن الطبيعة وما وراءها.
وأرجو أن تجد لي مخرجاً.

المعذبى

* * *

أنت ريفى ساذج ولا شك، وقد ذهبت ضحية هزار سخيف-
فالأرواح إذا كانت هناك أرواح لا يمكن أن تشغل نفسها بأمر
تافه مثل قذف الصحون والملاعق والشوك.

وإذا كانت الأرواح ترفع الكراسى فلماذا لا تفعل ذلك في
النور حتى يؤمن بها كل متشكك.

لماذا تفعل ذلك في الظلام فقط.. ومحتاج الأمر إلى انقطاع
النور من الشقة أولاً ثم تبدأ عرضها البهلوانى.

إن اللعبة واضحة من البداية.. ولهذا بدأت الحكاية بقطع النور
ثم شرع أصحابك يلطشونك على أصدائك ويقذفونك بالصحون
والبيض الفاسد ويضحكون عليك.. وبعد ذلك صدقت نفسك
وسقت في أوهامك.

وإذا كانت الأرواح تضرب بالطوب وبالسكاكين فلماذا
لا تحارب في فيتنام وتنصر أصحاب الحق الغلبة على المعتدين
الفاصين بدلاً من تقديم عرض بهلوانى في شقة.. وفي فيتنام
يسقط مئات القتلى كل يوم.. وما أكثر الأرواح.. وما أكثر
العفاريت إذا كان هناك عفاريت.

ولا شك أن الماريشال كاوكى يستحق قلما على صدغه من أى روح من الأرواح التى أهرق دماءها.

أنت تحلم يا صديقى الريفى الساذج.. وما تشعر به من دق على جهمتك سببه أنك دائق عصفورتين.. وأنتك عبيط وأنا شخصياً مستعد ومشتاق إلى ليلة أبيتها فى شقتك المسكونة لأمسك بيدى ذلك السخيف الذى يرفع كوبس النور وأرقعه قلما على صدغه وأحلق له شعره فى المحافظة بمساعدة عفريت حقيقى من عساكر البوليس.

والله يا أخى ما عفريت إلا بنى آدم:

والأرواح الحقيقية لها عالم آخر شفيف رفيف لطيف غير عالمنا السخيف وهى لا تفكر أبداً فى أن تقذفنا بالطوب.. لأننا بالنسبة لها.. لا شيء.. لا نستحق حتى مجرد لفتة إلى وراء.. وهذه المرة أنا الذى سوف أدق على دماغك.. وأقول لك.. فوق واصحى يا كرودية.

الحياة بدون كبت

أنا كما يراى الناس من الخارج فتاة عادية فى التاسعة عشرة..
مرحة منطلقة.. الكثيرون يحسدوننى على انطلاقى.. فأنا أبداً دائماً
ضاحكة عابثة.. ولكن قلبى من الداخل يدمى.. ولا أحد يعلم
ما أعانيه.

أحببت منذ ثلاث سنوات.. وكان حباً أكبر من عمى.. وكان
هو فى الثلاثين أكبر منى بأربعة عشر عاماً.. وعلمنى كل شىء..
كنت كتاباً مقفولاً وموضوعاً على الرف. وجاء هو وفتحته وقرأ
كل سطر فيه.. وكل كلمة فيه.. وكنت سعيدة.. السنة الماضية فى
مثل هذا الوقت كنت أسعد مخلوقة فى الوجود.. فأنا جميلة خفيفة
الظل محبوبة من الجميع ومن عائلة غنية أستطيع الحصول على
جميع طلباتى.. وأهم من هذا كله.. كان هو بجانبى.. حبيبى.
كنا شبه مخطوبين أمام الناس وشبه متزوجين أمام أنفسنا وأمام
الله عرفت معه كل متع الحب.. وكل مسراته.. وقد حرصنا معاً
على ألا يتجاوز عبثنا الحدود.. فظللت عذراء.. ولكنه فى آخر
لحظة تركنى.. وهجرنى إلى غير رجعة.. قال إنه لا يستطيع أن

يعصى أمر والدته.. وقد اختارت له والدته ابنة أختها اليتيمة..
وخطبتها له.. وهو لا يستطيع أن يرفض لها طلباً فهو وحيدها.
وتعذبت.. ومرضت.. ثلاثة شهور..

ثم بدأت أضمد جراحى.. وأقاوم عذابى.. وأرسم الضحكة
على شفى.. وأغتصب الابتسامة.. وبدأت أعود إلى الحياة.
وعرفت أحد زملائى فى الكلية.. وصاحبه..
ولم يكن حباً هذه المرة.. فأنا أعلم أنى لا أحبه.. وأنه
لا يحبنى.

ولكنى كنت أبحث عن سلوى.
ونحن نذهب إلى السينما حيث تقضى الساعات.. لا نرى
الفيلم.. ولا نرى ما حولنا.. وإنما نظل نتبادل القبلات والعناق
حتى يضىء النور..
وفى حى الشباب تأخذنا نشوة المراهقة التى نمر بها نحن
الاثنان فيشعر كلانا بأننا نقضى ساعات لذيذة.

ولكن بعد ذلك.. وبعد أن تمضى هذه الساعات.. يبدأ عذاب
الضمير.. وأرانى أصرخ فى نفسى.. إنى ساقطة.. مجرمة بدون
أخلاق مذنبه مصيرها جهنم.

ولكنى أعود فأسأل نفسى.. وما ذنبنا إذا كانت هذه غرائزنا
التي ركبت فيها.. ورغباتنا التي خلقت معنا.

إني لو لم أفعل هذه الأشياء.. فسوف أظل مشغولة الذهن
طول الوقت أفكر وأتغنى أن أعملها.. وهذا ألعن..

ما ذنبنا إذا كانت هذه طبيعتنا..

وأبكي.. وأصلى.. وأصوم، ثم أعود إلى فعل هذه الأشياء.. وأنا
أسأل نفسي في حيرة.. ما الفرق بين ما يفعله المتزوجون وغير
المتزوجين.. إنها ورقة.. مجرد ورقة..

كيف تكون رخصة الفضيلة مجرد ورقة..

ولماذا يعتبر الناس تلامس اليدين في المصافحة عملاً عادياً
لا غبار عليه.. وتلامس الشفاه في القبلة عملاً فاضحاً شائناً..
أليست كلها أجزاء جسم واحد..

وما معنى الفضيلة هنا..

وكيف يكون تحريم أشياء هي في صميم طبيعتنا.. فضيلة..

لماذا لا نعيش على الطبيعة، بدون تعقيد.. وبدون كبت..

وبدون تحريم.

قصديك لماذا لا نعيش كالحوانات فننتطلق مع غرائزنا
بلا ضابط.. وبلا نظام.. وبلا هدف سوى هاتف اللحظة.. ولذة
الساعة.. مستحيل طبعاً.. فهذا معناه أن نتخلى عن إنسانيتنا
تماماً.. ونعود إلى عصر الغابة..

فالآدمية لا تبدأ إلا من هذه اللحظة.. من اللحظة التي يحكم فيها الإنسان رغبته ويكبح غضبه ويلجم شهواته ويتصرف بمقتضى أهداف سامية كالرحمة والإخاء والشجاعة والتضحية والبذل في سبيل الآخرين والعمل على إقامة نظام.. والانقطاع للعلم والتحصيل والمعرفة وخدمة الناس.. أما إذا انقلب الوضع وأصبحت لذات الجسد العابرة.. ونزوات الغريزة.. مفضلة على هذه الأغراض السامية فإن الإنسان يفقد إنسانيته وينقلب حيواناً.. والنظام الاجتماعي كله ينهار من أساسه..

والزواج ليس مجرد ورقة كما تقولين.. الزواج تنظيم اجتماعي للغرائز حتى يكون لكل ابن يولد أب مسئول عنه.. وحتى لا تتحول العلاقات الجنسية إلى فوضى بلا رابط.. وتختلط الأحساب والأنساب.. ولا يعرف الابن أباه.. والواقع أن الإنسان حينما يضبط رغبته ويكبح شهوته.. فإنه لا يمكن أن يقال إنه يكبت طبيعته.. فإنه في الحقيقة يخرس صوت الغريزة.. ولكنه في نفس الوقت يطلق صوت العقل.. وهو يشد اللجام على الحيوان الهائج في نفسه ولكنه يطلق العنان للوجدان والعاطفة والفكر.

ولا يمكن أن يقال في أمر طبيعتنا إنها مجرد رغبات حيوانية. فإن العقل أيضاً من طبيعتنا.. والعاطفة والوجدان والروح.. هي صميمنا.. وهى أكثر أصالة فى طبيعتنا من نزوة الجنس وصرخة الحيوان الجائع.

أما حكاية تلامس الشفتين في القبلية وتلامس اليدين في المصافحة.. فهي مغالطة واضحة.. ولن أحاول أن أناقشها.. فأنت تعرفين جيداً الفرق بين ما تفعله القبلية وبين ما تفعله المصافحة ومفيش داعى نكذب على بعض.

أما حكايتك مع صاحبك.. فهي حكاية يجب أن تنتهى.. فأنت باعترافك لا تحبينه وهو لا يحبك.. فالعلاقة إذن علاقة حيوانية لإشباع نزوات عارضة.. وهى علاقة تخلو من عنصر الصدق.. علاقة يهين كل منكما فيها جسمه.. ويهين نفسه.. وهى لهذا يجب أن تتوقف.. لا بسبب الدين وحده. ولا خوفاً من جهنم ولكن بدافع من الإنسانية ومن احترام كل منكما لجسمه ونفسه أيضاً.

عريان أفندى

أنا شاب فى العشرين.. مازلت إلى الآن طالبًا بالثانوية العامة.. مظهرى محترم ومؤدب جدًا.. من يعرفنى لأول مرة يقول عنى أنى خجول وطيب ومهذب.. وهذه فى الحقيقة هى المعاملات الظاهرة التى أبدو بها أمام الناس.. ولكن فى الخفاء حينما انفرد بنفسى فى غرفتى أتحول إلى شخص آخر تمامًا.. ما أكاد أجد نفسى وحدى حتى أغلق باب الغرفة وأحكم إغلاقه.. ثم أفتح الشباك المطل على الجيران.. وأتجرد من ثيابى.. وأروح أتمشى فى الغرفة وأنا عريان.. وأشعر بالسرور إذا أحسست أن هناك امرأة تلمحنى حتى ولو كانت خادمة.

يحدث أحيانًا أن تبصق علىّ المرأة التى ترانى على هذه الحال.. وأحيانًا تبتسم..

وحدث أن أنشأت علاقات بهذه الطريقة.. وهى طبعًا علاقات قذرة مع خدامات ونساء ساقطات..

والمشكلة أن هذه العادة اللعينة تتحكم فى سلوكى وتستعبدنى تمامًا وتأمرنى فأطيعها وكأنى عبد.. لا أستطيع لها دفعًا. ومهما

لاقيت من احتقار وازدراء واشمئزاز لا أكف عن التماذى فيها..
والغريب أنى فى أثناء وجودى فى مجتمع أنصرف بأدب وخجل
شديدين وكأنى شخص آخر.

حدث أن كانت لى علاقات بفتيات محترمات تعرفت بهن فى
أماكن عامة.. وكنت أدعوهم إلى نزهة على النيل أو إلى سينما..
ولكنى كنت دائماً أخسرهن فى النهاية.. بسبب مسلكى الشاذ
فى السينمات.. فى اللحظة التى ينظفنى فيها النور ويسود الظلام..
كان يركبنى ذلك الشيطان.. فأنصرف بدناءة.. وقذارة وتكون
النهاية..

وأنا لا أفعل هذه الأشياء بشقاوة.. ولكنى أفعلها وأنا مغلوب
على أمرى.. وأنا أشعر بتعاسة لا حد لها..
أنا مريض.. أنا أعلم أنى مريض..

وأنا فى دراستى أرسب على الدوام.. وخائب خيبة لا حد لها
وفى أعماقى أحتقر نفسى.. وأشعر أنى ملوث.. ولكن ماذا أفعل
هل هناك حل لرجل مثلى.

حالتك يسميها فرويد «عقدة الاستعراض»..

وفرويد يقول إننا كلنا ونحن أطفال نحب أن نتعري ونخبط
على جسمنا العارى ونلهو به.. ولكن هذه الرغبة تتطور إلى
الحالة الطبيعية السوية عند البلوغ فلا نعود نلتصم لذتنا بهذا

الأسلوب الطفلى. وإنما نتجه إلى الجنس الآخر بالغريزة الطبيعية
التي توجهنا إلى الحب والزواج.

ولكن الجمود عند المرحلة الطفلية قد يحدث لسبب أو لآخر
بسبب ظرف تربوى شاذ أو حادث فى أثناء الطفولة.. فتنشأ عقدة
الاستعراض.. وتستمر هذه الرغبة الشاذة فى العرى فى سنوات
البلوغ وبعده..

والعلاج فى هذه الحالة يحتاج إلى تحليل نفسانى وإلى
استكشاف سنوات الطفولة الأولى وما حدث فيها عن طريق
الأحلام والتذكر وهذا يحتاج إلى طبيب نفسانى محترف.

عقدة التفوق

أنا فتاة أبلغ من العمر الثالثة والعشرين طالبة في كلية الطب.
متوسطة الجمال.. ظريفة محبوبة.. منذ السنة الأولى وأنا أزامن
طالباً.. وأحبه ومحبنى..

كنا نقضى طول الوقت بالكلية معاً.. ونذهب معاً إلى النادى
والملاعب.. ونقضى آخر الأسبوع فى السينما أو فى الحدائق..
ونتحدث فى آمالنا ومستقبلنا، ونرسم الخطط للسنوات القادمة.
وتعاهدنا على الزواج بعد التخرج.

قال لى إنه لا يريد أن يأخذ ملياً من أبيه.. وإنه لا يريد أن
يتزوج وهو يعيش عائلة على غيره..
وهكذا كان انتظارنا طبيعياً..
ولكن حدثت المفاجأة..

فى الإجازة الصيفية من العام الأول.. ونحن نعلق الآمال..
ونحلم بالسفر إلى الإسكندرية وقضاء أيام جميلة على الشاطئ،
والاشتراك فى رحلة الكلية إلى سوريا.. تغير فجأة..

فجأة.. وبدون سبب واضح.. اختفى تمامًا بعد إعلان نتيجة الامتحان.. وفشلت كل محاولاتى للعثور عليه.

وعلمت أنه رسب فى الامتحان.. وأنى نجحت.. ولكنى لم أستطع أن أربط بين هذا الرسوب وبين اختفائه من حياتى.. إن الامتحانات حظوظ.. وليس فى رسوبه ما ينجله أو ما يفضينى.. وما ذنب حينا..

إن حينا أبقى وأعظم من أى نجاح أو فشل فى امتحان أو غيره وأنا أحبه مهما حدث..

وتعذبت شهورًا.. وأنا أفكر.. وأتساءل.. ثم كتبت له خطابًا طويلًا ألومه.. وأعتب عليه.. وأذرف الدموع من أجل حينا.. وأستحلفه بالأيام الجميلة أن يعود إلى..

وعاد إلى.. وتقابلنا.. ولكنه كان ساهمًا شاردًا متجهًا لم يكن طليقًا بشوشًا مرحًا كعادته.. وحاولت المستحيل لكى أعيد إليه مرحه.. وحاولت أن أفهم سر عذابه.. ولكنه لم ينبس بحرف.. وكان يقول دائمًا حينها أشير إلى أمر رسوبه.. أن هذا أمر تافه.. وأنه ليس بالرجل الذى يفقد روحه من أول خذلان.

ما هو إذن السر فى وجومه.. لا أعرف.
وتكرر رسوبه.. وتكرر اختفاؤه.. وتكرر نجاحى فى نفس الوقت.. وتكررت محاولاتى للمحافظة عليه واسترجاعه..

والآن أنا فى امتحان التخرج الأخير.. وهو مازال فى السنة الأولى يتعثّر فى كتب التشريح..

وبعد شهور أكون قد أصبحت طبيبة.. وأكون فى الظروف التى تسمح لى بمعاونته ماليا.. والإنفاق عليه.. والزواج به برغم كل شيء..

وأنا أحبه..

ومسألة رسوبه لا تهمنى.

أريده بأى ثمن.. وهو يتهرب منى وينكمش فى نفسه أكثر وأكثر، ويقابل عاطفتى المتأججة بالبرود..

وأنا أبكى حزناً عليه.. وحزناً على نفسى..

ماذا أفعل لأسترجعه وأسترجع حبه.. وأتزوجه..

ماذا أفعل؟ ساعدنى..

ساعديه أنت واتركيه فى حاله. ولا تحطيمه أكثر مما حطمته.

إنك لا تفهمين عقلية الرجل أبداً..

إن الرجل ورث تقليداً عن آباءه وأجداده.. إنه قوام على المرأة.. ووصى عليها.. ومشرف على بيتها وحياتها.. ومتفوق عليها بحكم كونه رجلاً..

وهذه التقاليد والأعراف فى دمنا.. مهما تكلمنا عن المساواة..

إن عمرها خمسة آلاف سنة..

منذ أيام الفراعنة والملوك رجال والأنبياء رجال والعباقرة رجال.. وحتى هذه اللحظة تجدين في جمهورية مصر العربية ثلاثين ملحنًا كلهم من الرجال.. مع أن فن التلحين لا يحتاج إلى عضلات.. ولا إلى رجولة.. إنه مجرد تفوق في شيء..

ونحن ورثنا التفوق في الواقع وفي التاريخ وفي الماضي القريب والماضي البعيد..

والكلام عن المساواة لا يزيد عمره عن سنوات..

ونحن نردد كلام المساواة ولكن التاريخ أقوى منا.. لأنه بعيد قديم طويل ضارب بجذوره فينا..

ماذا نفعل.. لا بد أن نتفوق لنشعر أننا طبيعيون.. وأنتا رجال.. نثق في أنفسنا..

إن رسوب زميلك.. ونجاحك باستمرار.. شيء فظيع لا يمكن أن تتصورى أثره لأنك لست رجلا.

وزواجك به على أساس الانفاق عليه.. سوف يزيد مشكلته تعقيدًا، ويفقده الثقة بنفسه أكثر وأكثر.

لا يوجد حل.. إن الواقع قد تراكم ضدك..

إن الزوجة المتفوقة الذكية تدعى دائمًا أنها غير متفوقة قليلة

الحيلة وعاجزة وفي حاجة إلى نصيحة رجلها لتكسبه.. وتكسب
حبه..

فلاتضيعي حياته واتركيه لحاله.

عاشق النار

بدأت مشكلتي منذ المراهقة بطوفان من المشاعر الضارية..
تدفعني دفعا نحو المرأة.

شلال مكسح من الرغبة العارمة الملتهبة..
وبركان انفجر في جسمي كله فاشتعل وكأنه الحطب تأكله
النار.

منظر ساق عارية يحرمني من النوم ليالى..
صوت امرأة في تليفون يجعلني أندفع في سلسلة من الخيالات
البهيمية وأنسى نفسي..
حذاء حريمي..

أفيش سينما على حائط فيه قبلة..
شبح امرأة خلف شيش نافذة..
خيال.. مجرد خيال في ذهني عن فتاة..
حكاية غرام يرويها راوية أمامي..
أمثال هذه المغريات البسيطة كانت بالنسبة لى كوخزات

السكاكين توقظ في جسدى حيواناً أعمى مجنوناً لا سبيل إلى
كبح جماحه..

كنت أعلم أن ما بي هو مرض.. وأن المسألة ليست مجرد
غريزة أو شهوة عارضة مما تنتاب الشباب في سنى.. ولكن
ما حيلتى وقد ولدت بهذا الداء الوبيل..

وتستطيع أن تتخيل ماذا كان يصور لى خيالى المحموم من
قصص وحكايات كلما فتحت النافذة ورأيت بنت الجيران.
وطبعاً لم يكن يتجاوز الأمر مرحلة التصور والخيال أبداً.. فأنا
دائماً فى اللحظة الحرجة وحينما أواجه فتاة أتحوّل إلى طفل مرتبك
سابع فى عرقه يتهمته ويفأقّ بلا انقطاع.

كل هذا البركان كان يغلفه خجل وكسوف وخوف.

والنتيجة عذاب متصل وأحلام يقظة لا تنتهى.

كانت المذاكرة بالنسبة لى صداً وأوجاعاً وعذاباً مقيماً..
فالتركيز الذهنى فى أغلب الأوقات مستحيل والصفحة المفتوحة
من كتاب الجبر كانت تتحول بقدرة قادر إلى عرايا يرقصن على
الرموز والمعادلات، والأقواس.. وقصيدة الشعر تتحول إلى
تأوهات..

وكنت أفتح الصفحة وأظل جامداً أمامها مثل التمثال طول
الليل..

وكنت أحتاج فى آخر السنة إلى بذل إرادة رهيبية وإلى الوقوف

تحت الدش كل نصف ساعة في محاولة يائسة لأفبق وأنعش ذهني وأطفئ النيران الملتهبة في جوفي.

وتستطيع أن تتخيل أى مجهود احتجت إليه وأى صراع صارعته لكي أنجح في الثانوية وأدخل كلية الهندسة.

وفي كلية الهندسة التقيت لأول مرة بنات.. بنات في الواقع. ولسن بنات أفكارى.. فأنا في المدرج أجلس إلى جوار فتاة وكنتفى في كتفها.. وفي العمل إلى جانبى فتاة نشترك معاً في تجربة. ولكن الخجل ظل هو نفس الخجل والخوف نفس الخوف.. بينما اشتعلت الرغبة أكثر وأكثر..

وبدأت أطفئ هذه الرغبة بكتابة القصص. أكتبها ثم أمزقها.. ثم بدأت أكتب مقالات وبحوثاً طويلة في العلاقات بين الشباب والفتيات.

ثم بدأت أقرأ التاريخ وتطور العلاقات بين المرأة والرجل تاريخياً ونشأة نظام الأسرة وتفاصيل ما كان يجرى في عصور الفوضى والشيوعية الجنسية.. أقرأ وألخص وأكتب وأمزق.. كل يوم لى جلسة طويلة أمام الكتب لأطفئ فضولى الفظيع بالقراءة والكتابة.

وكنت أكتب أحياناً خطابات في عشرات الصفحات لحبيبات خياليات لا وجود لهن.. وأحياناً كنت أرد على هذه الخطابات بالنيابة عن هؤلاء الحبيبات.

في هذا الجو المحترق بالكبت.. الملتهب بالرغبة كنت أجاهد
نفسى فى مشقة هائلة لأبدو فى الصباح وأمام الطالبات زميلاً مؤدباً
مهذباً.. وفى الواقع كانت كل تصرفاتى فى الظاهر تدل على إنسان
حسن السيرة طيب الخلق.. وكانت لى سمعة بين الزملاء بأنى
إنسان وديع طيب مؤدب.

ولكن فى حقيقة الأمر كان خيالى دائماً يشتعل بالرغبات
الحسية والأمانى الوضعية.. كنت أنظر أحياناً إلى فتاة بجوارى
بجانب عيني فى وجل وأنا أتمنى أن أركع عند قدميها.. وأعبدها
حباً..

وعندما كنت أسمع فتاتان تتهامسان كنت أتخيل على الفور
أنهما تتهامسان عني.. وأنها تسخران بي.. وكان الدم يغلى فى رأسى
وأتمنى لو أحرقتهما حيتين.

ودائماً كانت خيالاتى ومازالت ممزوجة بالنار.. فأنا أعبد كل
فتاة حباً ثم أنا فى النهاية أرغب فى الخلاص منها بحرقها.. فهى
لا تلتفت إلىّ ولا تشعر بى ولا سبيل إلى امتلاكها.

ومن فرط حبى للنار أحتفظ على مكتبى بشمعة.. أشعلها
وأفزع عليها وهى تذوب ولهبها يرتفع وفتيلها يستطيل.. ثم وهى
تساقط دموعاً.. ياله من منظر رائع.

وأحياناً أحرق الأوراق مدعيّاً أنها أوراق قديمة.. وأنا فى

الحقيقة أرغب في الاستمتاع برؤية النار وهى تأكلها وتحيلها رماداً
وهباءً..

وأحس في تلك اللحظات أنى قد فهمت السبب الذى أحرق
من أجله نيرون روما.

ولا أحد يعلم إلى الآن سر غرامى بوضع الشموع على
مكتبى فأنا فى العادة أقول لهم فى البيت إنى أضعتها احتياطاً بسبب
انقطاع الكهرباء.

ولأحد يدري بهذه المتعة الخبيثة التى أشعر بها وأنا أشاهد
شيئاً يحترق.. وأنا أخاف الظلام.. وأرهب سواد الليل ومواته.
وأحب ساعة الفجر حينما أقف فى الفرندة وأشعر أنى الوحيد
المتيقظ فى تلك الساعة وأن الدنيا كلها ملكى.. أنا الوحيد الذى
يراها ويرى جمالها.

كانت رحلة حياتى رحلة صراع ومعاناة طويلة.
وأخشى أن تتفاقم هذه الرغبات الشاذة والخيالات المنحرفة
فتجرفنى يوماً ما إلى حافة الجريمة أو الجنون.
ولا أعرف ماذا أفعل..

لقد صارعت نفسك إلى الآن ببطولة وكفاءة منقطعة النظير
فأنت برغم تشتتك ذهنى، ومراهقتك المضنية نجحت فى الشهادة

الثانوية بمجموع ودخلت الهندسة.. ولم تحاول إطفاء عطشك بعلاقة طائشة أو ليلة رخيصة.. وهدتك نظرتك إلى وسيلة ناجحة تطفئ بها انفعالك بالكتابة والقراءة.. محاولة بدائية للخلاص بالفن.

ومازلت برغم كل شيء سيد نفسك وقابضاً بيد من حديد على شهواتك وغرائذك وهذا انتصار.

وارتياحك للنار رد فعل النار الداخلية التي تأكلك.
وأعتقد أنك بمزاولة الرياضة العنيفة كالسباحة والتجديف والجري والمصارعة والكرة سوف تجد مصراً آخر لهذه الحيوية الدفينة التي تغلّى في دمائك..

وهذا تستطيع أن تكمل باقى الرحلة في أمان حتى تواتيك الظروف المناسبة للزواج.

والحياة المختلطة في المجتمع والنادى والبيت والكلية هى رثة لا بد منها.. ولا يجب أن تلوذ بالعزلة والوحدة وتغلق عليك باب غرفتك.. فمشاعر الصداقة والأخوة والألفة والمحبة تهذب الحيوانات الكامنة فينا.

وفى النهاية ليس مرضك عضالاً فالزواج سوف يشفيك منه إلى درجة الشبع والملل.. ويومها سوف تتعجب كيف كنت تفكر بهذه العقلية والجنون فى مسائل لا تستحق كل هذا الاشتهاء الملتاث.. ويومها سوف تدرك أن الخيال والفضول.. هما اللذان تأمرا

عليك وضخها اللذائذ لعقلك المشتت.. وأن المنوع والمحبوب
والمحظور والمستور والمجهول.. كانت كلها تعويذة اللعنة التي
غلت عنقك طوال هذا العمر.

وفي الغابة أذكر أني صادقت قبائل تعيش على الفطرة..
أفرادها عرايا حتى من ورقة التوت.. ومع ذلك يمر على الرجل
أكثر من الشهر لا يباشر امرأة وهجر الزوج زوجته سنتين بعد
الحمل لا يقربها ولا يباشرها.

وهذا شأن أكبر اللذات حينما تسقط عنها جميع الأثقة.

حكاية الحب الأول

نحن روح واحدة في ثلاثة أشخاص.. أنا وهو وهى.
صديقان هى ثالثتنا.. تعارفنا.. وكنا نتزاور منذ الصغر. ونلعب
معاً.. ونخرج معاً..

كنا نقول لها أسرارنا ونشكو لها متاعبنا.. وكانت هى تحكى
لنا حياتها وتشكو لنا زوجة أبيها القاسية.. وكيف تطهو وتغسل
وتكسش الشقة وحدها.. وتبكى بالليل دون أن يشعر بها أحد..
وكانت جميلة وطيبة..

وكبرنا.. وكبرت معنا.. وكبرت معنا آلامنا.. وكنا نتكلم فى كل
شئ إلا الشئ الوحيد الذى يؤرقنا.. حبنا.

كنت أحبها ولم يكن يشغلنى غير شعور واحد هو حبنى لها.
ولكنى لم أكن أجد القوة لأصرح بهذا الحب.. كنت أخجل منها
ومن صديقى، وكنت أسمى هذا الحب صداقة لاخدع نفسى..
ولكنى لم أستطع أن أستمّر فى الكتمان.. وراودتنى نفسى أن
أرسل لها خطاباً أشرح لها فيه ما أعانيه من الوجد وكتبت

الخطاب ودسسته في يدها.. ومرت أيام وأنا لا أقابلها وأتجنبها من الخجل والخوف والإحساس بالذنب.. ولكنها سعت إلى نفسها وجاءتني وهي تبتسم وفي يدها رد على خطابي.

وكان ردًا حارًا اعترفت فيه أنها تبادلني الحب.. وليلتها بت طول الليل مسهّدًا أتقلب على جنبى من الفرح..

واستمرت بيننا الخطابات أكثر من سنة.

وفي أحد الأيام لم أستطع أن أكتب السر عن صديقى صارحته بالحقيقة وحديثه عن حكاية الخطابات المتبادلة.. وهنا كانت المفاجأة فقد نظر إلىّ في دهشة واستنكار.. ثم دخل غرفته وأخرج حزمة من الخطابات من درج مكتبه.. وكلها بخطها وكلها تذوب حبًا ووجدًا وهيامًا.. وبعض العبارات مكررة في كلامها.. عبارات مثل:

أنظر إلى نجوم الليل فأتذكر سواد عينيك الجميلتين.. القمر مضى مثل ابتسامتك..

وبعض العبارات منقولة من خطاباتي لها.. ومن تغزلي فيها. وأجمعتنا الصدمة ولبثنا ننظر إلى بعض في ذهول..

كان من الواضح أننا ضحية مهزلة مثلتها علينا نحن الاثنين.. وأتينا نيكى ونسهر ونتعذب على لا شيء.. على كلام فاضى. وذهبنا إليها لنلقى في وجهها بالحقيقة.. فبكت واعترفت.. وقالت إنها تحبنا نحن الاثنين.. وأن حبها لنا ينمو معها منذ

الصفري.. وأن كل واحد فينا صورة من الآخر.. لا تستطيع أن
تفضل أحداً ولا أن تختار أحدا.. ولا أن تستغنى عن أحد.. هذه
هى الحقيقة.. وليظن كل منكما ما تشاء له ظنونه.. ولكنى أحبكما..
وهذا حبنى الأول والوحيد.

والمهم الآن أننا نحبها.. بالرغم من هذه الخدعة.
وأنا لا أدري ماذا يدور فى قلب صديقى.. ولكنى أعلم بما يدور
فى قلبى.. وأعلم أنى أحبها أعبدها.. وأنى أغتفر لها كل ما تفعل..
وأن حبنى لها سيكون حبنى الأول والأخير فى الدنيا..
وحلمى الوحيد أن أتزوجها.. وأعيش معها..
ما رأيك؟..

لو أن الظروف جمعتكما مع أية فتاة أخرى لوقعتما فى شراك
حبها تماماً كما حدث مع هذه الفتاة.. وهذه دائماً حكاية الحب
الأول فى كل مكان.. خطابات وسهر ودموع ووعود بالإخلاص
وخيبة أمل.. مع أية فتاة تلقى بها المصادفة..

وحكايات الحب الأول مائة جيدة للذكرى.. ولكنها لا تصلح
لتكون مادة حياة وزواج.

إنها الحرارة التى تبثها المراهقة. واللهب الذى يبش الشباب
حواله فى كل مكان..

احتفظ بالخطابات.. لتقرأها حينما تكبر.. واحتفظ بالقصة
كلها في الدرج معها..
إنها الآن تثير دموعك.. ولكنها غداً لن تثير فيك إلا ابتسامة
لطيفة..

الحنان

أنا مازلت صغيرة.. اعذرني في أسلوبى الضعيف، إني أشعر
بالحب نحو كل الناس ونحو أصدقائى، وهم يحبوننى ويبادلوننى
الإخلاص والتضحية.. وأخى كان مثلى وهو صغير، ولكنه فقد
الكثير من إخلاصه وحنانه حينما كبر وأصبح جافاً جامداً.
لا يؤمن بالعواطف.

وأبى وأمى أكثر منه جفافاً.. وأقل منه إيماناً بالحب.. وهم
يقولون لى إن كل شىء فى الدنيا مصلحة.. وإن كل واحد فى
الدنيا يجرى خلف منفعته.

والغريب أن حكايات أمى وهى صغيرة تدل على أنها كانت
عاطفية تؤمن بالحب والإخلاص مثلى.
ماذا يحدث للإنسان حينما يكبر ليفقد حنانه وحبه وإيمانه
بالإنسانية.

لماذا يصبح الناس أنانيين حينما يكبرون وما السبب؟
هل تهمل الظروف؟

من تجاربي البسيطة أميل إلى أن السبب هو عدم كفاية الحب
والحنان الذى تبذله الناس فى هذه الدنيا.

أنا مثلاً.. عندما أظهرت لأبى - الذى كنت أظنه عصياً
قاسياً - حنانى.. وأبديت له حبى بدلاً من خوفى.. وجدته يتحول
إلى إنسان رقيق غاية فى الرقة.. ورأيتَه يفعل المستحيل ليحقق لى
رغباتى.. ولاحظت أنه بدأ يضبط أعصابه حتى لا يبدو أمامى
قاسياً.

وكذلك أمى لما حاولت أن أتفاهم معها بدلاً من العناد،
وجدتها تحاول أن تفهمنى وتسمح لى بكثير من الحريات.

وعندما أعددت العشاء لإخوتى الساهرين فى الخارج وكتبت
لهم تحية المساء على ورقة.. طبعوا على خدى قبلة وأنا نائمة..

وفى الصباح لم يتعاركوا على المصروف.

ما رأيك.. أليست المشكلة كلها هى مشكلة حاجتنا إلى
الحب.. أم أنى صغيرة كما تقول أمى.. ولا أفهم فى الدنيا.

أنت لست صغيرة أبداً.. ربما كنت صغيرة فى السن.. ولكنك
كبيرة فى القلب والعقل.. أكبر منا كلنا.

لقد استطعت بفطرتك الصافية أن تدركى سرّاً كبيراً من
أسرار الدنيا.

إن الإنسان يبدأ حياته.. يتدفق بالحب والحنان والتفاؤل والثقة.. ثم يجف هذا النبع العاطفى فى قلبه كلما كبر.. ويتحول مع الزمن إلى عجوز أنانى بخيل لا يحس إلا مصلحته ولا يجرى إلا خلف منفعته.

والسبب أن أحلامه الصغيرة وعواطفه الصافية تصطدم مرة بعد مرة بما يخيب أمله.. ويزلزل ثقته فى الدنيا وفى الناس.

حبيبته تهجره وزوجته تكذب عليه.. وصديقه يستغله ولا يجد فى قلبه رصيذاً يغطى هذا الفشل.. ويحفظ له ابتسامته وتفاؤله فيفقد النضارة ويجف ويقسو.. ويتحول سخطه إلى سخط على الدنيا كلها.

والسبب كما قلت أنت.. إنه لم يجد كفايته من الحنان.. لم يجده فى الدنيا.. ولم يجده فى قلبه.. فأفلس.

والدليل على هذا أن القلب الكبير لا يحدث له هذا الجفاف مهما كبر وشاخ لأنه يجد فى نفسه القدرة على بذل الحنان دائماً مهما حدث له.. ومهما تلقى من صدمات.

وهذه القوة وحدها يستردها حب الناس الذى فقده.. ويسترد ثقته فى الدنيا..

وهذا هو ما حدث لك مع أببك وأمك.

إن مشكلتنا جميعًا هي كما تقولين في خطابك.. حاجتنا إلى الحب..

إن اعترافك الصغير البسيط هو أجهل وأصدق ما قرأت منذ بدأت في كتابة هذا الباب.

تحضير الأرواح

بدأت مشكلتي حينما بدأت أحضر الأرواح عن طريق السلة، وكان نتيجة لتحضيرى هذا أننى أصبحت اثنين فى شخص واحد. فقد تقمصتني روح من الأرواح تدعى نعيمة.. وسيطرت هذه الروح على تفكيرى لدرجة أنى أصبحت أعلم كل شىء عن نفسى وعن بقية الأشخاص الذين أتعامل معهم دون سؤالهم.. وأصبحت عندى القدرة على التنبؤ عن أشياء كثيرة دون أن أراها.

ودامت علاقتى بهذه الروح لدرجة أنى عاشرتها معاشرة الأزواج.

وكنت أحس بأن تفكيرى قد بات مشلولاً.. وما فائدة التفكير وأنا بإمكانى أن أتنبأ بكل شىء قبل وقوعه.. بالعمل الذى أعمله بالطعام الذى آكله.. بالخطوة التى أخطوها.. بكل شىء.. كل شىء..

وكان نتيجة هذا المس الروحى أن انهارت أعصابى وأشرفت على الانتحار والجنون.. وبحشت عن مساعدة فلم يصدقنى أحد

حتى المشرفين الاجتماعيين في المدرسة ضحكوا علىّ.
وأخيراً قادتنى ظروفى إلى جمعية روحية.. اشتركت فيها
وأصبحت عضواً مريضاً بها أعالج بالجلسات الروحية.
وتحسنت صحتى ولكنى لم أشف تماماً.. وكنت أشعر حينها كنت
أذهب هناك أنى لا أستطيع صعود السلم معها بذلت من مجهود.
وانقطعت عن الذهاب.. وعدت طبيعياً.

ولكن منذ شهر بدأت المناوشات بين هذه الروح وبينى من
جديد.. والمشكلة أنها تسبب لى متاعب جسمانية لا علاج لها..
والآن وقد بلغت من العمر ٢٢ سنة وأنا بهذا الحال.. لا أستطيع
أن أكاشف أحداً بهذه المتاعب.. حتى لا يتهمنى بالجنون..
ولا أعرف ماذا أفعل.

وأخشى أن تعود هذه الروح إلىّ وأرجو أن تمد لى يد المعونة.

أولا هذا كلام فارغ.

تحضير الأرواح بالسلة كلام فارغ.. وحكاية الروح التى
اسمها نعيمة التى ركبتك وعاشتها وعاشتك معاشرة الأزواج
وفتحت لك مغاليق الغيب.. فأصبحت مكشوف الحجاب.. كلام
فارغ.. ولو كنت مكشوف الحجاب بصحيح لعرفت أسئلة
الامتحان وعرفت الأجوبة، ولكان فى إمكانك أن تذهب إلى
سباق الخيل لتلعب وتكسب مليون جنيه على كل الخيول

الرابحة.. ما دمت تعرفها مقدماً.. ولرقت فرحاً بهذا الزواج
الروحى بالسنت نعيمة بتاعتك فهو زواج مريح جداً لا يحتاج إلى
إيجار. شقة ولا إلى عفش، ولا مسئولية بيت وأكل وشرب
وأولاد.. إنه لذة صرفة يا بلاش بدون تكاليف عليها بقشيش
كمان هو الاطلاع على الغيب مجاناً.

انزل إلى الشارع وابحث عن ورق اليانصيب الرابع ما دمت
تعرفه مقدماً.. واشتره.. واكسب ألف جنيه يومياً.. ولا تبك على
حظك ولا تذهب لجمعية روحية لتعالج نفسك.. وليه.. واحد يعالج
نفسه من مرض هو الجنة بعينها.

لكن الحقيقة أن الحكاية كلها كلام فارغ.. وأوهام فى أوهام
وخيالات أوهمت بها إلى نفسك وصدقت نفسك.. وإيمان ساذج
رحت ضحيته.

وأؤكد لك أنك ستشفى تماماً فى اللحظة التى تفقد فيها إيمانك
بتلك الأرواح الخرافية.

وسوف تفقد إيمانك فى اللحظة التى تناقش فيها نفسك فى
هدوء وثقة وبدون خوف.

وتأكد أنه لا شىء فى الدنيا يستحق أن يخاف منه الإنسان
فالإنسان قد أثبت أنه يخيف أكثر من الشيطان نفسه.. فهو قد
صنع القنبلة الذرية وطار فى صاروخ إلى القمر.. وركب كوكباً دار
به حول الأرض.

ومن الذى ركب الكوكب ودار به حول الأرض؟
امراة اسمها فالنتينا.

يا رجل عيب.. فوق لنفسك مش عيب نبقى فى عصر
فالنتينا.. وأنت فى عصر نعيمة!.

عقب السيجارة

بدأت حياتى بزواج فاشل انتهى بخيانة زوجية وطلاق..
أعقبته سنوات من الوحدة والمرارة والحراب والأعصاب التالفة
والأرق والمتاعب الجسمية والنفسية من كل نوع.
كنت أشكو الصداع المزمن وسوء الهضم وأدمن على المنومات
والمسكنات.

وكان هناك ما يدمرنى أكثر من هذا المنغصات الجسدية.
هو الشك وسوء الظن وفقدان الثقة وفقدان الأمل واليأس
من الدنيا.. ومن الوفاء.. ومن جنس النساء على إطلاقهن.

عشت سنوات وأنا بهذه الحالة النفسية.. أتحرك مذهولا شاردًا
كشبح.. أعيش فى عزلة معها خالطت الناس ومهما غشيت
المجتمعات كنت أشعر أنى منفصل عن الضحكات حولى.. منعزل
عن القهقهات المرححة.. غائب فى نفسى، فى التيه المظلم فى داخلى.

ظللت على هذه الحال حتى عرفتھا، كانت امرأة فى الأربعين
مريضة عليلة ذابلة.. امتص حياتها ثلاثة أزواج لم يتركوا لها

سوى أثر باهت من جماها وبقايا من جسد مرهق وبيت خرب..
لا طفل.. ولا طفلة.. ولا ذكرى.
قال لى خالى الطبيب الذى فحصها.. إنها لن تعيش أكثر من
سنة.

وبدأ كل منا ينفض همومه إلى الآخر.
وتوثقت بيننا مع الزمن رابطة غريبة.. هى رابطة الألم.
كانت تقول لى.. وعيناها دامتان.
ما نفعى.. لقد انتهيت.. لم يعد هناك رجل يمكن أن ينظر إلى..
ولكنى كنت أنظر إليها وأحتضنها بعينى وقد ذابت شكوكى
على وقع كلماتها.

أخيراً.. أحسست أنى أثق فى امرأة من جديد.
كيف حدث هذا.. لست أدرى!
وتطورت الأمور بسرعة.. وعرضت عليها الزواج.
وثارت العائلة.. وواجهنى الكل بزوبعة من الصراخ
والاحتجاج.

كيف تتزوج من هذه العجوز العليقة الذابلة التى امتصها
الرجال.. وأنت رجل فى الثلاثين فى كمال رجولتك وصحتك.. غنى
جميل جذاب.. لا ينقصك شىء.
إنك تلتقط عقب سيجارة دخنها الكل. ولم تعد تصلح لشىء
وأنتا مقضى عليها بالموت لا محالة.. فزاد هذا تمسكى بها.

وأنا الآن أستعد لإتمام الزواج في الأيام القادمة.

سوف أتزوجها معها حدث.

الكل ضدى.. الكل يخذلوننى.. ولكنى أحبها ما رأيك فى هذا الحب.

أخشى أن أقول لك إن هذا ليس حباً كما تتصور.. إنه مرضك العصبى الذى وجد دواءه فى هذه المرأة.. إن مشكلتك الحقيقية أنك فقدت الثقة فى كل النساء.. وأصبح ظل الخيانة يحوم حول كل امرأة تنظر إليها.

ولهذا استحال أن يتجدد حبك.

ولهذا ظللت تعيش فى وحدة وضياع حتى عثرت على هذه المرأة.

امرأة انتهت على حد تعبيرها هى.. ولم يعد لها نفع.. ولم يعد من الممكن أن ينظر إليها رجل. كانت هذه الكلمات كقطرات الندى التى نزلت على أعصابك.

ها هى ذى امرأة لا يمكن أن تكون موضع شك.. ولا موضع خيانة.

وشعرت بالراحة.. فى أعماقك.. وفى أعماق عقلك الباطن..

وحينها قال لك خالك الطيب.. إنها ميتة.. ولن تعيش أكثر من

سنة.. شعرت بالاطمئنان أكثر فسوف تتزوج جثة لا يمكن أن
تخونك أبداً.

كانت هذه الأحاسيس تخالجك من الباطن وكان عقلك
الواعى يخدعك ويصور لك هذه الأحاسيس والروابط على أنها
حب.

ولكنها ليست حباً.. إنها عقابك لنفسك.. وسوء ظنك الذى
تحكم فيك.. ثم حكم عليك بهذا الاختيار المريض.

انظر إلى حياتك من جديد.. وحاول أن تتخلص من هذه
العقدة واترك المريضة لحالها.. وابحث عن امرأة تناسبك.
إن الدنيا مليئة بالبنت.. وبالإخلاص والحب والخير.

أحب العيب وأحلم بالعيب

ترددت كثيراً قبل أن أكتب لك هذا الخطاب ومزقته وأعدت كتابته أكثر من مرة.

وصلت ركعتين لله ليلقى منك الاهتمام فلا تلقه في سلة المهملات.

وأعرفك بنفسى أولاً.. أنا طالبة بالثانوية العامة.. شكلى عادى، ولكن كل من يعرفنى يقول عنى أننى شيك وجذابة. أخواتى كلهن أصبحن عرائس فى بيوتهن وماما وبابا كبار فى السن.

كل ما أطلبه فى البيت أجده.. ولى حرية فى الخروج كما أريد وهنا المشكلة، فأنا من صغرى نشأت على هذه الحرية وعلى الاختلاط بأولاد العائلة وكنت دائماً مثال الأدب.. ليس هذا شكراً فى نفسى ولكنها الحقيقة.

ولكن لا أخفى عنك.

منذ سنوات.. ومنذ بدأ البلوغ يخلق منى الأنثى الكاملة وأنا فى صراع.

لم أعد أنعم بالهدوء والبساطة التي كنت أنعم بهما وأنا طفلة.
أجلس بين زميلاقي في المدرسة، وكل واحدة تحكى أن لها
صاحباً تقابله من وراء أهلها.. والبعض يخرج من البيوت بمريلة
المدرسة وتحتها فستان ميني جيب ويخلعن المريلة في أول تاكسي
وينطلقن إلى لقاء الحبيب الموعود في الجبلية أو السينا أو الشقق
الخاصة.

ونتجمع نحن البنات حول من تحكى عن تجاربها الأولى في
الحب، ونستمع بأذان مشتاقة لهفانة إلى أول قبلة وأول عناق.

ومن هؤلاء البنات من تفتح حقيبتها فترى أوراقاً بعشرة
جنيهاً، وبالطبع نبارى في الشتم واللوم والتقريع لأمثال هؤلاء
البنات ونقول عنهن: منحرفات ضائعات خاطئات.. ولكن
ما يكاد ينفذ السامر حتى تذهب كل واحدة منا وقد بدأت
تنسج لنفسها وفي خيالها رواية طويلة عريضة وشريطاً من
المغامرات والانحرافات المكروهة المحبوبة لتعيش عليها طوال
يومها في الفسحة وفي الطريق وفي البيت وهي تمسك بكتابها وفي
البلكونة في ضوء القمر، وفي آخر الليل في الفراش حينما ينام كل
البيت ولا تبقى إلا مخدتها لتسهر معها وتبللها بالدموع.

وفي كل منا يبدأ صراع بين الممنوع والواجب.. بين إغراء
الجديد الخير.. وسيطرة التقاليد والدين ونصائح الوالدين..

وبالنسبة لمن تقلك الحرية يصبح هذا الصراع عذاباً ممدوداً
بطول الليل والنهار.

وبالنسبة لفتاة مثل أشعر أنه من المستحيل علىّ تماماً أن أقوم
بأمثال هذه المغامرات.

ولكن مع ذلك، أنا لى مغامراقى.

منذ ثلاث سنوات وأنا فى الإعدادية كان هناك من يقف تحت
شباكى.

كنت أراه فى الترام كل يوم وأنا ذاهبة إلى المدرسة وهو ذاهب
إلى الكلية، وكنت أشعر بنظراته تتقافز على صدرى وتتجول فى
شعرى المرسل مكان الضفائر التى قصصتها. ولم أكن أجد القبرة
على رفع وجهى لأنظر فى وجهه.. وعلى البلاج فى الصيف كنت
إذا رأيته يدق قلبى وينخلع من صدرى وأشعر به ينبض فى حلقي
ويكاد يغشى علىّ من الاضطراب.. وكان يكلمنى فأموت خجلاً
ولا أستطيع أن أرد عليه.

وبالطبع انتهت هذه الحكاية الآن وانتهت هذه العواطف
الطفولية الخرساء إلى لا شىء.

لم يعد صاحبنا يقف تحت الشباك، ولم يعد يحاول أن يكلمنى
وانتهت الحكاية بالنسبة له وإن كانت لم تنته تماماً بالنسبة لى.
وأحكى هذه الحكاية للبنات فيضحكن على سذاجتى.

وأسير الآن فى الشارع فتطاردنى المعاكسات وكلمات

الإعجاب، ولا أخفى عليك أنى أطرب كثيراً لهذه المعاكسات
وأتمنى لو توقفت لحظة مع ذلك الذى يعاكسنى بكلماته اللطيفة،
لأنظر طويلاً فى وجهه، مجرد نظر ثم يمضى كل منا إلى حاله..
وبالطبع أطرد مثل هذه الرغبة بسرعة وأسير فى طريقي.

وسوف تضحك علىّ إذا قلت إنى ما زلت أقف عند محطة
سيدى جابر لأنظر إليها بعينين دامعتين.

كم أحببت هذه المحطة وما زلت أحبها.. حيث كان حبيبى
القديم الذى لا أعرف حتى اسمه يلتقى بى ذاهباً إلى كليته كل
يوم.

وفى أحيان كثيرة أشعر بالثورة على نفسى لدرجة الرغبة فى
تدمير نفسى تماماً لأنطلق كما أشتهى بلا حواجز وبلا حوائل
لأعيش كما تعيش البنات المتطلقات.. فى سنى.

وبين الثورة والعجز.. بين مد وجزر العواطف أتعذب.
وبين الخيال المستحيل والواقع المذهب المؤدب، أعيش وتعيش
مثلى بنات كثيرات.. ولا أعرف ماذا أفعل.. أريد على الأقل أن
أقتنع بحياتى وسلوكى وفضائلى.

أريد نصيحتك.

لا أريد المواعظ والحكم إياها فإنها لم تعد تؤثر فى.
ولا أريد أن أقتنع بأنى على حق فى طريق الحرمان الذى

اخترته لنفسى وإنى لم أحرم نفسى من شىء هو الحياة كما تقول البنات.

أريد أن أشعر أن الأدب والتهديب والفضيلة لها ما يبررها فعلاً لا قولاً.

كلمنى كرجل عصرى ولا تقل لى حرام وحلال وعيب ومش أصول فأنا لن أكذب عليك.

أنا أحب العيب.

ونفسى فى العيب.

وخيالى كله يحلم بالعيب وينام فى العيب ويصحو فى العيب، وأريد أن أشعر أن هذا العيب هو بالفعل عيب وأنه ضد الحياة.. وليس الحياة كما تقول لنا الأغاني والأفلام التى تصور لنا كل يوم أن هذا العيب هو نعيم الحياة وبهجة الدنيا.

أريد أن أصحو من هذه الكذبة التى زينتها لنا الكتب الرخيصة، وموضة العصر التى تقول لنا كل يوم إن الحشيش هو الغذاء الصحى.

وكيف نفيق من غرزة الحشيش.. ونحن مغرورون فيها.

م. ع.

اسكندرية

لن أخاطبك بلغة الحرام والحلال.

وأكثر من هذا سوف أوافق معك ومع البنات إياهن على أن إشباع الشهوة ربما كان مسألة لذيدة لمدة الخمس دقائق.

ولكن الحياة ليست هي هذه الدقائق الخمس أبداً، وليست أهداف الحياة وغاياتها هي هذا الإغناء العابر اللذيد في الفراش، وهذه الدقائق من المتعة العاجلة التي تعقبها الرغبة في النوم، ثم لا شيء ولو أننا استهدفنا هذه الغايات فقط لظللنا قروداً على الشجر وهائم تسرح في الغابات.. ولما اخترعنا الكتابة والقراءة والورق والبارود والصواريخ والراديو والتلفزيون والقطار والطائرة.

إن الإنسان الآن مشغول بالصعود إلى القمر والارتحال في الفضاء إن الإنسان أعظم بكثير مما تتصور صاحباتك البنات المهفوقات. وبين إطلاق الشهوة بغير حدود وبين ضبطها.. بالإرادة والعقل يبدأ الإنسان.. إن الإنسان إنسان لأنه لم يترك شهواته تقوده، ولم يترك أهواءه وعواطفه تسيره وتحكمه، وإنما هو الذي قاد هذه الشهوات وحكم هذه الأهواء والعواطف.. وكان سيدها.

وما تظنيه حرية هو في الحقيقة عبودية.

التي تخلع مريلة المدرسة لتلتقط أول تاكسي إلى شقة صاحبها حيث تخلع باقى ثيابها، هي إنسانة فقدت حريتها فلم تستطع أن

تقاوم رغبات حواسها العاجلة وأصبحت عبدة لها تجرّها أعضاؤها التناسلية من شقة إلى شقة، أو تجرّها أطماعها المادية، وهذا أسوأ، فجعلت من جسمها مادة للتجارة وهذه درجة من الاستعباد أبشع وأذل.

ولكنّ التي استطاعت أن تسكت صوت شهوتها لتستمع إلى صوت عواطفها هي امرأة أكثر حرية.. والتي استطاعت أن تتحكم في عواطفها وتسكتها لتستمع إلى صوت عقلها وتتحكم في جميع طاقاتها وتسودها وتقودها في طريق تحقيق المعرفة والمحبة.. هي الإنسانية.. وهي مثل مدام كورى سوف تبتكر وتكتشف الراديوم وتتقدّم به ملايين المرضى وتغيّر به التاريخ وتؤثر في الحضارة.

وفرق كبير بين القردة «شيتا» التي تهersh طول الوقت بين فخذها وبين مدام كورى الإنسانية المستنيرة الجميلة في إنسانيتها. والمسألة ليست مسألة حرام وحلال فقط وإنما مسألة جمال وقبح. والله لم يحرم علينا إلا كل قبيح.

وليس أجهل في الدنيا من مريلة المدرسة.. لأنها رمز للإنسان ورمز لقدرته على سيادة جميع الخوافز الحيوانية.. واختيار طريق الحرية الصحيح والإفلات من قبضة العبوديات الحيوانية الكثيرة التي ولد بها ليضع نفسه في النهاية في خدمة العلم والتقدم والحياة وليس في خدمة هذا الهرش الجنسي الذي لا يدوم أكثر من خمس دقائق.

وليس معنى هذا أن نخنق الحب ونقتل نوازع أجسادنا إلى
النهاية وإنما العكس.

نحن نفعل هذا لأننا نحترم الحب ونريد أن نجعل منه عاطفة
دائمة ووسيلة إلى بناء أسرة واختيار زوج، والوصول إلى متعة
طويلة الأجل لا قصيرة الأجل، ومحبة مستقرة لا شعلة غرامية
تنطفئ في أيام وتترك الندم والحسرة لباقي الحياة.

وواضح جداً أن معاكسات الشوارع والتردد على الشقق
ليست هي الوسائل التي ينمو بها الحب ليؤدى إلى الزواج..
ولا سن المراهقة هي السن التي تؤمن فيها العواطف على
الاختيار الواعى السليم لشريك العمر.

ولا مفر من أن تكون مرحلة المراهقة هي مرحلة صراع.. لأنه
من خلال هذا الصراع والمغالبة تنمو الإرادة وتتكون الشخصية
.. ويولد الإنسان من الحيوان.. وتولد مدام كورى من القردة شيتا
.. لا بد من الحرمان.. لا بد من المعاناة.

أما التي تخلع ثيابها عند أول زوبعة من زوابع المراهقة، والتي
تلقى بنفسها بين ذراعى أول مراهق يعاكسها على محطة ترام
وتظن أنها حرة، فإنها تخطئ الفهم.. فهي لا تمارس حرية.. وإنما
القرء هو الذى يمارس فيها تجربته.. لقد هبطت بنفسها إلى مجرد
أداة فاقدة للحرية والاختيار فى يد القرء الهائج داخلها.. وهى
فاقدة للاختيار تماماً.. فأى رجل يظهر فى شباك الجيران هو

روميو.. وأى ذكر يلقي عليها كلمة في ترام هو الحبيب الموعود..
والهلوسة العاطفية التي يتبادلانها في البداية هي أعذار ومبررات
ليصل كل منها إلى حضن الآخر بطريقة ظاهرها محترم فيكذب
على نفسه ويكذب على رفيقه.. ولا يظهر كذب الاثنين إلا فجأة
وفي النهاية حينما يشبع القرد ويبدأ الملل بعد انتهاء الدقائق
اللذيذة.. يبدأ كل واحد يقفز إلى شجرة جديدة بحثاً عن دقائق
جديدة ينسى بها الحنية التي أعقبت الدقائق القديمة.

والأخلاق ليست مجرد أوامر ونواه.. وليست قيوداً.. إنها
القيود التي يضعها الإنسان على مخالف الحيوان بداخله وليست
أبداً القيود التي يضعها على يديه الإنسانيتين.. وهذه القيود تصبح
يداه أكثر حرية وانطلاقاً.

هل أنا واضح.

وهل بإمكانك الآن التفكير في وضوح برغم غرزة الحشيش،
وضباب الحشيش التي تعيشين مغرورة فيها أنت وغيرك من
البنات في أغاني الإذاعات وأفلام التليفزيونات.

وما هي النظافة؟

كانت جارقى..

تبادلنا النظرات.. ثم الإشارات.. ثم تلاقينا.. لتبادل الممس
وليضغط كل منا على يد الآخر.. ثم ذهبنا إلى سينا وفي الظلام
وشوشت في أذنها بكلمة الحب.. ولثمت يدها وخدها..

وبعد شهور اختليت بها في بيتى وأعطتني نفسها.. جسماً
وروحاً.. ومنذ أيام.. كنا نتكلم أنا وأبى وأمى.. ولاحظت أن أبى
وأمى يتبادلان النظرات والابتسامات.. ثم قالوا لي إنها خطبا لي
عروسة.. وذكرنا لي اسمها..

ودار رأسى.. واظلمت الدنيا في عيني.. فقد كانت هي نفسها..
جارقى.

وكان أبى وأمى يتكلمان في براءة..

وكانا مسرورين.. وكانا يقولان إنها بنت طيبة وشريفة.. ومن
أصل طيب.. ومن المدرسة إلى البيت.. ومن البيت إلى المدرسة..
ولا تعرف مياعة بنات اليومين دول.. ولم تطلع عليها سمعة سيئة
مثل غيرها من بنات الجيران..

وكننت أسبج فى عرقى.
ولقد كننت الوحىء الذى يعلم أمر هءة البنء الشرىفة الطىبة
الءى لا تعرف مىاعة بناء الیوم.

كننت أنا الوحىء الذى أعرف مىاعءها. وءلعها. وءسارءها.
ولأول مرة.. حىنما بءأء أءصور أنها زوجءى.. أءسست أنى
أكرهها.. بءل ما فى كءمة الكراهىة من معنى.. ولا أطق رؤىءها.
لقد كان حلمى.. طول حىاقى.. أن أعر على امرأة طاهرة..
أن أبى بىءى على حب طاهر نظىف.
ترى.. هل فاء الأوان.

كان یجب أن ءكره نفسك أولاً.
وكان یجب أن ءبعء عن الشىء النظىف فى ءاءلك أنت
أولاً..

إنك باسم الحب اسءءرءء صاءبءك حءى اءءلءء بها.. ءم
بصءء علیها.. واءءبرءها غیر نظىفة.

غىر نظىفة لماءا؟ لأنها صءءء كلامك.. وطاوعء رغىءك..
إن ما فعءءه من نءالة هو ءرس مفىء لكل بنء ءطاوع ضعفاء
وءءسءلم لرءل.

سجن بدون قضبان

ترددت كثيراً في الكتابة إليك خوفاً من ألا تفهم موقفى..
وتتهمنى بأنى دلوعة.. ولكن هأنذا أجازف وأكتب لك كل شىء..
أنا شاب فى أوائل العقد الثالث من عمرى.. تخرجت من
الجامعة من مدة ليست طويلة.. وحالى المالىة ميسورة ومظهرى
حسن.. ولكن مشكلتى أنى أحس بفراغ رهيب مخيف، وعدم
اهتمام بأى شىء فى الحياة مما يجعل أيامى وليالى غير محتملة..
فأنا أستيقظ من النوم حاملاً على كاهلى هم وعذاب، إنى
سأعيش يوماً جديداً كاملاً.. ٢٤ ساعة.. ولا أتصور كيف ستمر
على كل هذه الساعات فليس لدى أى شىء اهتم بأن أشغل
نفسى فيه وأكون سعيداً بانشغالى به.. وإنما على العكس أنظر إلى
كل شىء نظرة ازدراء وتجاهل وعدم اهتمام.. ولا أعرف كيف
أفسر هذا الشعور المؤلم الذى قلب حياقى إلى جحيم لا يطاق
ودفعنى للتفكير فى الانتحار.

لقد أحببت لأول مرة حباً جارفاً ملأ على كيانى.. ولكن
بالرغم من هذا.. وبالرغم من أنى كنت أغلى كالبركان من

الداخل.. لم يكن يظهر على شيء من هذا الشعور.. ولم أصرح
حبيبتى بأى شيء.. وإنما كنت أقف لأحدثها بمنتهى البرود.
وكنت أعبدها.. وأعبد التراب الذى تمشى عليه.. وكان المكان
الذى تذهب إليه هو عندى أحسن الأمكنة.. والساعة التى تحضر
فيها أجل الساعات.. وكنت أتمنى أن أذهب وراءها إلى أى مكان
تذهب إليه.. وأجلس إليها طوال الوقت أستمع إليها وأتحدث
معهها وأنظر إليها، وكان قلبى يdq حينما أكلمها ولو فى التليفون..
وكان يكفى أن أرى فتاة تشبهها، حتى يهتز كيانى كله.
وبالرغم من هذا لم أظهر لها شيئاً.

وإذا بدا عليها أنها حزينة تحولت إلى أنعس إنسان فى الدنيا..
وأصبحت مهموماً شاردًا وبالطبع لم ينته هذا الحب إلى شيء..
وتزوجت هى وأصبح حبيبى شيئاً مضحكاً ومزرياً بالنسبة لى..
فطويته فى جانب بعيد قصى من قلبى.. وانهمكت فى دراستى
بالكلية لأنساها.. ومرت سنتان.

وانتهيت من الدراسة وحصلت على الشهادة التى أرى الآن
مقدار تفاهتها.. وانتهيت إلى الحالة التى شرحتها لك.

تمر على أيام.. لا أحس بأنى أرغب فى شيء.. لا أريد أن أقرأ
أو أخرج أو أسمع موسيقى، أو أمارس أى هواية من هواياتى..
وإنما أظل ممدداً على سريرى لا تصدر منى حركة.. وعبر الوقت
بطيئاً مملاً ثقيلًا وأنا كالبركان النائر من الداخل.. كلنى اشمئزاز

ونفور من حياتى بهذه الطريقة.

لم أعد أهتم بأصدقائى.. ولم أعد أهتم بالأشياء الجميلة التى كانت تسعدنى فيها مضى كالموسيقى والقراءة والسينما والنادى.. وهكذا أعيش وقد.. عدت كل شىء حتى الذكريات.. فذكرياتى سخيصة تافهة وحاضرى فارغ ومستقبلى مظلم.
لا أظن أن لديك نصيحة أو حلا.. والحقيقة أنى لم أكتب منتظراً أى حل.. وإنما أردت أن أريك بعض حالات الشقاء والتعاسة التى يمكن أن يعيش فيها الإنسان بالرغم من توفر الفرص والوسائل لديه ليكون سعيداً.

* * *

إن شخصيتك غريبة.
إن فيك انطواءً يدفعك دائماً إلى أن تمضغ انفعالاتك فى قلبك ولا تنطقها.

لقد عشت فى بروقة حب.. ولم تحاول أن تمارس هذا الحب أو تجربة.. ولم تفعل هذا على سبيل البرود أو الدلال.. ولكن فعلته جبنًا وخجلًا وترددًا.. لانطوائك على نفسك وخوفك من الخروج منها.

وهكذا بدأت قصة حبك فى داخلك.. وانتهت فى داخلك دون أن يسمع بها أحد.

وهأت ذا تسلك فى حياتك كما كنت تسلك فى حبك.. تمضغ

انفعالاتك.. وتعلق رغباتك على حبال الملل والانتظار.. ثم لا تكتفى بعدم العمل وإنما تتجاوز إلى عدم الاهتمام.
إن شخصيتك تسودها البطالة والتعطّل.. كل شيء فيها مضمّر.. وممكن.. ولكنه غير واقع.

شخصيتك تشبه دولة بها جهاز تشريعي وليس بها جهاز تنفيذي.. ومثل هذه الدولة تعيش في النظريات ولا تفعل شيئاً.
إن ما ينقصك ليس الحب.. ولكن العمل والبت والإيجابية والفعالية.

افعل شيئاً أى شيء.. وإذا لم تكن لديك الرغبة فاحمل نفسك على فعل شيء.. ومن الحركة تتولد الرغبة.. ويتولد الاهتمام.
إن نجاتك الوحيدة في العمل.

أما إذا أسلمت نفسك لهذه البطالة فإنك سوف تختنق يوماً بالطاقة التي تفور داخلك ولا تجد لها منفذاً تعمل فيه.. وسوف تنتهى إلى أسوأ النتائج.

الاختيار

تزوجت في سن الخامسة عشر رجلاً يكبرني بنحو ٢٠ عاماً
تحت ضغط أب عنيد وأم جاهلة، كل همهما الثراء والمركز والمكانة
التي تليق باسم العائلة.

حاربت هذا الزواج بكل ما أوتيت من قوة وصراخ وبكاء..
ولكني لم أفلح.

وباعوني كلهم.

ودخلت وأنا أرتجف بيت رجل لا أحبه.. رجل قبيح الخلقة
والخلق.. بخيل.. شاذ الطباع.. شديد المعاملة.. كل كلماته أوامره..
كان لا يعود بيته قبل الثانية صباحاً تفوح منه رائحة الخمر..
يترنح.. ويتكلم.. بفم معوج.

وتعطي لحظات الفراش ثقيلة.. هو من ناحية جلف غليظ في
مغازلته.. أنا في لا يهجم إلا أن يحصل على متعته. ثم يدير ظهره
ويتركني. وأنا من ناحيتي أعاني الخجل والاشمئزاز والإحساس
بأهوان.

وكنت أشكو لأمي كرهى له وعزمت على النوم وحدي..

وكانت تنهرفى وتقول لى كرهك وحبك لنفسك ضعيه فى قلبك.. أما
جسدك فهو ملك له.

وسمعت كلامها.. وبدأت أترك له جسدى كخرقة بالية
لا حراك فيه ولا روح.. وأنجيت أربعة أولاد.. وأنا أتعذب..
وأكتم فى نفسى.. حتى انهارت أعصابى.. وأصابنى ضغط الدم
والقلب.. وبدأت تتناوبنى الأمراض.
وبدأت أبعد عنه جسمائى.

كان هذا منذ اثنى عشر عامًا.
أصبحت لا أحتمل مجرد سماع صوته أو رؤيته وكنت حينها
أراه يدق قلبى بشدة ويكاد يتوقف وتتأبى حالات عصبية.
ومنذ أربع سنوات انقطعت عن الكلام معه.. وأصبح لى جناح
وحدى فى البيت.. وله جناح وحده.
وإلى الآن لم يطلقنى.. وهو يقول.. إنه لن يتركنى حتى أصبح
غير صالحة له أو لغيره.

ولكنى لم أعد صالحة له ولا لغيره.. منذ الآن.
لقد أصبحت بعد عذاب ٢٥ سنة امرأة محطمة أولادى كبروا
وأصبحوا شباناً.. وأنا ذبلت وأصبحت مريضة.
والآن أريد أن أستريح.
أريد الخلاص منه بأى طريقة.. إنه لا يريد أن يطلقنى.

وأنا لا أستطيع أن أطلب الطلاق من المحكمة لأن مركزى
ومركز أولادى ومركز العائلة لا يسمح.. لا أريد فضائح.
أفكر فى تغيير دينى لأصبح محرمة عليه.. ولكنى أخاف من الله.
كيف يكون خلاصى.. إنى تعيسة.

* * *

إن العجيب فى خطابك هو صبرك العمر الطويل.. هذه
السنوات الخمس والعشرين حتى انتهيت إلى هذه الحالة من
ضغط الدم والقلب والانهيئات العصبية والمقاطعة الجسدية، ثم فى
النهاية إلى عدَم تبادل الكلام.

وأخيراً وبعد خمس وعشرين سنة وبعد دفع كل هذه الضرائب
الباهظة أحسست أن الحياة أصبحت لا تحتل. وأنه لا بد من
خلاص..

وأى خلاص؟! خلاص يتم بمعجزة.. بدون أن يطلقك.. أو
تطلقيه بالمحكمة حتى بعد الخمس والعشرين سنة مازلت تخافين..
وتقولين.. أولادى.. عائلتى.. مركز العائلة لا يسمح.

ولكن أمك حينما زوجتك بالإكراه كانت تقول هذا أيضاً..
مركز العائلة لا يسمح.. اسم العائلة يستدعى.. إلخ.. إلخ.
كانت أمك أسيرة المظهر المحترم والسمعة فاخترت لك زوجاً
ذا لقب وأطيان.

وتعذبت العمر كله لأنك عجزت عن البت في مصيرك.. كان
البت يحتاج إلى إسقاط هذه الاعتبارات.. وأنت مثل أمك تخافين
على هذه الاعتبارات!

واتخاذ أى قرار في الدنيا يحتاج إلى التضحية بشيء.
نحن نقامر بحريتنا واختيارنا في كل لحظة. وأنت تطلين
الأمان.. وهذه نتيجة الأمان.

أنا أعرف الشيء الذى يرهقك.. إنه ليس كره زوجك.
ولا ضغط أمك.. إنه ضعفك.. ضعفك أمام اللحظة الفاصلة. لحظة
اختيار المصير.

ولكنك تنسين أنك اخترت وانتهى الأمر، وأن هذه ثورة بعد
فوات الأوان.

وإن الأكرم لك الآن الصبر والتضحية بهدف الحفاظ على
كيان الأسرة أفضل من الطلاق بلا هدف.

حقيقة المشكلة

أنا طبيب حديث التخرج.. ناجح في عملى كما كنت ناجحاً في دراستى.. حالتى المالية من عملى ومن إيراد خارجى متيسرة جداً.. أمتلك سيارة.. وشقة خاصة.. مؤهلاتى الشخصية ممتازة.. رياضى متفوق فى أكثر من لعبة.. صحتى جيدة.. شكلى جميل.. أنيق جذاب.. ذكى.. محبوب من الجميع.. خفيف الروح.. بارع فى اكتساب الصداقات.. وفى استهواء القلوب.

بدأت تجارى مع الجنس الآخر فى سن مبكرة، من الخامسة عشرة.. وكانت لى علاقات كاملة منذ تلك السن.

أنا الآن عضو فى أحد أندية القاهرة.. وملك هذا النادى غير المتوج على قلوب الحسان.. ولكن للأسف الفتاة الوحيدة التى أحبتها هى التى لم أحظ منها بأقل اهتمام.

وقلبى الآن موزع بين ثلاث فتيات.

فتاة أعبدتها ولا تحببى.

.. وفتاة أخرى تعبدنى لدرجة الجنون وحاولت الانتحار وأنا لا أحبها.

وثالثة لأحبها ولا تحبني ولكننا نتمتع معاً إلى أقصى حدود
المتعة.

إني أعيش الآن في يأس.. وقد كفرت بالحب.. وخلت حياتي
تماماً من الجانب المضيء..

ماذا أفعل لأكسب فتاتي التي أحبها.

* * *

إنك في اللحظة التي تكسب فيها هذه الفتاة التي تدعى أنك
تعبدتها.. سوف تضعها في خانة.. فتاة تعبدني ولا أحبها.. ثم تبدأ
في علاقة جديدة.. إنك شاب هلاس.. كل همك أن يكون لك
عرش.. وأن تكون الملك غير المتوج على قلوب الحسان.
إن ما يعذبك من فتاتك.. ليس حبك لها.. ولكن حبك لنفسك..
وغرورك.. الذي حطمته هذه الفتاة لأول مرة.

ولن يكون همك هو أن تبادها الحب أبداً.. وإنما سوف يكون
همك هو أن ترد اعتبارك لنفسك.. وتثبت لنفسك أنك مازلت
فارساً.. ولهذا سوف تلفظها بعد لحظة من استسلامها وتبدأ في
البحث عن أخرى.

إن خطابك الذي يتألف من ثلاث صفحات.. يحتوي على
صفحتين كاملتين.. تنغزل فيها في نفسك.. جاذبيتك.. جمالك،
صحتك.. شقتك الخاصة.. عربتك.. حالتك المالية.. ذكائك..
مهارتك في استهواء القلوب.. نجاحك في عملك وفي دراستك.

وفى الوقت الذى تقول فيه إن قلبك يتعذب وعواطفك
تتحرق.. تسمح لنفسك بأن تبادل امرأة أخرى المتعة بدون حب
من ناحيتك ولا من ناحيتها.. ولا يفعل هذا إلا إنسان بلا قلب
وبلا عاطفة.. وبلا مشاكل من هذا النوع الرقيق الذى تدعيه.
إن أحسن عقاب لك هو ما أنزلته بك هذه الفتاة.. التى
كسرت شوكتك وحطمت غرورك.. وأرغمتك على احترامها
وعبادتها.. وحينما تفهم كل فتيات النادى.. كيف يعاملنك
ويكسرن أنفك الجميل.. سوف تنصلح حالك وتتأدب.. أيها الملك
غير المتوج على دولة الهلس.

التعب

أنا شاب في الرابعة والعشرين.. تركتني خطيبتى قبل شهر ونصف بعد حب ملتهب.. وبدون سبب.. لتتزوج من غيرى فى بلد بعيد جدًا.. تحملت الصدمة بمرارة.. ثم بدأت أسلك طريقاً سيئاً.. أصبحت الفتيات الرخيصات كل هوايتى أبذل الواحدة بالأخرى على قدر ما معى من نقود.. ثم تعرفت على امرأة ذات سلوك يسميه الناس بالسلوك السيئ.. علمت أنها مطلقة ومازالت على علاقة بمطلقها.. عرضت عليها الزواج فوافقت.. لم أشعر نحوها بما يسميه الناس حباً.. ولا أية رومانتيكية.. وهى أيضاً علمتها التجارب وعلمها الخداع أنه لا يوجد شيء اسمه حب..

أصبح الأمر بيننا أشبه بصفقة.

أنا أشعر بالحاجة إليها.. ولكنى لا أفهمها.. وأحس بأن جميع عواطفها مغلقة أمامى.. ولم أر منها سوى بعض دموع فى اول اجتماعى بها.. وهى تشعر بالحاجة إلى.. ولكن ليس لديها حماس.. وأشعر بها باردة خاملة بين يدى.. ولا يجد أحداً الشجاعة الكافية

ليقول للآخر.. أحبك.. أعبدك.. أنت حياتي.

كلانا يشعر أن هذا كلام فارغ.

وأهلى يرون أن الحكاية كلها فاجعة.. ولا يوافقون ويهددون ويتوعدون.. وأنا حائر.

هل أتزوج الفتاة.. أم أتركها.. وأعيش في أحضان القلق والإسراف والإرهاق؟

وكيف أتزوج كما تزوج الناس.. وأنا لم أعد أعرف شيئاً اسمه بنت ناس.. وحب.. وانتظار.. وخطوبة.. وشرف وكرامة وسعادة زوجية.

* * *

إن اليأس هو المأذون الذي سوف يعقد زواجكما.. كلاكما محطم يائس غطى قلبه الصداً وفقد البريق والنضارة.. وكلاكما يتخبط.. هي مطلقة تعاشر مطلقها وتزوجك في نفس الوقت.. وأنت تعاشر شبح امرأة هجرتك وتخضع يدك في يدها وأنت لاتعرفها ولاتفهمها وتطلب منها الزواج.

إن العلاقة بينكما مفقودة تماماً.. وكل منكما يعيش في عزلة عن الآخر.. مغلق على مأساته.. ومشكلته.

وما يربط بينكما هو التعب.. والضجر.. والملل.. ومثل هذه العلاقة مقضى عليها بالفشل.. إنها مثل المولود الذي يولد ميتاً. اصرف النظر عن هذا الزواج.. واقطع علاقتك بالمرأة..

وبكل النساء.. وأقضى بضعة شهور في صوم وتفكير.. حتى تستعيد شهيتك الطبيعية.. وإقبالك على الحياة.. وأشواقك القديمة.
إن أسوأ ما يفعله المحب بعد صدمة عاطفية أن يمضى في علاقاته.. إن مرارة الفشل تغير طعم الحياة في فمه.. وتشوه أحكامه دون أن يدري فتصبح كل علاقاته مريضة يسكنها الحقد والشر.

بعد المشوار الطويل الذى يقطعه القلب.. نحتاج إلى راحة طويلة.. تماماً كما نفعل بعد المشوار الطويل الذى نقطعه بأقدامنا فالعواطف كالدم واللحم والأنسجة تحتاج إلى وقت لتتجدد.

عدم الإمكان

أنا سيدة جميلة في العشرين من عمري.. بدأت حياتي بطفولة
تعيسة.. كان أبى غنياً.. ولكنه بخيل جداً.. شرس حاد الطبع،
يتهور لدرجة القسوة. فيضربنا جميعاً ضرباً مبرحاً.. والعجيب أنه
كان يضرب أمى.. والأعجب أنه كان يضرب أمه.. وألفاظه
جارحة قاسية لأقصى حد.. يدخل المنزل مقطب الحاجبين..
ولا يلقي كلمة تحية.. فينزوى كل من في البيت في رعب.
وكان أبى يضطهدين أكثر من باقى إخوتي لأنى كنت دائمة
الرسوب.. ولم يكن يعلم أنى أرسب بسببه.. وبسبب الرعب الذى
وضعه فى قلبى.

وسافر أبى إلى بلد بعيد فى إحدى السنوات.. فبدأت أنجح فى
المدرسة وأتفوق وأطلع الأولى.. وأحببت المدرسة.. ومرت سنتان..
وأنا على تفوقى ونجاحى.. ثم بلغت السادسة عشرة، وبدأ
الخطاب يتقدمون لى.. وأبى يضغط علىّ لأتزوج.. وكنت أسمع
يقول: إن البنات نكية على الحياة.. وإن الزواج هو الحل الوحيد
للخلاص منهن.. وكان أحياناً يشتمنى.. ومرة يضربنى ومرة أخرى

هددنى بالقتل إذا لم أتزوج.. وأمى كانت فى هذه الأحداث بين
نارين.. فهى تعطف علينا.. ولكن ما باليد خيلة.. وهكذا وجدت
نفسى مجبرة على الزواج.

وصدقنى، لقد ألقوا بى كما يلقون بكلب فى الشارع، ووجدت
نفسى مع رجل طيب يحبنى ويعبدنى ويغار علىّ، ولكنه بخيل..
وسمج، لا يعرف الذوق فى ألفاظه ولا فى معاملته، دائم النقد لكل
الناس.

وبرغم أن زوجى كان أكثر عطفًا من أبى فإننى كنت أسعد
حالا فى المدرسة.. كانت لى هوايات أمارسها.. وكانت لى شخصية
وكانت لى أحلام.. كنت أحلم بأن أجرب الحب.. وأذوقه.. ولكن
كنت أخاف من الحبس فى البيت والضرب والقتل.

أما الآن فإنى أشعر أن حياى انتهت.. ولم تعد لى هوايات.. ولم
أعد أمتنع بالجلوس مع صديقاتى.. ولم أعد أجد لذة فى ثرثرة
زمان.. فقدت صبرى.. وفقدت آمالى.. ولم أعد أطيق شيئًا..

الشيء الوحيد الذى أصبحت أحبه هو الخروج بشرط أن
أكون وحدى.. أسير فى الشارع.. ترن فى أذنى الموسيقى.. ولكن
زوجى لا يحب الخروج.. ويلازمنى فى كل خطوة.

إن زوجى عبء.. عبء فظيع.. وأولادى عبء.. وبقى عبء..
لا تقل لى.. أحببى زوجك.. فهذا مستحيل.. لا تقل لى اشغلى
نفسك بهواية.. أو دراسة.

إني أشعر بهبوط في نفسى باستمرار.. وهبوط في جسدى
وصداع أليم.. وعجز عن كل شىء..
لا تبخل علىّ برد سريع أرجوك.

أنا الأخت الصغرى لصاحبة الرسالة.. وقد أعطتني رسالتها
لأقرأها قبل إرسالها إليك.. وقالت لى إنها لا تشعر أنها رسالة
مقنعة.. ولكنها لا تقوى على الكتابة أكثر من ذلك.

والواقع أن أختى حالها أفظع بكثير مما وصفت لك.. إنها
ساهرة.. شاردة.. منهوكة القوى دائماً كأنها خارجة لتوها من عمل
مرهق.. كانت عاطفية.. ولكنها الآن تهرب من العاطفة.. ولا تطيق
سماع أغنية فيها عاطفة.. إنها تريد الهروب من كل ما يمت
لواقعها بصلة.

إنى قلقه عليها كثيراً.. وخصوصاً أن صحتها فى تدهور..
لا تنصح لها ياسيدى بالطلاق.. لأن لها أولاداً صغاراً من زوجها..
والذى كما وصفته لك.. لا يحب أحداً.. ولا يطيق مجرد إنسان معه
فى المنزل حتى ولو كان ابنته أو ابنه.

وليس لديها الصبر لتكمل دراستها أو لممارسة أية هواية
لأشياء تفعله الآن سوى الشرود.. والشرود فى لأشياء..
أتمنى أن تساعدنا.

سيدتى..

أنت سجينة فى بيتك.. ولكنك قد سجنتنى أنا أيضاً فى أفكارى.. وكتفت يدى.. وجعلت كل الحلول غير ممكنة.. وغير مقبولة.

وحينما يحاط الإنسان بعدم الإمكان من كل طريق وتسد عليه المنافذ.. لا تبقى له إلا بطولة واحدة.. هى بطولة الخضوع والاحتمال.

وعزاؤك أننا جميعاً مثلك إلى حد ما.. أبطال قصة مفلسة فاشلة.. نهايتها الموت.. رغم كل أحلامنا وآمالنا.. كلنا نذبل على فروعنا.. ونموت عطشانين.. والماء حولنا.. والشمس فوق رؤوسنا. اكتبى قصتك على فصول طويلة.. فأسلوبك.. جميل.. وأنا أحب أن أقرأ شيئاً عن الصعيد.. كيف يعيش هناك الناس.. ويفكرون.. ويحلمون.. ويموتون.

بالصدفة

أنا شاب في العشرين.. في كلية الهندسة بالاسكندرية.. مرح.. بسيط.. منطلق.. وإن كنت في داخلي أعانى فراغاً عاطفياً هائلاً.. وليس معنى هذا أنى أعيش في عزلة.. لأعرف النساء ولا أقربهن.. فالحقيقة أن لى صولات وجولات في عالم الغرام.. ولى خبرة بالنساء يحسدنى عليها الكثيرون..

تعودت هذا الصيف أن أذهب وحدى كل مساء إلى محل عام وأجلس على مائدة لا تتغير.. أتناول عليها قدحاً من الشاي واللبن.

وفى مساء يوم منذ شهر تقريباً دخلت إلى المحل سيدة سارت بين الموائد واتخذت لها مكاناً.. بالصدفة المحضة.. بجوارى.. وطلبت.. بالصدفة أيضاً قدحاً من الشاي واللبن.

سيدة لم تتجاوز الثلاثين.. كل مافيهما يجبرك على أن تحترمها.. نظراتها الهادئة.. مشيتها المترنة.. وتصرفها الرزين.. ومظهرها الذى ينم على أنها فاضلة.. جميلة.. وأنيقة.

وكعادتي.. لم أهتم بها.. أو بمعنى أصح تظاهرت بأنى مشغول

عنها معتقداً أنها لا بد في انتظار شخص ما.. رجل أو امرأة.. وبعد حوالى الساعة نادى الجرسون وأعطته ثمن ماتناولت وانصرفت. في المساء عند نومى لم أعلق على الأمر أهمية.. بل لم أذكره كلية.

وفي نفس الموعد في اليوم التالى أقبلت السيدة واتخذت مكانها بجوارى وتناولت الشاى واللين.. ولم يحضر أحد لمقابلتها، وبعد ساعة انصرفت.

وتكرر حضورها يومياً وبدأت نظراتى تفضحنى.. وبدأت السيدة تلاحظ ذلك.

وبعد أسبوع.. وبعد أن اتخذت مكانها بجوارى، تقدمت إليها وعرضت عليها أن نتناول الشاى على مائدة واحدة.. ولم أكن أتوقع أن توافق.. ولكنها وافقت في الحال.. ويومها كنت أسعد مخلوق.. وتبادلنا حديثاً بسيطاً لا أثر فيه للغرام أو عبارات الإعجاب.. وانصرفنا على أن نلتقى غداً.

وتقابلنا.. وعرفتها.. وعرفتني.. وتكرر لقاءنا حول أفداح الشاى نتناول حديثاً كله بساطة.

ثم بدأنا نتمشى معاً كل ليلة على الكورنيس.. يدها في يدي نهامس ونتحاكى.. وكنت أحياناً ألمس خدها بخدى فيحمر وجهها في خجل وتنظر إلىّ في عتاب.

وعرفت عنها حينئذ كل شيء.. إنها متزوجة.. تعيش في

زواجها.. فزوجها يكبرها بعشرين سنة بخيل ومختل العقل
يعاملها بقسوة ويضربها ويشتمها بألفاظ مقذعة.. حكمت لى هذا
وهى تبكى.. وقالت إنها بالرغم من كل هذا لن تخونه.. لأن
ضميرها لا يطاوعها.. أن تفعل هذه الفعلة الشنيعة.

ومن يومها وأنا لا أنام.

طيفها وخيالها يطاردانى فى كل لحظة.. وقلبى يعذبني..
وضميرى يؤنبني لأنى أغريها بصداقتى على علاقة لا ترضاه..
أحس أنى ذنب.. وأنها إنسانة طيبة وديعة.. ألقته الصدفة بين
يدى.

ماذا أفعل.. إني أعيش فى قلق دائم.. وعذاب.

لقد فتحت الكليات أبوابها منذ أيام وسافرت إلى الإسكندرية
وافترقنا بعد أن تواعدنا على اللقاء..

ولكنى أعيش فى سرحان وشروود دائم.. أفكر فيها وأتذكر
كلماتها وضحكاتنا.

ما نهاية هذا الحب.. الزواج.. وكيف أتزوجها وهى متزوجة؟
إن الشعور بالإثم يقتلنى.. ووجها البريء الفاضل النقى
يطاردنى فى كل مكان.

ماذا أفعل.. وأنا بين نارين.. حبي ودراستي.

تستطيع أن تريح نفسك من هذا الشعور القاتل بالإثم.. فلا
أظن أن الأمر حدث بالصدفة كما ظننت.

ولا الصدفة هي التي جعلتها تطلب الشاى باللبن مثلك..
ليست الصدفة هي التي جاءت بها على الكرسي بجوارك..
ولا الصدفة هي التي جعلتها توافق في الحال على مشاركتك
المائدة.. وتونسك بحديثها المذهب الرزين.. ووجهها البريء
الفاضل النقي.

لم تكن ذئبًا محنًا كما ظننت نفسك.. وإنما أنت في الغالب
الصيّد.. وهي الصياد.

هذا مع احترامي لخبرتك وجولاتك وصولاتك في عالم الغرام.
وقصة الزوج الذي يكبرها بعشرين سنة والعقل المخبول..
والقسوة والضرب.. والألفاظ المقذعة.. هي في الغالب حكاية
لأصطياد احترامك وشفقتك واسباغ ثوب من الشرعية على هذه
العلاقة.. حتى تنمو وتؤتي أكلها.. وأنت طبعًا أكلها.. يا عزيزي
الذئب الغليان.

وفر شفقتك.. فأنت أحوج إليها.

وأحتفظ بعواطفك لمناسبات أخرى.

وفكر في مستقبلك ودراستك.. ولا تضع وقتك.. فهي لا تضع
وقتها مثلك.. وأغلب الظن أنها الآن في القاهرة تشرب الشاى
واللبن مع ذئب آخر خبير في النساء مثل سيادتك.. بالصدفة..
طبعًا كالاعتاد.

الأسلوب المناسب

منذ ثلاث سنوات وأنا أحبها وتحبني.. ونتحدث يوميًا بالتليفون.. ونخرج معًا مرة أو مرتين كل شهر فنذهب في نزهة بريئة إلى إحدى الضواحي.

ثلاث أو أربع مرات فقط أوصلتها إلى البيت.. وضغطت على يدها ضغطة خفيفة، ومرة واحدة أمسكت بيدها وطبعت على ظهرها قبله.. فردتني بلطف وأدب وأفهمتي أنها لاتحب هذا الأسلوب وأنها ليست من ذلك الصنف من البنات الذى تستهويه هذه الأمور.. وأنها إن كانت تخرج معى وتحدثنى فى التليفون فإنما تفعل هذا للمرة الأولى فى حياتها.. وعلى حساب أعصابها.. ومن يومها لم أكرر هذه المحاولة وصدقتها.. واقتنعت.

هى آنسة فى العشرين أو جاوزتها قليلا.. خريجة جامعة القاهرة.. تشغل فى الوقت الحالى وظيفة جامعية.. على درجة كبيرة من الجمال.. تمتاز كباقى أسرتها بالطيبة والهدوء والسمعة الحسنة.. وهى موضع احترام الجميع.

أما أنا.. فشاب جامعى فى الخامسة والعشرين.. أشغل إحدى

المهن الحرة.. عادی فی کل شیء.. عرفت قبلها کثیرات ومارست
معهن کل أنواع الهوى والحب.. أعرف فی الوقت الحالی فتاتین
غیرها.. أزالو معها حماقات شبابی بقدر معقول.. وبدون ارتباط
مع أيها بشیء.. أحب صاحبتي جدًّا.. وأنتوی الزواج بها هذا
العام.. فما رأيك؟

ما رأيك فی هذا الحب الذی ظل أفلاطونيًّا طيلة هذه السنوات
الثلاث؟

إن أصدقائي يقولون لی.. أنت عبيط.. خيبة.. مش عارف
توصل.. دی عاملة ثقيلة ومؤدبة عشان تتجوزك.
وأقرأ فی القصص.. عن القبلات.. والأحضان.. وعن الفتاة
التي تحتقر صاحبها لأنه يخاطبها بأسلوب عذري.
هل صحيح أن كل المتمنعات كاذبات ومثلات؟..

ألا يجوز أن تكون هذه الفتاة صديقة فعلاً.. وعفيفة فعلاً..
وترید فعلاً أن تحتفظ بأجل ما فی الحب لما بعد الزواج..
أجبنی بصدق أرجوك.. ولا تحاول أن تطيب خاطري.

واضح من كلامك وحسب قولك.. أنك عرفت بنات کثیرات
مارست معهن کل أفانین الهوى والحب.. وأنت حالياً تعرف فتاتین
فی وقت واحد تمارس معها حماقات شبابك.

ومعنى هذا.. أن الشیء الوحید الذی رشح صاحبتك للزواج

في نظرك.. أنها رفضت أن تكون مثل الأخريات.. هذه رخصة الزواج الوحيدة في نظرك.

وهذا يكشف عن أزمة البنت العصرية.. إن صاحبها يحدثها عن التحرر.. والعقلية العصرية.. وحق التمتع بالحب.. إلخ.. إلخ.. ثم يغدر بها في النهاية ولايتزوجها إذا طاوعته في هذا التحرر.. وينكشف لها في النهاية عن رجل محافظ أشد محافظة من جدّها.. يطالبها بالعفة إلى آخر حدودها.. ومعنى هذا أن المشكلة بالنسبة للبنت الآن لم تعد مشكلة كذب وصدق.. وإنما أصبحت مشكلة اختيار السلوك المناسب.

والسلوك المناسب مع أمثالك هو أن تتصرف صاحبتك بالضبط كما تصرفت.. لأنها لو تهاونت لحظة في أى شيء.. لضممتها إلى طابور الفتيات اللاتي تمارس معهن حماقات شبابك. ليست المشكلة هي مشكلة تمثيل.. أو تصرف على الطبيعة لأن ٩٠٪ من الرجال محتالون لايتصرفون على الطبيعة.. وإنما يدعون إلى حريات لا يؤمنون بها في أعماق نفوسهم.

هناك عملية كذب عام شامل منظم بين الرجال.. لاتجد البنت أمامه مفرّاً من الاحتيال ومواجهة كل ظرف بالأسلوب الذي يناسبه. تزوج صاحبتك.. ولا تتساءل.. فليس لك الحق في هذا التساؤل.

إن صاحبتك هي الوحيدة التي فهمتك.. وكشفتك.

كوبرى السعادة

أنا آنسة فى الستين.. عشت حياتى الطويلة المريرة كالكوبرى
المدود عبر ثلاثة أجيال.. لم أعرف الحب.. ولا الزواج.

فى العاشرة كنت أحمل أخى الطفل وأغنى له.. وفى الثلاثين
كان الطفل قد كبر وتزوج.. فحملت أطفاله.. والآن وقد كبر
أطفال الأطفال.. وتزوجوا.. وبدأت أستقبل على صدرى الهضم
الضامر.. أبناءهم لأعبر بهم السنين الباقية من حياتى.

أنت لاتعرف معنى أن تعيش على الشاطئ.. وتقضى فى
الحرمان ستين عاماً.. وأنت عطشان.. لايمكن أن تعرف هذا لأنك
لم تجربيه.. فأنت رجل.

وفى صباى كانوا يقولون إن الرجال خلقوا للشارع والمدرسة
والنساء خلقن للمطابخ.

وكان أبى المتوسط الحال يحلم بتربية أولاده فى الجامعة.. وكان
ثمن هذا الحلم بعد أن ماتت أمى أن أظل فى البيت لا أبرحه..
أطبخ وأغسل وأمسح البلاط.. لأوفر ثمن خادمة وطاهية وغسالة،
وأعاون أبى على تحقيق حلمه الكبير.

كنت الثمن الذى دفعه جيلنا من لحمه ودمه.. لتدخلوا الجامعة
وتتعلموا.. وتقولوا للعالم.. نحن الرجال.

وقد كنت سعيدة بهذه التضحية.

كنت أماً عذراء لأجيال ثلاثة تربوا على صدرى.

ولكنى الآن وقد تغيرت من حولى الدنيا.. أحس أنى غريبة فى
عالم غريب.. عالم ملئ بالثروة والغرور والحب والإلحاد والثورة.

بناتى وصبيانى الذين ريبتهم ومنحتهم شبابى وعمرى..
ينظرون إلى كأنهم ينظرون إلى تحفة أو أنتيكة.. ويسخرون منى
لأنى لأفهم الوجودية والسياسة والحب.. ويضحكون على.

لقد انتهت دولتى.. ومطبخى الصغير احتله الطاهى.. ولم يبق
لى سوى البكاء فى صمت إلى جوار النافذة.

كنت أطمع فى شىء واحد.. هو التقدير.. ولكن حتى هذا لم
أحصل عليه.

كم أنا تعسة.

* * *

أيتها الأم الكبيرة..

إن بناتك اللاتي يقرأن فى الوجودية.. والسياسة والحب..
لا يفهمن شيئاً من السياسة ولا من الحب.. ولسن جديرات بأن
يكن خادما لك..

أنت الحب يا أماء.. وأنت الشرف والواجب والتضحية
والفضيلة.

لقد ارتضيت أن تكونى الضريبة على الأجيال الجديدة..
الضريبة الفادحة على رأسمالية العلم والثقافة والحرية.. التى
تسلمها الرجال خالصة من يدك.

إن كل هذه الثروة والمعارف هى بعض من فتات موائدك..
فإن كنت وجدت العقوق من أبنائك.. فاغتفريه.. فهذه خلة
الأنبياء أمثالك.. وكفاك إحساس المرأة التى خلقت شيئاً عظيماً.
إنى أنحنى احتراماً لك.. وأقبل يدك.. يامريم الطاهرة.

النضج المبكر

أنا فتاة في السادسة عشرة. في المرحلة الثانوية.. محبوبة من كل من حولي.. حساسة جدًا من الناحية الدينية، فأنا مثلاً أتمسك بالصلاة وبقراءة كل ما يكتب عن الله والأنبياء، وكنت أصاب بحالات من البكاء والعصبية والرعدة بعد ليال أقضيتها في الصلاة والدعاء.. ولكن هذه الثوبات قلت الآن كثيرًا.

أحب السحاب الأبيض وأبكي عند رؤيته.. وأحب القمر.. والمطر.. وأحلم بالملائكة والآخرة، وأقضي الساعات الطويلة في قراءة القرآن.. ولكني للأسف الشديد لا أعتقد أني مؤمنة إطلاقاً فكثيراً ما كنت أفكر وأنا في وسط صلاتي، أنه قد لا يكون هناك إله..

لا أعرف إن كنت أحب الناس أم لا.. ولكني أشفق عليهم إلى حد غريب، وأخاف على شعورهم لا أكثر.

أغلب أصدقائي من شبان عائلتنا يفضون إلى بأسرارهم.. ولما كنت من البداية على استعداد للتطبع بطبعهم فقد أصبحت تصرفاتي رجولية إلى أبعد حد.. فمثلاً لا أستطيع أن أضحك دون

جلجلة.. ومشيتى عسكرية.. وتفكيرى خشن فظ. كتفكير الرجال، ولا مانع عندى من اقتحام أسرار أى شاب دون خجل.. وأغلب وقى أقضيه منطوية مع الكتب.

بدأت مشكلتى عندما لاحظت أنى أصبحت أحلم كل ليلة أكثر من عشرة أجلام، فأصبحت أحلم أنى عارية تماماً أمام والدى ينظر إلى نظرة حنان غريبة.

وبدأت أتعقد من ناحية والدى.. بدأت أفكر أنى شاذة.. وأخاف من شذوذى.

وبمرور الوقت ضاعت المشكلة تاركة وراءها شعوراً غريباً ناحيته.

وأقول ضاعت المشكلة لتبدأ غيرها.. فقد بدأت أشعر بنفس الشعور تقريباً ناحية أخى الصغير.. فكنت أخاف من أن ينام جانبى.. وأستيقظ أكثر الليالى فزعة مشمثة عندما يلمسنى بيده صدفة.. وبدأت أشعر بالنفور منه وأنام فى مكان آخر!

والآن.. أو بالأصديق.. منذ حوالى ثلاثة أيام تقريباً.. انتبهت لنفسى وأنا أفحص زميلاقى فى المدرسة.. وأقول تلك جملة جداً.. وهذه حلوة.. وهؤلاء مقبولات.. إلخ.. إلخ.

و.. وعادت مشكلتى من جديدة.. هل أنا شاذة.. هل من الممكن أن أرتكب هذه القذارات.. بالأمس كانت ستنام أخى الصغيرة معى.. فهربت من

الفراش لأنام على الأرض.. وأمضيت الليل في خوف ودوار
وابتهال إلى الله.

أنا الآن أفكر في الموضوع وأتساءل.. هل أنا واهمة؟..
هل السبب كثرة انطوائي وتفكيرى فى نفسى؟. هل لأنى
بعدت تماماً عن جو الفتيات؟ أم أن السبب هو شدة خوفي من
الخطأ. أم أنى شاذة حقاً.. ولم..؟!.. ولم أفعل أى شر أو أودى
مخلوقاً، هل الله يكرهنى لأنى كفرت به.

وسأحاول مساعدتك.. فأنا لا أعتبر نفسى جميلة.. وأنا
خجولة وحساسة جداً.. وجياشة العاطفة.. وأقول لك حادثة قد
تساعدك.. فقد حدث وأنا صغيرة جداً أن فعلت معى فتاة كبيرة
شيئاً قبيحاً.. مازلت أذكره بالرغم من صغر سنى وقتها وذلك
لغرابة الأمر بالنسبة لى.

هذه مشكلتى.. وهى مشكلة تتفاقم معى يوماً بعد يوم..
وأشعر بأنى أكره نفسى.. وبأنى أود تعذيب نفسى.. ولا أعرف
لهذه الآلام نهاية.

أرجوك لا تحتقرنى.

أنا لا أحتقرك.. وإنما على العكس.. أنا أشعر أنك إنسانة
فاضلة وعلى درجة غير عادية من النضج والوعى بالنسبة لسنك..
فأنت أكبر من سنك بكثير.. ولديك قدرة على استبطان مشاعرك

واستجلاتها لا يبلغها الكثيرون ممن هم أكبر منك من الرجال
أو النساء.

ومشكلتك الحقيقية كانت في هذا الوعي والنضج المبكر.. وفي
الحساسية المفرطة التي تستقبلين بها كل حدث.. حتى أنك لتبتكين
لرؤية السحاب الأبيض.. وترتجفين لرؤية القمر.

ومثل هذه الحساسية أمام حادث خشن كالذى حدث لك
حينها اعتدت عليك فتاة وأنت صغيرة اعتداءً فاضحاً.. مثل هذا
الحادث.. كان كفيلاً بأن يقلب حياتك.

أنت منذ تلك اللحظة تحاولين أن تكوني رجلاً حتى لا يتكرر
عليك مثل هذا الاعتداء.. فمشيتك وضحكك المجلجلة هي
ضحكة الرجل.. وبالمثل مصادقتك للرجال والحفاظ على
أسرارهم.. وبالمثل نظرتك إلى البنات زميلاتك وملاحظتك أن هذه
جميلة جداً.. وهذه حلوة.. وهذه مقبولة.. وهذه شفتاها مليتان..
إلخ.. إلخ.. هي نظرة رجل.

وخوفك من أن تنام أختك الصغيرة في حضنك هو خوف من
أن تتكرر هذه الحادثة.. وأحلامك بأنك لست عذراء.. هو خوف
آخر نبع من تلك اللحظة المشنومة.. فأنت تخشين أن تكوني قد
فقدت عذريتك من تلك اللحظة.

وأحلام التعلق بالأب والأخ.. قد تكون معناها أن الأب
والأخ هو نموذجك للرجل الذى تريد أن تكوني على مثاله..

وقد تكون هي المرحلة الوجدانية الطبيعية التي قال عنها فرويد..
وهي المرحلة التي تتجه فيها عاطفة البنت إلى أبيها وأخيها.. وهي
مرحلة عابرة.. تنطلق بعدها العاطفة حرة لتبحث عن أليفها بين
الرجال الآخرين.

أما سر العذاب الذي يطحنك فهو أن جميع هذه الحلول التي
لجأ إليها عقلك الباطن هي حلول غير سليمة.. فأنت لست
رجلا.. أنت امرأة.. فياضة الأنوثة جياشة العاطفة..

والسلوك الرجولي الذي تخيله عقلك الباطن مرفأً أماناً.. كان
بالنسبة لك إهداراً لطبيعتك.. وضياًاً لحقيقتك.. وهذا سر
عذابك.

وأيًا كانت المشكلة فقد هدتك نظراتك السليمة إلى معرفة
السبب.. ووضعت يدك على العلة.

ولهذا فإن شفاءك من هذه الأمراض العصبية أكيد.
وسوف تستعيدن مرحك وحبك للحياة.. فإن المعرفة هي
مفتاح الشفاء النفسي.

دلوع..

أنا شاب في الثالثة والعشرين من عمري تبدأ مشكلتي منذ عام ١٩٥٦، يوم حصولي على التوجيهية.. وكان حلمي في ذلك اليوم التحق بكلية البوليس.. وألبس ضابطاً.. ولكن الظروف خيبت أمل.. ألقى بي مكتب تنسيق الجامعات في كلية نظرية بالإسكندرية.

وانتقلت إلى المدينة.. واتخذت سكناً إلى جوار الكلية.. وشاركني في سكني زميل من البلد.. وفي الأسبوع الأول من إقامتنا رأيت زميلي يدخل البيت وفي يده امرأة من الطريق.

وتشاجرت معه.. وحاولت أن أطرد المرأة.. واشتد بيننا الخلاف.. ثم اتفقنا على أن يغلق بابه ويفعل ما يشاء.. على أن تكون هذه أول وآخر مرة.

وشتمته في ذلك اليوم بأقذر الألفاظ.. قلت إنه سافل وعاهر داعر.. وإني برىء منه إلى يوم القيامة.. وأغلقت بابي.. وجلست أغلى من الغيظ.. وأستغفر الله.

ومرت ساعة.

ثم بدأت أسمع الأصوات والحركات في غرفته.
ومرت ساعة أخرى، قمت بعدها وأنا أتصب عرقاً. وطرقت
الباب.. ثم دخلت في خجل لأعذر له وأطالب بنصيبي في
الغنيمة.

ومن ذلك اليوم تغيرت حياتي كلها.
تعلمت التدخين حتى أدمنت بشراهة.. شربت الخمر وعرفت
البارات الرخيصة.. دخنت المخدرات.. ذقت كل أنواع الهلس..
مع المومسات.. والخادومات.

وكانت النتيجة طبعاً أنى رسبت بدرجة ضعيف جداً.
ولم أخبر أسرتي حتى لا يقطعوا عني النقود ولكن أمي عرفت
وعاتبتي.. فأجبتها نائراً.. إني سوف أترك الدراسة.. وأبحث عن
عمل.. وإني لا أريد منهم ملياً.. وكانت النتيجة أنها بكت..
وقبلت رأسي.. وتوسلت إليّ أن أعود إلى دراستي.. وتعهدت لي
أن تدفع لي مصروفاً.. وكل ما أطلبه.. وأقسمت ألا تخبر أبي
بشيء.

وفي هذا العام تركت شقتي.. وسكنت في بنسيون تملكه امرأة
إيطالية وحاولت أن أنسى فشلي ورسوبي.. بالإغراق في الخمر..
وبالإغراق في معاشرة الإيطالية صاحبة البنسيون التي تعدت سن
الأربعين.

والمشكلة الآن أن أبى يعتقد أنى فى السنة الثالثة.. وباقى لى على الليسانس سنة واحدة يتيمة.. وهو يعد العدة ليفرح بى..
خطب لى بنت رجل غنى جداً.. واشترى لى سيارة ليقدمها هدية لى على شطارتى.. وهو ينتظر يوم السعد.. يوم تخرجى..
وأبى رجل طيب حج سبع حجات.. وأمى لا تستطيع أن تفجعه فى.. وأنا لا أستطيع أن أواجهه بالحقيقة.. والحقيقة لا بد ستظهر.. وأنا لا أعرف ماذا أفعل.. أنتحر.. أم أهرب من الدنيا كلها.. أما ماذا؟!.

ذاكر ياأخى.. إن المذاكرة ليست مخيفة بالدرجة التى تفضل عليها الانتحار.

إن أكبر خطأ ارتكبته أمك.. أنها بكت.. وقبلت رأسك، وتوسلت إليك أن تعود إلى دراستك.

كان يجب عليها أن تتركك تنفذ تهديدك.. وتعمل.. وتتشرد.. وتنجوع على الأبواب.. وتتعلم الأدب.. وتحس بأن الحياة جد.. وتفيق من الهلس الذى أنت فيه.

إن العلاج الوحيد للولد الدلوعة أن يحس بالمرمطة.
لا توجد قوة فى الأرض تحميك من الحقيقة.. إن مشكلتك ليست سنواتك التى ضاعت.. ولكن سنواتك القادمة التى ستضيع حقاً.. إذا واجهت الدنيا بهذه العقلية.

هنا مصلحة في أن تظهر الحقيقة.. وأن تصدم.
أنت في حاجة إلى صدمة.. وقسوة.. وعنف لتفيق.. وإلا فأنت
مقضى عليك.
لن تصبح رجلا إلا حينما يطردك أبوك إلى الشارع.

لعنة الجمال

أنا فتاة في العشرين.. من ذلك النوع الذى تفتح فمك حين تراه فى الطريق وتتوقف مأخوذاً.

شعر يتماوج كالذهب.. وجه أبيض وردى.. عيون زرق.. فم دقيق.. قوام باریسى.

حيثما سرت فى الشارع.. تتبعنى الشهقات والتأوهات.. وكلمات الغزل.. وتلتف الأعناق حول نفسها حتى تكاد تنخلع من أكتافها.

حياتى كلها كانت كلمة واحدة لاحقتنى من أبى وأمى وعائلتى وممن يعرفوننى وممن لا يعرفوننى.. إيه الحلاوة دى يا بنت.. إيه الجمال ده.. إيه السحر ده.

لا أحد حاول أن يسمعنى.. لا أحد حاول أن يفهمنى كلهم كانوا يتفرجون علىّ ويقلبوننى بين أيديهم كالدمية.

لم أشعر فى أى لحظة أنه ينتظر منى شىء أو يطلب منى شىء.. أو أنى إنسانة لى عقل ولى قلب مثلها لى وجه وقوام.

كان أبى يعنف أختى حينما ترسب ويلاحقها بالمدرسين وغيرها
بالمذاكرة.. أما أنا فإنه كان يضحك حينما أرسب كأنه قد حدث
شئ يتوقعه.. ويربت على كتفى ويقول فى سعادة.. إنت قمورة..
مدارس إيه؟!.. إنتى تقعدى فى البيت زى الملكة والدنيا تجرى
وراكى.. والعمرسان يبوسوا إيديكى.

وحينما كنا نجتمع كلنا ونتحدث.. كان أبى يتناقش مع إخوتى
ويدخل فى معركة كلامية حامية مع كل فرد إلا أنا وكأنا التفكير
كلفة غير طبيعية بالنسبة لى.. وحينما كنت أحاول الكلام كان
يردنى برقة قاتلا.. عاوزه تقولى إيه يا ملكة، إنتى تأمرى بس..
إنما الرغى ده للفراشين إالى زينا.

وفى اللحظات التى كنت انطق فيها بملاحظة ذكية.. كانت
تفوت على الذى يستمع إى، لأنه كان منهمكاً فى التطلع إالى
وجهى وقد نسى كل شئ..

لم يكن أحد ينظر إى بأكثر من أنى زينة.. مجرد زينة.. ليس لها
أن تقوم بأى دور جاد.

وبدا يداخلنى شعور بالتفاهة والهيافة فلا أحد يشركنى فى
همومه، ولا أحد يוכל إى بسر يخشى عليه أو بعمل يحرص
عليه.. وإنما أنا بمثابة لحظة التسلية بالنسبة للجميع.

وكان طبيعياً أن أفشل فى دراستى وأن أترك المدرسة وأبقى فى
البيت.. ثم أتزوج وأنا صغيرة.

وكان زواجاً تعيساً.. أتعس ما فيه جمالى.. فزوجى لا يصحبنى
فى خروجه لأن جمالى فضيحة تلفت النظر فى كل طريق.. وهو
يسجننى فى البيت لأنه يغار على.. وهو يشك فى سلوكى.. وهو
يفقد ثقته بنفسه كلما ازداد إحساساً بجمالى وبالتالى يشعر بعجزه
عن أن يحكمنى فيزداد فى شكه وغيرته وقسوته.. ويزداد فى اسرافه
لكى يرضينى بالملابس الباهرة والجواهر.. وازداد أنا إحساساً
بالتفاهة وازداد شقاءً.

حتى بطاقات الدعوة التى كانت تأتينا فى أفراح الأصدقاء
كان ينظر إليها فى شك وريبة وقد خيل إليه أن صديقه يدعوه من
أجل أن يراى لا من أجل أن يراه هو.

وكان من الطبيعى أن ينتهى مثل هذا الزواج بالفشل والطلاق
وأنتهى أنا إلى حالة من اليأس لا ينفع فيها علاج.
إن جمالى كان لعنة على.

إنى أتمنى الآن أن أفتح عينى فأجد أنى قبيحة.

إن إحساسى بجمالى أصبح مثل إحساس الغنى الذى يظن أن
كل من يحبه فهو يحبه من أجل ثروته لا من أجل شخصيته.. نعم..
أنا أيضاً يخيل إلى أن لا أحد أحببى لشخصى.. وإنما جميعهم أحبوا
فى صورتى وهذا يعذبنى.. ويشعرنى بتفاهة شخصيتى ويحرمنى من
لذة احترامى لنفسى.

لقد بدأت أعتقد أنه لا سبيل إلى السعادة.. أبداً.. قالثروة

تشقى.. والجمال يشقى.. والحب يشقى.. والعقل يشقى.. أين
السعادة إذن.. وأين أجدها.

السعادة ليست في الجمال ولا في الغنى ولا في الحب ولا في
القوة ولا في الصحة.

السعادة في استخدامنا العاقل لكل هذه الأشياء.

إن رؤية عقلك وهو عاطل.. وإحساسك بقلبك وهو عاطل..
وإدراكك لشخصيتك وقد عطلها جمالك وغباء الذين عرفوك.. هو
سبب تعاستك.

لقد كنت تدركين طوال هذه السنوات أنك تعيشين بسطحك
فقط. بشكلك ومظهرك.

كنت كالفستق الذى نسيه الناس وأكلوا القرطاس لأنه ملون
وجميل.

كانت حقيقتك معطلة.. ومواهبك معطلة.. والسعادة هى أن
نعيش كل لحظة.. بكل ما فينا.

ولكنى لا أجد ما يدعو إلى اليأس.. فمازلت في العشرين.. في
بداية الطريق.. وحياتك مازالت حافلة بالفرص.. ألق بالسنارة
مرة أخرى وجربى من جديد.

جناية المهنة

منذ صغرى وأنا أحلم بأن أكون شيئاً مهماً في الدنيا.. مخترعاً
أو فناناً.. أو زعيماً.

وفي مراهقتى أحببت جارقى التى كنت أراها واقفة في النافذة.
وكنا نقف كلانا بالساعات في النافذة ننظر إلى بعض ولا نتكلم.
وأرسلت لها أكثر من مائة خطاب كلها شعر.. وكنت أبكى في
فراشى كل ليلة.

ورسبت ثلاث سنوات بسببها. ومع هذا لم يحدث بيننا شيء لم
نتكلم ولم نخرج إلى أى مكان.

وحينما علمت بنياً خطوبتها وزواجها.. مرضت ولازمت
الفراش شهراً كاملاً.

وحينما قمت من فراشى حاولت أن أغرق همومى في هواية
الموسيقى، ودخلت معهد الموسيقى الشرقية لأتعلم الكمان في
أوقات فراغى.. ولكنى توقفت في منتصف الطريق وأصابنى الملل
من دراسة النوتة والسولفيج والمقامات.. واكتفيت بالتردد على
المعهد كمستمع ومتفرج.

وفرغت من دراستى الجامعية.. وتوظفت.. وزوجتى والدى من بنت عمى.

ولا أستطيع أن أقول إنى أحب زوجتى.. ولا أستطيع أن أقول إنى أكرهها. ولكنى دائماً أبحث عن سبب للنكد.. انفجر مرة من الغيرة على سبب تافه.. وأصر مرة أخرى على مطالب بعينها لمجرد الإصرار ولمجرد التحكم.. وأتعلل مرة ثالثة بهفوة بسيطة فأخاصمها وأعتزل وحدى فى غرفتى حزناً تعيساً.. وأحياناً أبكى وحدى فى موجة هذه التعاسة الوهمية.

وأنا أعمل الآن محاسباً فى السكة الحديد.. وأعيش نصف يومى فى الأرقام والحسابات والدفاتر.. وقد بدأت هذه الحياة الجافة تؤثر فى أعصابى.. وبدأ الجفاف يتسرب من الدفاتر إلى أيامى كلها.. وجفت عواطفى.. وتحولت الدنيا فى نظرى إلى محاسبات وتبادل منافع، وماتت أحلامى القديمة.. وماتت أشعارى. وأنا أتساءل أحياناً فى ألم: أيمكن أن تجنى المهنة على صاحبها بهذه الدرجة؟

لماذا أنا تعيس إلى هذا الحد.. ماذا أفعل؟!

تساؤلك فى الحقيقة مضحك.. ومعناه أن الجزار يمكن أن ينظر إلى الدنيا على أنها جزارة.. وينسى ويقطع ورك زوجته ويعمل منه

كستليته ويقول.. أنا تعيس.. ماذا أفعل أيمكن أن تجنى على مهنتي إلى هذا الحد.

والمهنة في الواقع لا تخلق العاطفة وشعراء المهجر وهم أرق الشعراء عاطفة كانوا كلهم تجارًا.

ومشكلتك الحقيقية ليست مهنتك ولا زوجتك.. ولا حبك.. مشكلتك هي أحلامك.

كان حلمك منذ البداية أن تكون شيئًا.. أن تكون مخترعًا أو فنانًا أو زعيمًا.. ولم تستطع أن تحقق هذا الحلم فاكثفت بأن تخترعه في خيالك.

قصة حبك كانت وهماً.. اخترعته أنت من طرف واحد.. واخترعت كل ما فيه من أحزان ونكبات.

وقصة الموسيقى بدأتها بحماس الفنان وأنهيتها بخيال المتفرج الذي يكتفى بالوقوف في قاعة البروفات يحلم.

وكان لابد في النهاية من أن تخرج لك زعامة وهمية لتحقيق بعض أحلامك فبدأت تفتعل الأزمات في بيتك لتثير الشغب.. ولتصدر الأوامر.. وتحكم.. وتتحكم.

في النهاية اخترعت عذراً تسند إليه كل فشلك.. وهو مهنتك الجافة التي سلبتك عاطفتك.. وقتلت أشعارك العظيمة في مهدها.

قصتك تذكرني ببطل في إحدى مسرحيات أبسن كان يحلم

بأن يكون صيادًا خطيرًا يصيد السباع في الغابة، وانتهى في النهاية
إلى رجل سكير يربى البط في غرفة ثم يدخل ليصطاده بالبندقية.
والحل الوحيد. هو أن تواجه حياتك وتفتح عينيك على
واقعك.

حكاية الكرامة

أنا طالب بكلية الآداب.. عمرى تسعة عشر عاماً. تعرفت بفتاة جميلة جداً وظريفة وصوتها أعذب من صوت شادية. من النظرة الأولى قلت لها.. أحبك.. وبينى وبينك قلت هذا لكى أبرر قبلاقي.. ولكنها صدمتني بقولها.. أنت كذاب وكلامك فاضى.. هو الحب كده لعبة فى بقك تقوله لكل واحدة.. وفى هذه اللحظة أحسست أنى مجرم وأنى أحتال لأوقع بفتاة بريئة فى شباكى.. وشعرت بفداحة ذنبى.. ومنذ تلك اللحظة بدأت أحبها بحق وحقيق.. وبكل جوارحى.

ولا أنكر أنه كانت لى علاقات قبلها.. ولكن كلها علاقات على الماشى.. حب بالكلام فقط.. من أجل الوصول إلى لذات مؤقتة وأحياناً كنت أنتفع من هذه العلاقات.. كانت إحدى جاراقى تبعث لى بأشهى ما يحضره أبوها من فاكهة.. وأطيب ما تطهيه أمها من طعام.. وكنا نقضى معاً أوقاتاً سعيدة.. ثم أنسى كل شىء بمجرد أن أفارقها.

أما هذه الفتاة فقد أحببتها جداً.. وانشغلت بها ليلى ونهارى.

وغنت لى أغانى الحب والهيام.. مكسوفة لشادية.. علشانك أنت
أنكوى بالنار والقح جتى.. ليلى مراد.. أول لقانا كان هنا.. باحلم
بيك.. أغانى الحب كلها.. ووعدتها بالجهد والمذاكرة حتى أنجح
ونتزوج.. وصرت أسهر حتى الثالثة صباحاً يومياً للمذاكرة..
وفجأة انقطعت عن مقابلتى.. ومرت شهور وأنا على نار..
وأرسلت إليها زميلة فى الكلية ومعها خطاب منى..

وعادت الزميلة لتقول إنها ستزوج.. أبوها مصمم على أن
يزوجها من يوزباشى.. وفى يومها حاولت الانتحار بابتلاع
زجاجة أسبرين.. ولكنهم أنقذونى.. وزارتنى فى المستشفى..
وطيبت خاطرى.. وقالت لى إنى أخطئ كثيراً بهذه التصرفات..
ونصحتنى بأن أكون عاقلاً.. فكل ما بيننا لا يزيد عن صداقة..
وليس هناك داع لهذا الجنون.

وحينما خرجت من المستشفى تأكدت أنها تحب هذا
اليوزباشى.. وتقابله كل يوم.. وتريده زوجاً لها.. ولا دخل
لوالدها فى المسألة.

وشعرت بأنى أنهار.. وأتخطم، وأفقد ثقتى بنفسى وأفقد كرامتى..
مزقت صورها لأستريح.. وأحرقت المنديل الذى أهده لى
وعليه طبع شفتيها.. ولكنى لم أستطع نسيانها.

وفقدت مرحى وبهجتى.. وفقدت القدرة على المذاكرة.. وعلى
النوم وصرت أسرح كثيراً.

كانوا يسموننى مهرج الكلية.. ولكنى الآن أسير كأتى أسير فى جنازة.

هذه الفتاة طعنتنى فى كرامتى.. وشخصيتى..
أفكر أحياناً فى أن أضربها علقه ساخنة.. وأضرب اليوزباشى معها وأرسل إلى والدها الخطابات التى أحفظها عندى بخطها..
ثم أعود فأجيب لأنى أحبها..

حالتى النفسية قلقة.. وأخشى الرسوب هذا العام.
أحياناً أشعر برعدة وقشعريرة وأنا فى فراشى.. من فرط الأرق والتعب.. والعذاب النفسى.
سيدى.. ماذا تسمى مثل تلك الفتاة.

الفتاة التى تعطى صورها لشاب وتغنى له أغانى الحب والهام..
وتخرج معه.. ثم تحبىء فى النهاية وتقول له.. هذه كانت صداقة..
وتتركه وتحب رجلاً آخر وتتزوجه.

وماذا تسمى أنت ما يقوله ولد وغد يغازل جارته ويقول لها
أحبك ويأكل الفاكهة التى يشتريها أبوها.. ويلهف الأطلعمة التى
تطهوها أمها.. ثم يذهب بكل بجاجة إلى فتاة أخرى ليقول لها
أحبك.. تزوجينى..

أنت ولد عبيط وقد أخذت حقك من الأدب على يد صاحبتك.

وأنت عبيط لأنك تجعل كرامتك وثقتك بنفسك في مستوى
لعب البنات.. كلما خاصمتك البنات التي تحبها فقدت كرامتك..
وعزتك وقعدت تعيط.. وترتعش في السرير.
وإذا كنت ناوى تفقد كرامتك مع كل أغنية من أغاني شادية..
يبقى مش حا تخلص.
كرامتك حا تستحمل إيه.. والا إيه يابنى.. على مهلك شوية.

الغولة

تزوجت في سن مبكرة حينما بدأت أقتحم ميدان العمل.. كان هدفي الاستقامة والاستقرار.

وتزوجت موظفة.. وفي بحر أسبوع دخلنا.. ولم تكن عندي فكرة عنها.

ومنذ هذا اليوم وأنا أتعس إنسان في الدنيا.. انهارت آمالي لم أكن أتصور أن أتزوج امرأة بهذه الصفات.. امرأة لا هم لها إلا المشاجرة والسباب بالفاظ فاضحة.. إذا لم تتشاجر معي تشاجرت مع أولادها أو الخدم أو السكان أو أمها أو إختها. البيت الذي أشتته بأفخر الرياش حولته إلى أسطبل ينام فيه الذباب.

عشت معها أكثر من عشر سنوات كانت حياتي معها عبارة عن سباب بالفاظ تجرح العفة.. ومشاجرات ومحاضر في أقسام، وتحقيقات في النيابة.. وقضايا في المحاكم.

حاولت إدخالى السجن بعد سنة من زواجى منها.. ذهبت إلى البوليس وادعت أنى سلبتها مجوهراتها.. وحررت محضراً بهذا.. ثم

أفرجت عني النياية بعد مبيت ليلة في السجن..
لا يوجد أحد يطيقها.

أهلها تبرءوا منها ولم يحاول أحد منهم أن يزورها خوفاً من
لسانها، والموظفون الذين يعملون معها يتحاشونها لسفاهتها.
ومع هذا عشت معها وصبرت على قرفها، لأنها، وإنصافاً
للحقيقة، برغم كل عيوبها.. امرأة شريفة.. ليست من ذلك
النوع الخليع المتبرج من نساء هذه الأيام. ليست هي الزوجة التي
يعيش معها الزوج وعيناه في وسط رأسه.

كنت دائماً وبرغم شراستها.. أعيش في نعمة الاطمئنان على
أن عرضي مصون.. ولن يطوله أحد.
لم يوجد الرجل الذي استطاع أن ينظر إليها نظرة.. كده.. أو
كده.

وأنت تعلم ماذا تعني هذه الراحة بالنسبة للزوج، وخصوصاً في
هذه الأيام التي يعلم بيها ربنا.. هذه الأيام التي تخرج فيها
الزوجات إلى الخياطة والكوافير وطبيب الأسنان.. والاسم
مشاوير.. وهاتك يادوارة ومسخرة في شقق الرجال العزاب..
والزوج الغلبان قاعد في البيت بقرنين.. نهايته.. كان من الطبيعي
أن أحتملها بكل قرفها.. وطبعها الحاد المشاكس وقذارتها في
سبيل راحة بالي.

حتى جاء يوم ومرضت مرضاً خطيراً.

ونسيت كل ما سببته لى من آلام.. وفعلت المستحيل من أجل
إنقاذها لتعيش لأولادها.

ولم أبخل عليها بالمال ولا بالوقت ولا بالراحة ولا بالرعاية.
كنت أجوب القاهرة باحثاً عن الأدوية التى تلزمها.. وكنت
أحياناً أسافر لأبحث لها عن دواء نادر.. حتى شفيت.

ولكن طبعها ازداد حدة وعصية.. وأصبحت تشور لأنفه
الأسباب وتطلب منى أن أطلقها.. فأطيب خاطرها وينتهى كل
شىء.. ثم تعود الثورة لسبب تافه آخر.

وأخر مرة عدت إلى البيت متأخراً بالليل، فوجدت الباب
مغلقاً من الداخل.. ورفضت أن تفتح لى.. وألقت على موشحاً من
النافذة..

وأنا الآن أفكر فى الطلاق.. ولكننى فى نفس الوقت أشعر
بالحيرة واليأس.

كيف أعيش وحدى بعد الطلاق.. ماذا أفعل.. هل أتزوج مرة
ثانية.. وكيف أضع عرضى وسمعتى بين يدى واحدة من بنات
الشارع اللاتى يسرن كالبلياتشو مدهونات بوية.. بنات اليوم،
اياهن.. وأبقى بالاسم زوج.. وأنا رايح جاى بقرنين.. على راسى.
أنا حائر.. دببنى.



إن زوجتك عندها من العيوب ما يكفى لتطليق عشر زوجات
من أزواجهن.

ولكن المشكلة الحقيقية هي مشكلتك أنت.

أنت تشك في البشرية كلها.. وتسئ الظن بدرجة يستحيل
معه أن تطمئن إلا إذا تزوجت غولة.

وهذا هو الذى حدث بالضبط.. لقد تزوجت غولة.. وكانت
شراستها برءاً وسلاماً على قلبك.. كانت بركات وحسنات
بالنسبة لك.. ومسكنات ومهدئات لداء الشك الذى يأكل عقلك.
وأنت تخطئ جداً حينما تتصور أن الخيانة الزوجية شائعة بهذه
الدرجة.

تخلص من عقدتك وتزوج.. وسيتك من حكاية القرون دى.
أما إذا لم تستطع الخلاص من مشكلتك.. فلا يوجد حل..
استمر في معاشرة الغولة.. أو تزوج غولة أخرى.

ميلاد صناعى

أنا فى الأربعين.. أعمل بالصحافة المصرية.. متزوج وعندى عشرة أولاد.. أحب زوجتى وأتفانى فى تربية أولادى.. مستقيم، هوايى الوحيدة فى دنياى هى إنجاب الأطفال.

تزوجت قبل زوجتى الحالية بفتاة ولم يعمر زواجنا أكثر من عام لعدم الوفاق بينى وبين عائلتها.. فطلقتها.

وتزوجت هى من بعدى برجل آخر وأنجبت منه تسعة أطفال فى خلال ١٤ عاماً.. كنت سبقتها أنا بالأطفال من زوجتى الحالية. والتقينا بعد هذه الأعوام الطويلة.

جمعتنا الظروف صدفة منذ عامين فى مكان.. فأخذنا نتحدث ونحكى.. روت لى ما حدث لها.. ورويت لها ما حدث لى.. وتذكرنا أيام زمان حينما كنا زوجين.. وكيف كنا نختلف لأنفه الأسباب ونتعارك.. وضحكت ونظرت إلى فى طيبة وحنان.. وقالت لى:

- هل تعرف يافلان.. أنى كنت أحبك.. كنت أحبك جداً.. ولكنى عبيطة.. ولم أعرف كيف أحتفظ بك.

واعترفت لها بدورى.. كيف كنت أحبها.. ولكن كبريائى
كرجل أفسد علىّ هذا الحب.. وحول حياتى إلى مشاغبات معها
ومع عائلتها.. انتهت بالطلاق.

وحكى لها كيف بكيت بعد الطلاق.

وتندت عيناها بالدموع وأنا أحكى لها قصتى.

وعشنا مع بعض ساعة جميلة من الزمن.. وتواعدنا على أن
نلتقى مرة أخرى.

والتقينا مرة ثانية وثالثة.. ونشأت بيننا صداقة عميقة ما لبثت
أن تسلفت إلى قلوبنا وانقلبت حباً جارفاً.

وتيقظت عواطفى وكأنى لم أر النساء طول عمرى.

وكنا كلانا ندرك العواقب فحرصنا على ألا يشعر بنا أحد.

لى قرية زوجها يعمل بإحدى الدول العربية.. أخبرتها بكل
شئ.. فقالت لى بن شقتى تحت أمرك فى أى وقت.. وفعلنا التقيت
بها وذهبنا إلى قريتي فرحبت بنا وأعطينا الحرية التامة.

وأصبح تردنا على هذه القرية شيئاً عادياً.. وبمواعيد منتظمة
نرسمها معاً وبحرص شديد.

زادت مقابلاتنا.. وبرغم كثرة هذه المقابلات.. فإنى أقسم لك
أننا لم نفعل شيئاً.

كنا نقضى الوقت فى الحديث.. ونتعانق.. وتبادل القبل،
ولا شئ أكثر من هذا.

ومع هذا فقد بدأت أحس بعذاب ضميرى.. أشعر أنها تسرق
هذا الوقت الذى نقضيه فى الحب من أولادها ومن بيتها.
قررت أن أضغط على نفسى وأبتعد عنها.. وكتبت لها أقول:
إننا غافلان نخوض فى حب يملكه غيرنا.. حب مسروق.. حب
بلا هدف.. وبلا نهاية.. عودى إلى زوجك.. وليجمع الله بينكما فى
الخير.. وتذكرينى.. فهذا يكفينى.. وسوف أذكرك طول عمري.
وبرغم بعدى عنها.. فأنا أعيش فى عذاب.. وأتحيلها معى فى
كل لحظة.. وأفكر فى مواصلة ما كنا عليه.. ثم أعود فأتردد.
والله وحده يعلم ما يكنه قلبى من الحب.
قل لى بربك ماذا أفعل؟

* * *

هذا حب غريب فى نشأته وظروفه.
وأعتقد أنكما صنعتما هذا الحب صناعة.

لقاؤكما بعد ١٤ عاماً بعد أن أصبح كل منكما رباً لعشرة عيال
يجر جر وراءه حياة مملّة متعبة ليست فيها شاعرية ولا أحلام..
هذا اللقاء وهذه الحياة الجافة المملّة هى التى دفعتكما إلى صناعة
لعبة تلهوان بها.. لعبة اسمها الحب.. تنعشان بها ما بقى من
أيامكما.

ميلاد هذا الحب ميلاد صناعي.. وليس ميلاداً طبيعياً.

وقد دخلتما فيه كما تدخلان سينما.

وأعتقد أنه قد جاء الوقت لتفريقا أنتما الاثنان من هذا الوهم
الذى تعيشان فيه وتعودا إلى الواقع.

ملاك أزرق

أنا شاب خجول.. وربما يكون هذا عيباً كبيراً.. ولكن لا أستطيع أن أتلافاه.. فقد تطبعت به ما يقرب من عشرين عاماً عشتها في كنف أسرة أحاطت نفسها بسياج من التقاليد القديمة وجعلتها دستوراً لها.

أعمل في إحدى الشركات بالإسكندرية.. وهى، زميلة لى بالعمل توطدت بيننا صلة الزمالة إلى أن تدرجت من ناحيتى إلى حب جارف ملأ كل قلبى.

وحاولت أن أصارحها بحبى.. ولكنى كنت أعجز عن النطق عندما أرى عينيها أو أسمع صوتها.. فكتمت حبى فى قلبى وانتظرت الفرصة المناسبة.

وكان معى فى العمل زميل آخر، رجل فى الثلاثين متزوج، له ولدان، وزوجته تعمل معنا فى الشركة.. وتوطدت صلتى بها وخصوصاً لأنى سكنت بجوارهما.. وأصبحت لا أفارقهما من الصباح إلى المساء.

وخطر لى أن أشرح لصديقى ما أنا فيه ربما يكون عنده حل

وأفهمته شعورى وطلبت منه المساعدة.. فوعدنى أن يساعدى بشرط ألا أستغل حبى لأتسلى بالبنات.. وبشرط أن أتزوجها.. فأقسمت له أنى لا أهدف من هذه العلاقة سوى الزواج.. وأنى لست بالرجل الذى يلهو بعواطف البنات البريئات.

وبالفعل ساعدنى.. فخرجنا معاً لأول مرة أنا وهو وزوجته وفاتنى.. ذهبنا إلى السينما وإلى منزله مرات كثيرة.. وفتحت زوجته قلبها لفتاتى واعتبرتها أختاً.. لدرجة أنها كانت تنام فى بعض الأحيان بجوارها وإلى جانبها زوجها على نفس السرير.. وكثيراً ما تركتهما وذهبت لإسكات الطفل.

كانت إنسانة ذات قلب طيب رقيق.. وكانت تثق فى زوجها ثقة عمياء، فقد تزوجت به عن حب صادق متبادل بين الطرفين. وتعددت مقابلاتنا.. وكنا فى كل مرة نقترّب من بعض أكثر، وكنت دائماً مع صاحبتى فى منتهى الأدب بالرغم من محاولتها إثارة لقلبها أكثر من مرة.. ولكنى كنت أجبن فى اللحظة التى تقرب شفيتها منى.. وكنت أخشى أن أؤنس حبى.

وكان دائماً يدهشنى منها أنها كثيرة الهزار مع صديقى.. حتى أمام زوجته.. هزار مشين فى نظرى.. وليس صديقى وحده.. وإنما كل الزملاء فى المكتب بدرجة جعلتنى أنفر منها.. وأعاتبها.. وأنصحها.. وبدون فائدة.

وتصورت أنها كانت تقصد من هذا إثارة غيْرِتى.. وأن هذا

الهزار هو الأسلوب الأسبور للحياة.

وفي يوم شاءت الظروف أن نتأخر أنا وهى وصديقى وزوجته
فى الشركة بسبب كثرة العمل.. يومها تحدثت معها حديثاً حلوًا..
وصارحتها بحبى وكانت لحظات من أجل لحظات حياتى..
ثم حدث أن خرج صاحبى.. وغاب بعض الوقت وطلبها..
فذهبت إلى مكتبه وغابت.. فذهبت حاملا بعض الأوراق..
وفتحت باب المكتب لأفاجأ برؤيتها بين ذراعيه فى قبلة طويلة..
وكانت صدمة عنيفة أفقدتني رشدى فجريت إلى مكتبى
وارقمت عليه وأخذت أبكى..

ودخل صديقى.. وحاول أن يعتذر.. ثم جاءت هى بوجه زالت
منه كل معانى الخجل.. جاءت وكأن شيئاً لم يحدث.. ولكنى طردتها
بقسوة.

كان من الواضح أنهما كانا يتخذانى ستاراً لإخفاء علاقتها
الفاضحة عن أعين الزوجة.. وأنى كنت مغفلاً طول الوقت..
وكرهت نفسى.. وكرهت حياتى..

ومرت أيام ذقت فيها أقسى ألوان العذاب.. وفكرت فى تقديم
استقالتي من الشركة لأبعد عن هذا الجو الفاضح.. ولكنى فقدت
القدرة على اتخاذ أى قرار.. لقد ذهبت ضحيتها..
أنقذنى.

أنت لم تذهب ضحيتها.. لقد ذهبت ضحية خيالك وأفكارك.
أنت المذنب من البداية.

إن صاحبك لم تحاول أن تبدو في أى وقت على غير حقيقتها،
لم تحاول أن تخدعك.

لقد أظهرتك على حقيقتها على الدوام، فهي على الدوام في حالة
هزار مشين مع كل موظفى المكتب.. وهى تنام مع صاحبك وزوجته
على فراش واحد.. وهى تحاول أن تجرّك إلى تقبيلها، وأنت تحشى أن
تدنس حبك.. يا سلام.

وأنت في حالة خيال مستمر.. أنت مصر على أن تلبسها دوراً غير
دورها.. أنت مصر على أن تعاملها كملاك.. وتحبها كملاك.. ملاك إيه
يا بنى.. دى ملاك أزرق.

والآخر تقول لى صدمة.. صدمة إيه؟.. فين الصدمة دى، ده نهاية
طبيعية جداً وظاهرة منطقية ومتوقعة.. واضح أن المكتب كله
بيبوسها.. مش صاحبك بس.

فين الصدمة هنا.

أنت أصلك مخبوط في عقلك.

أنت المذنب.. لقد كنت طول الوقت تضطهدها وتطالبها بصفات
ليست فيها.. إنها مخطئة في حق نفسها صحيح ولكنها بريئة من دمك.
امسح دموعك.. وقوم روح شغلك.. وتانى مرة ما تحاولش تفرّض
خيالك على الناس.

البكاء لن ينفع

في ١٩ يونيو ١٩٥٨ كنت قد انتهيت من امتحاني في الجامعة، وكنت أشحن عفشى في عربة العفش التقليدى لكل طالب.. سرير ومكتب وكرسى ودولاب صغير.. وفي جيبى مفتاح أعطاه لى أحد أصدقائى لأقيم بشقته طيلة العطلة الصيفية. ودخلت البيت ليلا حتى لا يراى الجيران مع عفشى الحقيقى، وكان من عادى أن أقوم بكل لوازمى البيتية بالليل.. أغسل وأكنس وأمسخ وأنظف الأطباق بالليل.. وفي النهار أقوم بالطبخ. وفي إحدى الليالى، كنت راجعا حوالى الثانية عشرة، سمعت صوت بكاء ونشيج فى الشقة بجوارنا.. ثم فتح الباب وخرجت منه سيدة.. تجاوزت الثلاثين من عمرها، ممتلئة الجسم قليلا طويلة بيضاء متوسطة الجمال مثيرة الأنوثة (عرفت بعد ذلك أنها مطلقة منذ أكثر من ثلاث سنوات).. ونظرت إلى فى استنجاد وانفجرت تبكى.. فقلت لها فى خجل وخوف.. مالك.. فقالت والدتى خرجت من الصبح وماجتش لدلوقت.. وهى واحدة ست كبيرة.. وخايفة يكون جرى لها حاجة. فاقترحت عليها أن تتصل بأقاربها عليها تكون هناك.

فأعجبتها الفكرة وأبدت استعدادى لمصاحبتها.. ورحنا نلف على بيوت الأقارب واحداً بعد آخر حتى وجدناها بخير.. ورجعنا فى وقت متأخر فى سيارة أجرة.

وفى اليوم التالى جاءت أمها وبقية العائلة تشكرنى. فعرفت عليهم وتبادلنا الشاى فى طهارة وحسن نية.. ولم أشعر أكثر من أنهم جيران طيبون.

وبعد شهرين ذهبت فى رحلة إلى معسكر صيفى فى الإسكندرية وغبت عشرين يوماً.. ثم رجعت فقابلتنى السيدة فى حرارة ودخلت خلفى فى الشقة وهى تسألنى عن الرحلة وعن الإسكندرية فى تلهف وخجل.. وفى عينيها بريق غريب وهى ترتعد.. وانتهى المشهد بأن خطفت منى قبلة وجرت بعدها إلى شقتها.

وتعاقبت الأيام والشهور وتطورت القبلة الخاطفة إلى قبلة طويلة.. ثم إلى عناق أطول ثم إلى المصير المحتوم الذى تؤدى إليه خلوة امرأة وشاب فى العشرين رياضى ومكتمل الجسم. وتكررت المسرحية لمدة أكثر من سنة. وعرف الجيران وعرف أهلها بعلاقتنا.

وسافرت فى العطلة الصيفية لعام ٥٨ - ٥٩ وكنت ألتقى منها رسائل ملتهبة أرد عليها برفق وتعقل.

وعدت من البلد لتقابلنى بحب أكثر ولهفة أكثر ولتحكى لى

ما حدث مع أهلها.. وكيف أنهم عرضوا عليها الزواج من رجل غنى.. وكيف رفضت وأصرت على الرفض.. وبكت واشتكت وتشاجرت مع أهلها وهجرتهم وهجروها.. وعرضت على الزواج فكانت مفاجأة بالنسبة لى.. ارتبكت.. ثم رفضت بحجة أنى فقير.. وبأنى ما زلت طالبا لم أكمل تعليمى.. وصغير السن.. أصغر منها بعشر سنوات.. فقالت وماله.. عندى ثروة تكفىنى وتكفىك.. وسأضع كل مالى بين يديك.. وأساعدك فى تعليمك، وأخدمك أكثر من خدامة.. وقلت لها.. إن هناك أهلى.. وهم لا يوافقون على زواجى.. فقالت لا يهم أى شىء ما دمت أحبك وتحببى.. ولكنى رفضت بشدة.. وانتهى الموضوع ليتجدد بعد ذلك كل يوم ومعه بكاء وصراخ.. وقبلات على يدى ورجلى والأرض التى أمشى عليها.. أحبك.. أعبدك ما أقدرش أعيش من غيرك.

وفى إحدى الليالى طرق الباب بعنف وفتحت لأراها أمامى متورمة العينين من البكاء.. وارتمت على صدرى تصرخ وتولول بأن أهلها جلبوا لها عريسا آخر وهم يضغطون عليها لتتزوج منه، وهى لا تريد لأنها لا تحبه ولأنه أكبر منها بعشر سنوات.. وكنت رقيقا معها هذه المرة ولم أشأ أن أقول لها إنها هى الأخرى أكبر منى بعشر سنوات.

وراحت تقبلنى وتقول لى أنقذنى.. تزوجنى ولو ليوم واحد لأسكت أهلى وأرهم العقد فيبعدوا عنى.. فوافقته لا أدرى

كيف، ربما طيبة منى.. ذهبنا إلى محام تعرفه.. وكتبنا العقد.
وكان عقداً عرفياً نظراً لاختلاف دياناتنا فهي مسيحية وأنا
مسلم.. ورجعنا إلى البيت.

واستمرت علاقاتنا كما هي.. نلتقى بالليل فقط.. وأنا في
شقتي وهي في شقتها.

وكنت محافظاً على مبدئي فلم أحاول أن أستغل حبها وكرمها
وغناها.. حتى السينا كنت أرفض أن تدفعها.. وأتظاهر بالمرض
حينما تنفذ نقودي.. وكانت تغار على من خادمتها التي لم تتجاوز
العاشرة.

واليوم وقد أكملت تعليمي وأخذت الشهادة وأصبحت أنطلع
للمستقبل ولبناء حياتي.. حاولت أن أفتحها في الموضوع لإنهائه
ولكنها تشبثت وبكت واشتكت.

لى عندها خطابات وصور.. والعقد العرفي إياه.. وهي متشبثة
بهذه الأوراق كما أنها متشبثة بحبي وتهددني بأنها ستنتحر
وستكتب أفى سبب انتحارها إذا طلقته.

وأنا لا أريد أن أكون مجرماً.. ولا أريد أن أكون بقايا حيوان،
ولا أريد أن أثقل ضميري بأعباء لا يطيقها.

ولا أريد أن أكون في نفس الوقت رجلاً عبيطاً تضحك عليه
امراً.. ولهذا أشركك في مشكلتي وأطلب رأيك.

إنك لم تترك لى رأياً فى الواقع.. فإن سياق خطابك يشير إلى حقيقة واحدة باستمرار.. أنك لم تحبها فى أى يوم من الأيام، هى التى اقتحمت شفتك وخطفت منك قبلة.. وهى التى كتبت إليك رسائل ملتهبة.. وهى التى عرضت عليك الزواج وهى التى قبلت قدميك لتحصل على عقد زواج ولو لمدة يوم.. هى.. هى.. دائماً وأنت ساكت تعطيها فمك لتقبله.. وترد على خطاباتنا برفق، وتعتقد عليها عرفياً من باب الشفقة.

واضح جداً أنك قد كونت رأيك من البداية.. ولست فى انتظار رأى فأنت قد اعتبرتها سد خانة.. مدة التلمذة.. وخلاص.. والزواج يا عزيزى ليس بالعافية.. والحب لا يمكن إثارته بالإشفاق والتهديد بالانتحار.

أظن أنها ستدفع ثمن عروضها الرخيصة.. ولن يجديها انتحار.. أو صراخ.. أو بكاء.. فأنت قد كونت رأيك من زمان.

البحث عن مقياس

أنا فتاة في العشرين.. أشتغل عاملة في شركة.. لى أسلوب فى حياتى اخترته واقتنعت به ومشيت عليه طول حياتى.. هو أن التزم فى علاقاتى مع زملائى الأدب والاحترام فأكون صديقة لكل دون أن أكون حبيبة لأحد.. وأحتفظ بعواطفى لنفسى ولا أبذلها وأعرضها للهوان أمام اللى يسوى واللى ما يسواش.

كانت نظرتى ألا أفتح قلبى إلا للرجل الذى يتزوجنى.. وأبتعد عن اللف والجري.

وكان رأى فى غراميات البنات زميلاقى.. أنها ليست غراميات فى الحقيقة.. وإنما هى مرمطة.

وكان أسلوبى هذا يلقى السخرية من الجميع.. البنات والرجال على السواء.. البنات يقلن عنى شيخة.. والرجال يقولون عنى رجعية.. ريفية.. طالعة فيها.. أليطة.. وعلى إيه ده كله.

ولكنهم مع هذا كانوا يحترمونى ويحسبون لى ألف حساب وكان أخى يوافقنى على رأى.. ويعيش فى حياته الخاصة

كما أعيش أنا في حياتي.. وكان هذا يعطيني القوة لأمضى في
طريقي.
ثم حدث شيء..

أحب أخي جارتنا.. وهى فتاة معروفة بسوء السمعة.. وهو
نفسه يعلم بسوء سمعتها وسوء أخلاقها.. وكان يحكى لى أنه رآها
تمشى مع فلان على أنه خطيبها.. ثم تستبدل به فى اليوم التالى
رجلا آخر تقول أيضاً إنه خطيبها.

ثم يحكى لى أنه رآها تهرب عشيقها من النافذة لأن أخاها دق
جرس الباب.. ويقول إنها فتاة سيئة الخلق.. وإن آخرتها
حاتكون زى الزفت.

وهذه الفتاة هى التى أحبها.. وتدلّه فى حبها.. ثم فعل ما هو
أدهى وأمر.. تقدم للزواج منها.

وحينما صرخت فى وجهه وقلت له كيف تتزوج فتاة أنت
نفسك تعلم أنها سيئة الخلق ومشيت مع عشرة غيرك.. أجباني فى
برود، إنه قد اكتشف أن البنت التى لها ماض أفضل بكثير من
التى لها مستقبل.. وإنها أحسن من البنت التى ليست لها تجارب.
وانهارت مثالياتي كلها دفعة واحدة.

ماذا جرى لعقولكم يا رجال.. كيف تهون عندكم العقبة إلى
هذه الدرجة.. وماذا نفعل حينما نسمع هذا الكلام.
حينما نرى أن الابتذال هو الطريق الذى يوصل إلى الزواج،

والاحترام والعفة والأدب والأخلاق هي الطريق المسدود الذى لا يوصل إلى شىء..

حاجة تحير.

هل كل الرجال يقولون هذا الكلام.

ماذا نفعل لتريح ونستريح.. قولوا لنا لنعرف برنا من بحرنا.

مشكلة هذا الجيل أن كل واحد فيه يفكر على طريقته..

المقياس الواحد العام المتفق عليه ذاب وتفتت إلى عدة

مقاييس.

هناك الرجل الذى يبحث عن بنت زمان ست البيت التى

لا تخرج فى الشارع ولا تعرى صدرها.. ومقياس الصلاحية عنده

أن تكون البنت خام. وهناك الرجل الذى تعجبه البنت التى

تحمل شهادة وتخرج وتعمل.

وهناك الرجل الذى تعجبه البنت الدائرة، ولا يهمه إن كانت

خسرانه أو مش خسرانه.

والخطر كل الخطر أن ينظر كل واحد إلى الآخر ويقلده فى

ذوقه.. أن تنظري أنت إلى أخيك ويسقط فى يدك من الحيرة..

وتشكى فى نفسك وفى سلوكك.. وتنظري إلى البنت الخسرانة..

وتحاولى أن تقلديها فى خسارتها لتتزوجى.. وأنت غير مقتنعة

بأسلوبها.. وأنت تحتقرينها في نفسك.. وتكون النتيجة هي الفشل
المؤكد في الزواج.. وفي الحبص.. على السواء لأنك عشت في لون
غير لونه.

لا تقولى ماذا يريدك الرجال منا نحن النساء.. وإنما قولى
لنفسك.. ماذا أريد أنا.

إن الرجال ألف لون ولون.. كل رجل له طلب.. وله حلم،
وله نموذج يحلم به غير النموذج الذى يحلم به الرجل الآخر..
الجيل مفكك ليست له راية مذهبية واحدة.

وإذا حاولت إرضاء كل الرجال، فسوف تعيشين كالحرباء،
كل يوم بلون وتختارين نفسك دون أن تكسبى رجلا واحداً.
حاولى أن تبحتى في نفسك أنت عما تريدين.

أنت مقتنعة بالعفة والأدب.. عيشى عفيفة مؤدبة وستجدين
رجلك الذى يتفانى في حبك.. ويجد فيك أنت نموذجك الذى يحلم
به.

حذار أن تنظرى حولك إلى ما تفعل البنات.. وإلى ما يقوله
الرجال.. وإلا فسيكون سقوطك مضاعفاً.. سقوط في نظر
الناس.. وسقوط في نظر نفسك.. وهذه هي الكارثة.

إن أخاك واحد من الرجال.. والرجال ليسوا كلهم كأخيك
أبداً.. فالدنيا ما زالت بخير والحمد لله.

العقل

أنا فتاة من الشرقية من عائلة طيبة.. تعليمى متوسط.. بدأت حياتى فى سن السادسة عشرة.. شاءت الظروف أن أشتغل ممرضة بإحدى المستشفيات وكنت فى تلك السن زهرة يانعة جميلة أتدفع بالمرح والحياة والنشاط.

وأقبلت على عملى برغم ما لاحظت من احتقار الناس لهذا العمل النبيل.. والغريب أن الناس يأخذون منا صحتنا وشبابنا ويبخلون علينا حتى بالتقدير والتشجيع الأدبى فى مقابل عمرنا الذى نبذله بجاناً للمرضى.

وكان لهذا النكران والهوان والاحتقار الذى أحس به فى كل مكان أثره فى نفسى.. فبدأت أفقد ثقى بالمثل العليا والأخلاق.. وبدأت أقول لنفسى.. إذا كان هذا رأى الناس فى الممرضة.. أنها فتاة خليعة تمشى على كیفها، فلماذا أعذب نفسى بالحرمان وأضيع عمرى خلف تقدير لن أحصل عليه.. ولماذا أجرى خلف الشرف.. والشرف يتبرأ منى.

وبدأت أسهر.. وأمتع بكل لحظة فى حياتى.. حتى أفقت فى يوم

وقد وصلت إلى السابعة والعشرين من عمري.. ولم أعثر بعد على حب عظيم أعتر به.. أو رجل نبيل أطمئن إليه.

كل الرجال الذين عرفتهم كانوا غشاشين.. يبدون الحنان ليحصلوا على المتعة بأى ثمن.. ثم لا شيء بعد هذا.. كل حنانهم يتبخر.

غش.. وسفالة.. وانحلال.. وكذب.. فى كل مكان.. وكل رجل.. ورجعت بذاكرتى إلى الوراء.. وتدمت حيث لا ينفع الندم.. تدمت على كل خطوة خرجتها مع رجل.. وكل لحظة ابتذلت فيها نفسى من أجل لذة أية لذة.. ورجل أى رجل.. ولكن المشكلة الآن أن الإنسان ييكبر.. وفرص الزواج تقل يوماً بعد يوم.

وأنا تعودت أن يكون معى رجل.. وأشعر أنى عاجزة أن أرجع كما كنت زمان.. واستغنى عن هذه الحكاية.. وكلما فكرت فى المستقبل اسودت الدنيا فى وجهى.. ورحت أبكى وأمزق شعرى فى حرقه ومرارة.

إن السحر الذى يستعبد الرجل ويغلب له.. ويجعله يطلع يجرى على المأذون ليتزوج.. هو عقل المرأة.. تحفلها أولاً.. وعقلها ثانياً.. وعقلها ثالثاً.. وبعد ذلك جماها وفلوسها وحبها.. إلخ.. إلخ.

وهذا طبيعي لأن العقل هو أهم شيء في الزواج.. وأهم ضمان
في نجاح الزواج.. لأن الإخلاص عقل.. والوفاء عقل.. والقيام
بمسئولية البيت عقل.. وتربية الأطفال عقل.. وتدبير ميزانية
البيت عقل.. ورعاية الرجل في مرضه وفي فشله وفي إفلاسه..
عقل.. وكفالة المظهر المحترم أمام الناس عقل.

عملية الزواج كلها عقل في عقل.
والزواج الناجح يحتاج من المرأة إلى التعقل.. لأنه يحتم عليها
أن تتنازل عن الكثير من هوس الشباب وطيشه ولذاته.. وتتنازل
عن بعض نفسها لتتقاسم الحياة مع رجلها الذي تنازل أيضاً عن
طيشه وعينه الفارغة الزايغة.. ليعيش.
ومهما كانت المرأة جميلة وجذابة وفاتنة.. فهذا لا يكفي ليغري
الرجل بالزواج منها إلا إذا كان مغفلاً.

وأنا أذهب إلى أبعد من هذا.
أنا أبخل حتى بالهلس مع الفتاة السايبة التي تنتقل في طيش
وترخص من رجل إلى رجل.. مهما كانت جميلة وساحرة.. لأنني
أشعر أنني أدلق صحتي في بالوعة يدلق فيها الكل إفرازاتهم.. وإني
أفوز بشيء لا قيمة له إطلاقاً.
والمرأة حتى ولو كانت.. صيدة.. لا تفوز باهتمام الرجل
إلا إذا شعر بقيمتها وغلوها.

ونصحتي لك.. أن تبذلي كل عقلك وذكائك.. وإذا استطعت
أن تقتنعي رجلاً واحداً بأنك إنسانة ذكية وعاقلة وأنتك يمكن أن
تكوني محل ثقة.. فإنك ستتزوجين قبل مضي هذا العام.
تنبأت الطيبة.. ولا تنسيني بعلبة الملابس.

الناس والظروف

بدأت حياتى فى سن الرابعة عشرة حينما بدأت أحس أنى رجل مسئول وأن على أن أساهم فى الكفاح من أجل بلدى.. ويومها انضممت إلى أحد الأحزاب السياسية وبدأت أشتغل بالسياسة وأخطب وأهتف وأنظم المظاهرات فى المدرسة الثانوية التى أتعلم بها.. وكنت حينذاك طالباً فى السنة الثالثة.

وكما يحدث دائماً فى مثل هذه الأمور.. كانت النتيجة هى الغرور.. والإحساس بالعظمة والأهمية.

وبدأت أعامل نفسى على أنى رجل مهم.. وأنظر إلى نفسى على أنى زعيم.. وصاحب رسالة.. ولا يهم أن أرسب فى الجغرافيا أو الكيمياء.. فالزعماء ليسوا فى حاجة إلى كيمياء.

ورسبت أكثر من سنة فى دراستى الثانوية.. وقضيت سنوات الدراسة دوبل.

وكان يحدث أثناء موجات الاعتقال.. أن أتوقف عن نشاطى السياسى.. وأبدأ فى شغل فراغى بالاستغراق فى شرب الخمر والعلاقات النسائية.. وكلهن نسوة محترفات بالطبع.. وكانت

المسألة تبدولى جزءاً من الزعامة والباشوية التى أسعى للحصول عليها.. فهكذا يفعل الباشوات أيضاً.. يشربون ويسكرون ويعربدون مع النساء فى أوقات الفراغ من الزعامة.

ودخلت كلية الحقوق.. وتخرجت محامياً.. وفتحت مكتباً فى القاهرة تعبت فيه كثيراً.. لم أكسب ملياً.. وفكرت فى العودة إلى بلدى لأمارس مهنتى.

وكان حظى فى البلد أحسن من حظى فى القاهرة بكثير.. ونجحت وكثرت القلوس فى يدى.. وانهالت القضايا على المكتب. وكنت فى هذا الوقت قد بلغت الخامسة والثلاثين.. وكان المكتب على كثرة شغله يترك لى نصف يوم فراغاً لا أعرف كيف أملؤه.

وكنا نجتمع أنا وطبيب المركز ووكيل النيابة والعمدة لنلعب القمار.. أو نسكر.. أو نذهب إلى بيت مشبوه حيث نجد كفايتنا من النسوة المحترفات.. وحيث نقضى ليلينا حمراء حتى الصباح. وكنت قد نسيت أحلام الزعامة.. والباشوية.. والسياسة العليا.. واكتفيت بلذات هذا الواقع الرخيص.. أغرق فيه كلما وجدت لحظة فراغ.. ولكنى فى نفس الوقت كنت قد كبرت على هذه اللذات.. وأصبحت لا أشعر بسعادة فى هذا اللون المراهق من الاستهتار.. كنت فى الحقيقة قد كبرت على عاداتى القديمة.. وفى أغلب الحالات التى كنت أصطحب فيها هؤلاء النسوة

المحترفات كنت أجزل لمن العطاء آخر الليل دون أن أفكر في أن
أنال منهن شيئاً.

كنت أشعر أنهن نساء بانسات.. وإني أنا أيضاً رجل بانس
مثلهن.^١

وفي هذه المرحلة الحرجة من حياتي.. قابلتها لأول مرة.. في
بيت من هذه البيوت المشبوهة.. وكانت حاملاً في شهرها الثالث.
فتاة في العشرين ذهبية الشعر.. جميلة.. جمالها هادئ طيب
بريء حزين.. لا تتكلم إلا قليلاً وتعيش في وسطها الرديء..
وكأنها لا تنتمى إليه.

وقضيت معها ليلتي.. وتعدد لقائونا.. مرة.. ومرات.. وعرفت
أنها تعول أما مريضة مشلولة.. وأخوات صغيرات في المدارس..
وإنها العائل الوحيد لهذه الأسرة بعد وفاة الأب مصدوراً.
وتعرفت على أمها وأخواتها.

وحدث في هذه الأثناء أن جرحت في حادث تصادم واحتجت
إلى عملية نقل دم.. ومثل هذه العملية في قريتنا تحتاج إلى يومين..
فالقرية تتصل بالمركز والمركز يتصل بمستشفى البندر ويطلب
عربة إسعاف تحمل الدم حتى لا يتلف.. وإلى أن يحضر الدم يكون
الجريح في العادة قد شبع موتاً.

والذي حدث في تلك الليلة أني فتحت عيني فوجدتها جالسة
إلى جوارى.. وعرفت أنها تبرعت ب لتر من دمها.. من أجل..

وهكذا توطدت علاقتنا.. وبدأت تكشف لى الأيام عن روحها
الطيبة الشفافة.. ونفسها التواقة إلى حياة العفة.. وكانت تقول لى
دائماً إنى أشعر أنى بحبك أنجو من الهوان.. إن حبك هو عذرى
الوحيد الذى أتعلى به لأحترم نفسى.. أنا بدونك إنسانة ميتة
إنسانة ساقطة تماماً.

وهكذا مضت الأيام تنسج لنا خيوط حب عميق متين.. وأمل
لروحينا الضالتين الوحيدتين.

واستطعت أن أحس بومضة الشرف فى روحها.. وتطلعها
البائس إلى حياة نظيفة.. فيها حب.. ونظام.. ومعنى.. واستطعت
أن أفهم ماضيها الطويل المشين الذى يجبر خلفه ظروفاً قاسية
لا قدرة لها على مقاومتها.

وأحسست أنى أفهم عذابها.. فأنا أيضاً رجل فاسد أجر خلفى
حياة طويلة مشينة كلها كذب وادعاء.. وأنا مثلها أتطلع بروحى
إلى حياة فيها معنى وفيها حب..

وشعرت أن بيننا رباطاً لا فكاك منه..

وصارحتها برغبتى فى الزواج منها.. فرفضت بشدة وبكت
وقالت إنها لا تقبل أن تسمى إلى سمعتى.. ولكنى مصر على
الزواج بها..

ما رأيك؟..

الحب الحقيقي الصادق قد ينتشل المرأة من خطيئتها ويكشف لها وجه الحياة الشريف الجميل النقي.. تماماً كما ينتشل الرجل من فسادِه واستهتاره.

وأنا لا أستبعد على امرأة خاطئة أن يردها الحب إلى مشاعرها الإنسانية النبيلة.

ورأى أن الزواج مسألة شخصية جداً..
افعل ما يدلك عليه قلبك وإحساسك.. فحياتك ملك لك وحدك..

تلفيق التهم

أنا فتاة في السابعة عشرة من عمرى في الثانوية العامة فتاة لم أذق طعم الحب ولم أره فى حياتى.. وهذه هى مشكلتى !
كثيرات من بنات جنسى يروين لى مغامراتهن مع أحبائهن.. وعن جمال الحب وعذابه وسهره وأنينه.. وأجلس أنصت لهن ويدى على خدى ودموعى فى عينى.. ويسألنى فى النهاية على قصة حبى فلا أجد شيئاً أقوله.. فليست لى مغامرات وليس لى عشاق ولا محبوبون.

سألت مرة والدى عن معنى كلمة الحب فقال لى إنه ترابط قللين مخلصين إلى الأبد وهو شعور جميل جداً..
وسهرت لىالى كثيرة أفكر فى كلامه.. وأسأل نفسى.. هل أنا بلا قلب وبلا إحساس.. هل أنا إنسانة مجردة من الشعور؟
واخترت شاباً طيباً يسكن بجوارى.. صغير جداً فى السن، وبدأت أقول لزميلائقى إنى أحب هذا الشاب.. وأزين لنفسى أنى أحبه فعلاً.. لأثبت لنفسى أنى فتاة ذات قلب ينبض بالشعور

والإحساس.. وإني فتاة ذكية عرفت كيف تحب وكيف تختار حبيبها.

ولكن صاحباتي يقلن عني إني ساذجة جدًا.. وإني لن أنجح في الحياة.. هذا مع العلم أني دائماً من الأوائل في مدرستي. أظن أنك تضحك الآن.. وتقول عني فتاة مراهرة.. لا.. أنا لست مراهرة.. أنا بنت ناضجة.. ولكن كل ما في الأمر أني لم أحب ولم أجرب مطلقاً.. ولهذا أشعر بنقص شديد.. وضيق.. وعذاب.. حينها تقول عني صاحباتي.. أني ساذجة.

هل تتصور أني عندما أدخل فيلماً في إحدى دور العرض ويكون فيلماً غرامياً مثيراً.. وأرى مناظر الحب والغرام.. أشعر بالبكاء.. وأشعر بغصة الدموع في حلقي.. وتتنابنى طوال عرض الفيلم مشاعر متفاوتة من اللذة والألم والنقص.. النقص لأنني لم أحب.. ولا أعرف ما هو الحب كما تعرفه زميلاتي.. وأظل طوال الليل ساهرة أحاول أن أطرد هذه الكلمة من مخي.. الحب.. الحب.. وتظل الكلمة تطاردني.. وتأكلك مخي.. بلا نهاية.. ماذا أفعل؟

أولا أحب أن أقول لك إن هذه السن.. سن السابعة عشرة.. هي سن القشر والأوهام والخيالات.. ومعظم الحكايات التي تحكيها لك صاحباتك فسر في فسر.. فالبنات والأولاد يلذ لهم في

هذه السن أن يتخيلوا وقائع لا أساس لها.. ومغامرات لا أصل لها..
ثم يحكونها لبعضهم البعض على أنها مأس.. ودرامات حب عنيفة
جربها كل منهم واكتوى بنارها وبكى واشتكى.. وسهر الليالي..
وكل مأساة من هذه المآسى لا تزيد في أصلها عن قصتك أنت
وجارك.. قصة لا معنى لها.. يصنع منها الخيال مصيبة وكارثة من
كوارث الهوى الخرافي.. ويروح كل واحد يقنع نفسه، ويقنع
أصحابه بأنها حقيقة.. وأحياناً يصدق نفسه ويبكى فعلاً..

أما الحب الحقيقي فهو في نظري شعور ناضج عميق.. وهو
لا يمكن أن يواتي الرجل أو المرأة قبل العشرين.. لأنه يحتاج إلى
درجة كبيرة من النمو العقلي ومن اكتمال الخبرة.

الحب ليس بالشعور الذي نطلبه ونجري وراءه لمجرد
التقليد.. ولمجرد أننا سمعنا أن فلاناً أحب.. نأخذ ذيلنا في أسناننا
وطيران على أول جار واقف في الشباك.. ونروح نازلين فيه حب..
ده كلام فارغ ودى هى المراهقة فعلاً.

الحب شعور تلقائي يغزو القلب من تلقاء نفسه.. بدون
استدعاء.. وبدون أن نرسل له التماسا.

وحب السابعة عشرة لا يمكن أن يكون حباً.. إنه فضول..
نزوة شهوة.. لعب.. أى شىء إلا أن يكون حباً.

اشكرى ربك على أنك لم تتورطى في هذه الحماقات.. وتأكدى

أنك لست ناقصة.. وإنما أنت عاقلة.. لا تتعجلي نصيبك..
ولا تلفقي الأكاذيب لترضى بها فضولك.
اتركى قلبك على سجيته.. وتأكدى أن الحب سيطرق بابك فى
حينه.

عدو النساء

أنا عدو النساء رقم واحد..
واعذروني إذا كنت أتجراً وأشتم كل النساء.. فأنا وصلت إلى
حالة عصبية فقدت فيها عقلى.. واتزانى.. وسماحتى.. وأدبى..
وأخلاقى..

واسمعوا حكايتى..
منذ ثلاث سنوات.. فكرت فى أن أتزوج.. وأكمل نصف دينى..
وكأى رجل يدخل السينما ويقرأ المجلات ويختلط بالناس
وينظر بعينيه باليمين وبالشمال.. كان أملى الوحيد هو أن أتزوج
امراًة جميلة.

وشكراً للظروف الطيبة.. فقد وجدت هذه الجميلة..
وأى جمال..

جمال صارخ..

بشرة بيضاء بلّورية.. عود لين ملفوف سرح.. شعر ذهبى
يرقص ويتمخطر على الكتفين.. عيون واسعة كعيون الغزلان..

فم أحمر متوهج مثل الكرز.. ساقان مثل السيقان التي تزين
إعلانات جوارب النيلون.. يدان ناعمتان مترفتان مثل يدي
الجيوكندا..

جمال صارخ.. بكل معنى كلمة صارخ.
وفرحت.. وقفزت من الفرحة.. ولم أهدأ حتى كتبت الكتاب..
وانتقلنا إلى بيت الزوجية السعيد.. وبدأنا أيام العسل..

وبدأت المتاعب.. والتلميحات.. وغمزات الغزل من كل
جانب.. ويا حلاوته إلى ماشى على قشر بيض.. أحب السمك
الرعاش.. يا ملبن أنت.. يا قشطة.. يالوز يا جوز يامكسرات
وعلى باب البيت ينادى العيال الذين يلعبون في شقاوة.. معسلة
أوى يا بطاطة.. والبطاطة هي زوجتي فاطمة طبعًا..

وتضحك الست فاطمة.. وأغلى أنا من البطاطة ونار البطاطة.
وأنا ذنبي إيه يارب بس.. عملت إيه؟!..

إذا تركتها تخرج وحدها عادت وراءها خمس عربات كاديلاك
توصلها للباب.. وكل عربة فيها شاب صايع مسبب.. يفتح
الباب وهمس.. عيب الحلاوة دي تمشى على رجلها.. عيب
الجمال ده.. يتمرط في الشارع.. الجمال ده لازم يتحط في قصر..
في جنة.. وأنا أقف عليها خدام.. سفرجى.. شوفير تسمحي لى
يامدام أكون شوفيرك.. خدامك.. عبدك مش هابن على تروحي

للبهيم ده.. الطعامة والقطقطة دى كلها تنام فى حضن شيخ غفر..
اخص على ذلك!

والبهيم إلى إخص عليه بالطبع هو سيادق.. شيخ الغفر..
حارس أبعدية الجمال والفتنة إلى حاتودينى فى داهية..
اتخانقت ودخلت القسم أكثر من مرة واشتبكت فى أكثر من
معركة بالدرع بسبب دمي الحامى..
اعمل إيه.. مش طايق..

وهى مظلومة معى.. فما ذنبها فى أنها جميلة؟
إنها لا تلبس عريان.. ولا تتمخطر فى مشيتها.. وطباعها
مهذبة.. ومسلكها غير ملفت ولا خليع.. ولكن جمالها.. جمالها
يصرخ..

قفلنا علينا الباب.. وأضربنا عن الخروج.. فبدأ التليفون يدق
آلو.. مين حضرتك.. لا أحد.. رد يا بنى آدم.. البنى آدم اتخرس
ومع ذلك فالسماعة مرفوعة على الطرف الآخر والسكة مفتوحة..
وفى نص الليل يدق التليفون.. فإذا رفعت زوجتى السماعة
رنت طرقة بوسة.. ثم انقفلت السكة.. وأحياناً تظل السكة
مفتوحة.. ويدير صاحبنا تسجيلات لأغنية شادية الأخيرة.. اكمنه
باناس واحشنى.. وخصامه كمان حاشنى.. كلمته سمعت حسه..
وقفلت السكة تانى..

وأحياناً يكون صاحبنا مؤدباً فيكتفى بأن يتأوه على الخط..

صندوق البوسطة.. لا أفتحه إلا وأجد خطاباً للست.. كله
أحلام وهيام وغرام.. والإمضاء.. معجب من الجيران..
وأبدأ فى مراقبة الجيران فى جنون..
من هو المجرم ابن الحرام.

أول شىء أقرؤه فى الصحف أخبار جهاز ضبط المعاكسات
التليفونية.. ماذا تم فيه.. وكم مبلغ إيجاره.. وما هى أطول مدة
لإيجاره؟..

وفى الحق أنى كنت فى حاجة إلى مليون جهاز.. جهاز لضبط
المعاكسات التليفونية.. وجهاز لضبط المعاكسات البريدية.. وجهاز
لضبط النظرات.. وجهاز لكشف نوايا القلوب.. وأخيراً جهاز
لضبط أعصابى وضبط غضبى حتى لا أنفجر.. وأطق.. وأموت.

ألا يوجد عمل للناس فى الدنيا إلا زوجى.
وكرهت الجمال.. وقرفت من الجمال.. وطهقت من الجمال
الذى كلفنى دم قلبى.

وطلقت الجمال.. واسترحت.
ومرت سنة.. ونسيت ما حدث لى من تحت رأس الزواج،
وعدت أفكر فى تكملة نصف دينى.. وهذه المرة كانت نيتى أن
أبحث عن زوجة وحشة مثل غراب البين حتى لا ينظر إليها أحد
وحتى أستريح من المعاكسات والمطارادات وأنام ملء جفونى.

واخترتها.. نقاوة.. ليس فيها عضو من أعضائها سليماً، شعرها
أكرت.. وجهها فيه غمش عيناها بها حول.. قصيرة لا تصل إلى
كتفى.. سمينة مدكوكة كالبرميل.. لا تعرف لها رقبة من وسط من
كتف من رجلين.

امرأة فيها كل العبر..

واعتبرت نفسى رجلاً محظوظاً بكل هذه الوحاشة لأنى سوف
أستريح من نظرات الناس.. وسوف أناام لا يدق إلى جوارى
تليفون.. ولا تنزل على تلاقيح الغزل.. ولا تطاردنى طواير
العربات حتى الباب..

واندبوا معى حظى التعس.. فهذا ما حدث بالفعل.. لم يفكر
أحد فى أن يعاكس زوجتى.. ولم يفكر أحد فى أن يدق لها تليفوناً..
ولم يفكر مجنون فى أن يطاردنا بعربته.. ولم يفكر مخلوق فى أن
يلقى لها بنظرة إعجاب.. ولم يبصص لها كلب بذنبه.. وكانت
النتيجة.. أنها جنت.. أصبحت تقف أمام المرأة ثلاث ساعات
لتضع شكارة جيس على وجهها.. وتشد جسمها المدكوك
بكورسية.. وتلبس سوتيان صفيح يلقي بنهديها مترين إلى الأمام..
وتلبس حذاء كعبه عشرة سنتيمترات يرفع بها إلى فوق.. وتمشى
تمخطر.. وتمتصع فى دلع.. منفرد.. مقزز.. وتنظر فى تبدل..
تستجدى الالتفات والغزل من كل من هب ودب من طلبة الست

عشرة سنة الساقطين فى ثانوى إلى العجائز من أرباب المعاشات
مدمنى الكحة.

وأصبحت التعليقات التى تترامى حول أذى من ماركة.. أعوذ
بالله شايف الولية.. يانهار أزرق.. أوعى تقرب منها.. دى بتعض..
دى تلاقيها ست بيت على كيفك تنضف البيت أحسن من
الد.د.ت.. ده تلاقى جوزها حاططها فى البيت عشان تاكل
الصراصير.. ودى حاتموت ازاي دى ياخويا.. ده عزرائيل يخاف
منها.. يانهار أزرق.

ولم يعد التليفون يدق بالمعاكسات.. وإنما هى التى أصبحت
تدقه وتعاكس وتقل السكة.. وتتأوه.. وتدير أسطوانات شادية..
وتستجدى مكالمة لله.. آلو لله.

وأنا أتشنج من الغيظ.. وأخبط رأسى فى الحائط..
أليس لى حق فى أن أكون 'عدو النساء رقم واحد.. عدو كل
حلوة.. وكل وحشة.

لك حق والله العظيم.

المثقفة

أنا فتاة في التاسعة عشرة من عمري جميلة حاصلة على شهادة الفلسفة من مدرسة فرنسية للراهبات.. غنية.. ومن عائلة غنية.. لى أخت متزوجة.. وأخ أعزب.. بدأ الخطاب يتقدمون لى وأنا مازلت في الثالثة عشرة من عمري وبالطبع رفض والدى.. وكنت أحزن أحياناً لأنه بذلك يمنعنى من تحقيق أحلامى الصغيرة فى الزواج.. فستان أبيض.. ملابس.. خروج.. نزهاة.. بيت أحكم فيه بأمرى ومشيتى..

حدث فى هذه السن أن وجدت زميلاقي يتكلمن عن الحب.. والد «بوى فرند» والقبلات والرقص فأخذت أستمع اليهن مشدوهة خائفة.. كيف يخرجن مع شبان.. ألا يخفن على سمعتهن؟

ولكن كثرة الكلام فى هذا الموضوع جعلته فى النهاية يبدو أمراً عادياً ولماذا لا يكون لى «بوى فرند» مثل باقى البنات.. وهل أنا وحشة.. وكان هناك ضابط يسكن بجوارنا أخذ يطاردنى.. واستمر شهوراً بعد شهور يطاردنى بكل الطرق الممكنة.. كان

يحوم حولى فى كل مكان.. ويعاكسنى فى التليفون.. ويبكى إذا
قفلت فى وجهه السكة.. ولا أطيل عليك.. قلت فى نفسى: أجرب
ولن أفعل مثل صديقائى.. لن أخرج معه.. إذا كان يريدنى حقاً
فعليه أن يتقدم إلى والدى.. فالحب فى نظرى لا معنى له بدون
زواج.

وقبل أن تتخذ أى خطوة.. فكرت أولاً أن أصارح أخى
بإعجابى بهذا الشاب.

وأطلعت أخى على كل شىء.. وفرح أخى.. واقترح قبل
الخطوبة أن نلتقى نحن الثلاثة عدة مرات لكى نتعارف.. ونختلط
بدون كلفة وبدون رسميات الخطوبة حتى نعرف بعضنا بما يكفى..
فإن انسجمنا كان بها.. وإن لم يكن.. قطعنا علاقتنا فى هدوء
وبلا ضجة..

وهكذا خرجنا.. وتكرر خروجنا.. مرة.. ومرات.. لمدة سنة
كاملة.. وكان لقاءنا دائماً بتدبير أخى فى وجوده.. وهكذا أتاح لى
أخى فرصة نادرة لا تتاح لأى فتاة.

وأعجبت بالشاب وأحبيته وأصبحت أنا التى أطلب من أخى
أن يخرج ونخرج ونخرج.. وازداد شوقى وحبى.. وألح حببى فى
الإسراع بإتمام الخطبة.. وتقدم بالفعل ليطلب يدى ووافق أبى
ورحبت أمى.. وباركته العائلة.. وفرحت.. وأصبحت أسعد إنسانة
فى الوجود.. وفجأة حدث أن وقع الاختيار على خطيبى للسفر فى

بعثة سنة إلى أوروبا.. وطلب الإسراع باتمام الزواج ليصحبنى معه..
ولكنى آثرت الانتظار هذه السنة لأكمل تعليمى أنا الأخرى..
وهكذا سافر.. وكنت فى وداعه على المطار.. وتواعدنا على أن
نكتب لبعض كل يوم..

وقد بدأنا نكتب بحماس فعلا خطاباتنا من يوم لآخر - ثم
بدأت أنا أهمل الرد.. ولا أدرى ماذا حدث لى بالضبط - ولكن
وجدت نفسى أتجاهله.. وشعرت بحبى يبرد ويفتر - وبينما كانت
خطاباته تنهال علىّ تسأل.. وتسأل.. كنت أنا.. ولا هنا..

ولا تتعجب.. فأنا ذاقى متعجبة من نفسى أكثر منك..
لا يوجد هناك رجل آخر.. ولم أنشغل بأية علاقة أخرى..
وحينما رجع لم أفكر فى مقابلته.. ولم أرد عليه حينما طلبنى
بالتليفون.. ماذا غيرنى إذن؟.. سأقول لك الحقيقة.. إنه خوف..
خوف شديد.. رعب من شىء اسمه الزواج.

أنا أخاف الزواج.. وأرتعد منه.. وكلما سمعت عن صديقة
تزوجت أكثرت من زيارتها لأعرف نتيجة الزواج.. فأراها تندم
على أيام زمان.. أيام الحب.. والحرية.. والجري.. لم أر فى حياتى
إنسانة سعيدة بزواجها.. أختى أتعس مخلوقات الله مع زوجها
البخيل.. أمى هى المسيطرة على البيت وأبى يخشاها.. صديقاتى
يتأففن من أعمال البيت والمسئولية والأولاد والطبخ.. أغلب
الأزواج يخونون زوجاتهم والزوجات يجاوبن بالمثل. وأسألنى أنا

فقد رأيت كثيرات منهم يحاولن محاولات مستميتة مع أخى.
أرجوك.. لا تقل لى تزوجيه.. فكلما اقترب موعد الزفاف
أشعر أنى أكرهه.. أكرهه.
ماذا أفعل؟..

هل سيكون معنى هذا أن أعيش طول عمرى بلا زواج..
وهل هذا ممكن.. أم أن هناك حلا؟!

والشطة حراقة ولكننا نأكلها ونحبها.. والحياة شاقة وصعبة
ولكننا نتمسك بها.

لا يوجد واحد لم يلعن الحياة.. ولكننا مع هذا نعشق الحياة
ونتعلق بها ونستमित فى التعلق بها.

لا تصدقنى ما يقوله المتزوجون.. إن كل شكاوى المتزوجين
كذب والمتزوج هو أول من يتزوج مرة ثانية إذا ماتت زوجته.
والخيانة الزوجية نادرة.. وإذا كانت تبدو لك مألوفة ومنتشرة..
فذلك لأن الروائح الكريهة من صفاتها أن تفوح وتنتشر ويكثر
حولها الكلام.. أما الزواج الناجح والعلاقات السوية.. والبيوت
الشريفة فلا يسمع عنها أحد ولا يتكلم عليها أحد.. ولهذا يخيل
لك أنه لا يوجد فى الدنيا شرف.

والإنسان من طبيعته الشكوى وعدم الرضا بالواقع.. ولهذا

فإن المتزوجة التي اشتكت من زواجها.. لو أنك قابلتها وهي بنت
لاشتكت من وحدتها وتعاستها ومن أنها لم تجد ابن الحلال الذي
ترتاح إليه وتزوجه.

ومشكلتك الحقيقية.. أن عندك عقد المثقفات المترفات..
القلق.. والدلع.. والمال.. والضجر من كل شيء بسرعة..
وأحسن علاج لك هو معاملتك بقسوة.. لو أن خطيبك هجرك
ولم يسأل فيك.. وكان أقوى منك في شخصيته وإرادته.. لجريت
خلفه تتمسحين به كالقطة.

أشرب

أنا واقع في مشاكل لا أول لها ولا آخر.. وكلها بسبب تفكيرى في الزواج.. ولأبدأ من أول القصة.
أنا موظف مرتبى محدود أساعد به أبى وأمى وأخى العاطل في معيشتهم.

صارحت أبى برغبتى في الزواج فتطوع مشكوراً هو وأمى في البحث عن عروسة..

وبعد شهر من البحث جاء لى بفتاة قال لى إنها ستكون رفيقة العمر التى ليس قبلها ولا بعدها.

ونزولا على رأى والدى واختياره خطبت الفتاة وشبكتها.. وبعد شهر من الخطبة بدأت الخلافات تدب.. فوالدى يشترط على الفتاة أن تعيش معنا في عيشة واحدة.. في الغرفتين اللتين تسكنها العائلة.. ننام نحن في غرفة.. وتنام بفية العائلة في الغرفة الثانية.. ولم تقبل الفتاة.. وردت الشبكة ومقدم الصداق واعتبرت أنها نجت بنفسها من مصيبة.

وكعادة والدى.. أشاح بذراعه بلا مبالاة.. وقال لى..
ولا يهملك النسوان على قفا من يشيل.

وذهب يبحث وينقب.. ويسأل ويستقصى.. ثم عاد ومعه عجوز
غنية وارثة وشكلها على قد الحال.. وقال لى.. هى دى اللى
حاتريحك.. وحاتريشك.. ولىة كبيرة ومجربة وتعرف مزاجك..
وحاتفرح بيك.. شاب صغير وأفندى موظف تملأ عليها البيت..
وربنا يتوب عليك م الفقر اللى أنت فيه.. يا الله يا شيخ اتكل على
الله.. يعنى حاتاخذ إيه م الصغيرة.. ما هو كلهم فى الضلعة زى
بعض.

وهذه المرة خطبت وشبكت وكتبت الكتاب فى نفس اليوم
واعتبرت إن الأمر غنيمة يحسن التعجيل بها على حد قول السيد
الوالد وبدأت المشكلة.

المشكلة هذه المرة أثارها الناس..
الناس اتخذوا من زواجى موضوعاً للتريقة.. ومادة للتسلية كلما
شاهدونى فى طريق أتأبط ذراع الست.

حلاوتك يا بو طقم سنان..

سلامتك م الكحة..

نجيب لك لزقة..

يا شيخ روح هات لها كفن..

يارب خليكى يا جدتى..

والنتيجة طبعاً أنى بدأت أعانى من حالة عصبية ظلت تتفاقم يوماً بعد يوم حتى وجدت نفسى فى أحد الأيام أرسل لها ورقة الطلاق غيباً.

وبالطبع كانت صدمة للزوجة تلقتها فى ذهول.. لم تصدق أن هذا الرجل الجربان الذى تنفق عليه يمكن أن يتجرأ ويطلقها.. هى بنت الناس وصاحبة الجاه.. واشتكتنى فى المحكمة.. وثار والدى وتبرأ منى.. واعتبرنى ندلاً..

وكانت خصومة استمرت شهوراً.

واختفت مدة.. وكنت أتلقي فيها إعلانات الحضور للمحكمة فى خوف وخجل وإحساس بالذنب.. وكنت اقتطع من مرتبى الصغير لأدفع للمحامى ووكيل المحامى.. ووقعت فى أزمة. وكالعادة انتهت المشكلة وتصلحت مع أبى لتبدأ القصة من جديد.. فقد راح أبى يبحث لى عن زوجة ثالثة.

وكانت الزوجة الثالثة طيبة جداً.. لم تشترط مهراً ولا شبكة ولم تسأل أين سنذهب بها.

وعرفت بعد الزواج.. أنه لم يكن هناك ما يدعو لأن تسأل وتشترط وتطلب.. فهى من عائلة فقيرة دقة.. تسكن فى حارة سد فى غرفة واحدة.. يبقى حاسأل على إيه؟!..

وهى بالطبع قانعة..

ولكنى غير قانع.. 'وتعبان.. ولا أفهم كيف تزوجت.. وكيف
طاوعت أبى كظله فى هذه الزيجات الثلاث.. وكيف لم يكن لى
رأى..

الشعور بالذنب يطاردنى باستمرار.. وشعور آخر بأننى
لا أستطيع المضى فى هذا الزواج.. ولا أستطيع التمثيل على
نفسى للنهاية..

أريدك أن تجد لى مخرجاً علماً بأننى لا أستطيع العودة إلى
الزوجة الثانية ولا الأولى.. ولا أستطيع أن أمضى فى هذه
الورطات إلى ما لا نهاية.

* * *

لا أفهم ماذا تقصد بهذه الورطات.
فأنت على حد قولك موظف دخلك محدود تنفق منه على أب
وأخ عاطل وتعيش معهم فى غرفتين فأنت إذن من البداية
لا تستطيع أن تفتح بيتاً.. وليست لديك مؤهلات الزوج.
وإذا كانت هناك ورطة فهى ورطة الذين قبلوك وارتضوك على
علائك.

وأنت فى كل مرة تبرر خطأك بطاعة السيد الوالد أو طريقة
الناس.

والحقيقة أن طمعك وليس والدك هو الذى ورطك فى الزواج

بالغنية.. ولكنك تتمحك بالوالد وهى ممحكة لا تعفيك من
المسئولية فأنت لست طفلاً ولا قاصراً ولا فتاة عذراء.. ولا عذر
لك فى أن تقول.. وأنا مالى، أبويا قال لى اعمل كده.
متأسف.. لیس لك مخرج عندى.
من العدل أن تظل موحولاً فى أعمالك.

خبر بالنساء

أنا شاب، سنى ٢٠ سنة، موظف ولى إيراد غير وظيفتى من أملاك قليلة تدر على إيراداً آخر إضافياً لا بأس به.. أعيش حياة ميسورة ولى عربة ومشارك فى ناد رياضى.

أزاول الرياضة العنيفة.. وأندمج فى عدة لعبات.. والواقع أنى فى نفسى أعانى إحساساً شديداً بالوحدة.. والخجل والتردد.. اشتريت فى النادى وهويت الألعاب.. لأبعد عن نفسى هذا الإحساس ولأندمج فى الناس وأخرج من وحدتى.. وأكون علاقات.

ولكن مع هذا أشعر أنى ما زلت متحفظاً منطوياً بالرغم من كل أصدقائى.. وبالرغم من طول الوقت الذى أقضيه فى حياة اجتماعية..

تعرفت على فتاة منذ سنوات.. وكانت فى تلك الأثناء مخطوبة..

وأذكر فى ذلك الوقت أنها هى التى شجعتنى على الكلام معها

وكانت حينها تلاحظ خجلى.. تقول إن الفتاة من حقها أن يكون لها صديق.. وكل رجل من حقه أن تكون له صديقة.. وأن الصداقة علاقة رفيعة.. وأن صداقة المرأة لرجل لا يمكن أن يكون فيها خيانة لزوجها، لأن الصداقة شىء آخر غير الحب.. وأنها مثلاً تحب خطيبها ومع هذا تشعر أن صداقتها لى شىء لا يشينها.

والحق.. لقد أعجبتنى عقليتها جداً.. وكنت أرى فيها مثال الفتاة العصرية النموذجية.

وبحكم اشتراكها فى النادى معنا - فقد كنت ألتقى بها كل يوم.. حيث نلعب معاً التنس.. والبنج بنج. ونشرب الشاى ونأكل الساندويتشات.. ونثرثر فى مواضيع لا نهاية لها.

ولم أشك يوماً فى طبيعة إحساسى نحوها.. فقد كنت أكن لها الصداقة والأخوة والود والعاطفة الرفيعة المنزهة من أى غرض.. وحدث بعد هذا أن تزوجت.. وكان زوجها موظفاً فى إحدى البلاد العربية.. وكان يتغيب معظم وقته عن القاهرة بحكم عمله.. فاستمرت علاقتنا بعد الزواج كما هى.

وظلت على مواظبتها فى الحضور كل يوم للنادى.. واستمرت صداقتنا..

وكان يحدث أحياناً أن نذهب إلى سينما. حيث نقضى الوقت نتناقش فى الفيلم ونعلق على ما نراه.

ولم يتطرق إلى ذهني في أى مناسبة أن أغازها أو أظهر لها الحب، فقد كانت مشاعرنا فوق مستوى الشبهات.

ولهذا سرني كثيراً في إحدى المرات أن رأيتها تطلب منى خمسين جنيهاً سلفة.. فقد شعرت أنها تعتبرني بالفعل صديقاً تثق فيه وتحترمه وتلجأ إليه وقت الشدة.

وحينما اقترحت بعد هذا أن تقسط المبلغ على أقساط رفضت أن أتحدث في الموضوع.. واعتبرت أن المسألة منتهية.. وأن ما تحتاجه لها أن تأخذه من جيبى بدون حساب وكأني أخوها.. أو كأني نفسها.

وقلت لها إن هذا سوف يدخل على قلبي السرور.. ويشعري باحترامى لنفسى وبثقتى بعلاقتنا.. والواقع أنها لم تتردد بعد هذا حتى أن تطلب منى دفعات أخرى من خمسين.. وخمسين.. وعشرين جنيهاً أخيراً.. وكنت أبادر بالدفع بسرور وسعادة.

والحق أنا لا أكذب عليك أنا كنت أشعر بسرور بالفعل وأنا أرى علاقتنا تتوطد.. وأرى أنها تكاشفني باحتياجها للمال من وقت لآخر.. وإني أنا.. وأنا بالذات أكون الصديق الذى يسارع إلى مساعدتها.

هل هذا حب.

لك أن تسميه كما تشاء.. ولكنى متأكد أن مشاعرى نحوها لم تتلوث لحظة واحدة.. وظننت حتى هذه اللحظة أنى أبادها المشاعر

الرفيعة.. والصداقة الروحية التي لا يدنسها دنس.

ولا أنكر أنى أصبحت الآن في حاجة إليها أكثر مما هى في حاجة إلى.. ولهذا أصبحت أشعر بسرور خفى كلما ارتبطت بى برباط الحاجة المادية.. وأشعر أنها أصبحت ملكى أكثر وأكثر.. وهو شعور خبيث.. ينجلى أن أشعر به.. ولكنها الطبيعة الإنسانية.. والطبيعة الإنسانية كما تعلم لا تخلو من الشرور.. أصدقائى يقولون لى.. إنها تستغلى.. وإنى رجل خيالى.. ولكنى أعتقد أنى رجل خير بالطبيعة الإنسانية.. ولو أنها كانت امرأة من إياهن لتهورت في علاقاتها معى لتستغلى أكثر.. ولنضمن احتياجى لها أكثر وأكثر.. ولكنها طوال علاقتنا كانت مثلاً للشرف والعفة والأخلاق الكريمة.. وهذا ينفى في نظرى أية شبهة للاستغلال.. في حدود فهمى للطبيعة الإنسانية على الأقل والا إيه.. ما رأيك أنت؟

* * *

الحقيقة أن فهمك للطبيعة الإنسانية.. هو الذى ضيعك.. ولو أنك فكرت شوية في الموضوع.. وفي الطبيعة الإنسانية الى مغلباك.. كنت وجدت أن صورتها التى تظهر بها أمامك .. وهى صورة المرأة العفيفة الشريفة النظيفة المحترمة التى لا تشعر إلا بالمشاعر الرفيعة والخلجات الروحية الطاهرة.. الصورة دى هى الصورة الأقرب إلى الاستغلال.. لأنها الصورة التى رفعت

سرعها في نظرك.. وجعلت المبالغ التي تطلبها خمسين جنيهاً فيما فوق.. أما تهورها.. فإنه لم يكن ليرفع سعرها بل على العكس يخفضه إلى شلن..

والدليل الآخر أنها امرأة متزوجة اختارت للزواج رجلاً يعمل في وظيفة بالبلاد العربية ويتغيب أغلب الوقت عن القاهرة.. ووظائف البلاد العربية كما هو معروف وظائف مجزية.. ومرتباتها لا تقل عن ألف جنيه في الشهر..

ومعنى ذلك إن اختيارها للزوج كان اختياراً مبنياً على نفس العقلية المادية.

ومع ذلك فهي تبتز منك مائة وسبعين جنيهاً في شهور.. ليه.. خلجات روحية.. ومشاعر رفيعة برده..

في الواقع أنا مش شايف روحية في الموضوع..
وخصوصاً أن الصديق الذي اختارته خلجاتها الروحية وهو سيادتك.. صديق مليون مادياً.. وعلى نيته.. والا إيه.. والا حاترج تاني لحكاية خبرتك بالطبيعة الإنسانية.. على كيفك.

عذراء اسمها محمد

أنا وحيد والدى ووالدى.. عائلتى غنية.. وكل ما أطلبه
أحصل عليه فى الحال. وبالرغم من هذا الدلع يعذبنى الإحساس
بالمسئولية.. وأشعر بالذنب حينما أرسب.. وأبكى كثيراً..

وأنا أتلقى دروسى فى مدرسة إعدادية خاصة.. وقد رسبت فى
السنة الماضية.. وبكىت كثيراً وأفضيت لأبى برغبتى فى ترك
المدرسة والاشتغال بأية شغلة.. ولكنه رفض.. وقال وهو يضحك..
ولا يهملك.. اسقط على كيفك.. اوع تزعل نفسك.. خذ فلوس
زى ما أنت عايز.. إحنا فلوسنا كثير والحمد لله.. نشغل ليه..
ونتعب ليه..

وذات يوم سافر والدى إلى بلدنا بالوحدات للزيارة وحينما
حضر فاجأنى برغبته فى أن أترك الدراسة.. ليه يا بابا.. ده السنة
فى آخرها والامتحان قرب.

ولكنه رفض وقال لى أنت مخطوب من الآن وستتزوج بعد
العيد مباشرة.

وكان لهذا الخبر وقع الصاعقة على نفسى فأنا لم أتجاوز
الخامسة عشرة بشهور قليلة وطولى ١٥٠ سنتيمتراً.

وتعجبت.. وانعقد لسانى من الدهشة.. وأخذت عيناى
توسلان لأبى بالدموع.. وأخذت أبكى وأرجوه أن يقلع عن
فكرة زواجى.. ففى هذا قضاء على مستقبلى.. ورحت استعطفه
واستقدم الوسطاء ليستعطفوه.. ولكنه ظل يرفض بشدة.. ويقول
يا بنى أنا عاوز أفرح بيك.. وأشوفك متجوز ومخلف قدامى..
وعيالك بيلعبوا حواليه.

قلت له كيف أعول زوجة وأنا غير قادر على إعالة نفسى..
فقال وهو يضحك..

عيب يا ابنى تقول كده.. أمال أنا فىن.. إنت مالکش دعوة،
اطلب القلوس اللى أنت عايزها.. إنت وزوجتك وعيالک ملزومين
منى أنا.. فيه حد يلاقى الراحة ويدور على التعب.. خيرنا كثير
يا ابنى والحمد لله إيه لازمة الشقا..

وفشلت كل محاولاى فى منع الزواج.. وهو مصر على إتمامه
قبل العيد..

ماذا أفعل؟

من الواضح أن أباك يعاملك كالبنت العذراء قليلة الحيلة..
مش مهم تسقط أو تنجح ما دام آخرتها البيت.. ومش مهم

تشتغل ما دام ربنا ساترها وبابا ربنا يطول عمره بيديها
المصروف.. وما يصحش تقول لا.. ساعة ما يجيها ابن الحلال..
عيب.. بابا عاوز يفرح بيها.. ويشوف ولادها وولاد ولادها
بيجروا حواليه يملوا عليه البيت.

المشكلة ليست فقط مشكلة دلع.. لكنها مشكلة إهدار كرامة
رجل تمامًا.. وإهدار حقه في أن ينضج ويفلح وينجح ويستقل
بحياته.. وإهدار حقه في أن يحب ويختار شريكة حياته.. ويعيش
الحياة كما يجب أن يعيشها..

إن أباك يريد أن يعيش حياته. ويعيش لك حياتك أيضًا..
إنه حريص على أن يفرح بك أكثر من حرصه على تفرح
أنت بنفسك.. هذه أنانية فظيعة وليست حنانًا.. إنه يريد أن
يحرمك من إحساسك بذاتيتك.. في سبيل إحساسه هو بذاتيته
وبأنه رجل قادر على فتح بيوت وبيوت.

تمسك بموقفك بدون دموع وبدون توسلات.. لتكن دماغك
ناشفة كالحجر.. وعزيمتك ماضية كالحديد.. فأنت رجل..
عش حياتك كما تريد أنت أن تعيشها.. فأنت لا تملك
إلا حياة واحدة.. وإذا أعطيت هذه الحياة لوالدك فلن يبقى لك
شيء..

حب غريب

أنا أدخل اليوم عامى الثامن والعشرين..
منذ عشر سنوات وأنا أتعذب بحب صامت أحترق فيه
وأذوب وحدى دون أن يعلم بى حبيبى..
وحبيبى فى الستين.. لا تدهش ولا تقصص شفيتك فى
سخرية. ولا تقل عنى مراقة.. أوخيالية.. فهذا الحب هو الحقيقة
الوحيدة فى حياتى.. والحقيقة التى تملؤنى وتصهرنى معها..
هذا الرجل فى الستين.. الذى تنظر إليه على أنه عجوز فى
خريف أيامه.. هذا الرجل كان دائماً ربيع أيامى.. كان شبابى..
وكان قلبى لا ينبض إلا له.

وقد نشأنا فى جيرة واحدة.. وكان صديقاً لعائلتنا. وقد تزوج
وأنا فى السابعة عشرة وكنت أنظر إلى زوجته بحسد.. وكنت
أعيش على خياله وأنام على خياله. وكنت أتمنى لو ماتت زوجته
ليصبح لى من جديد كما كان دائماً..

وقد ماتت زوجته فعلاً ومات معها طفلها الوحيد.. وعاد
حبيبى يعيش منفرداً فى بيته الكبير.. يطوى ضلوعه على حزن

دائم. وتبلل عينيه دموع حائرة تأبى أن تنزل.
وفهمت أنه يعيش في ذكرى حب واحد هو حبه لزوجته.. وأنه
يحفظ لها إخلاصًا لا يموت.

وكتمت حبي في نفسي.. وحاولت أن أنساه.. ولكنه كان
يشتعل ويتأجج في قلبي كلما رأيته بعينه الواسعتين الحزبتين..
وكان من عادته أن يتجول في الحديقة في الصباح ومعه كلاب
الصيد التي يقتنيها.. وهو لا يهوى في الدنيا إلا أربعة أشياء
كلاب صيده والكمان التي يداعب أوتارها في أوقات فراغه..
وصور زوجته ومهنة الهندسة التي يزاؤها.. أما أنا فلا مكان لي في
حياته.. إنه لا يشعر بوجودي.. لا يرى أنوثتي الفاضحة
ولا يحس بجمالي ولا يدرك عاطفتي المتأججة نحوه.. وأنا في
اليأس الذي أعيش فيه وأمام حبه المتفاني لزوجته الراحلة
لا أجد الجرأة على مصارحته.

تقدم للزواج بي كثيرون وأتيحت لي فرص للزواج لا تتاح
لفتاة في دمشق، رفضتها جميعًا.. لأنني لا أريد أحدًا سواه..
أنا زوجته أمام الله وأمام قلبي.. وسأطوى ضلوعي على سري
وأعيش وأموت له..

لعلك تقول.. لا بد أنك قبيحة لا أمل لها أن يحبها أحد ولهذا
خلقت لنفسها هذا الوهم لتعيش فيه.

ولكن الحقيقة المؤسفة.. أني جميلة.. ومثقفة.. وأحمل دبلومًا

عاليا في اللغة الفرنسية.. وأجيد العزف على البيانو.. ومعشوقة
من الجميع.. وعائلتنا ذات مركز مرموق.. وأعيش في مجتمع ينظر
إليّ في حب واحترام.. ولكنني لا أشعر بهذا المجتمع.. لا أشعر
إلا بشيء واحد هو حبيبي.. بيننا فارق في العمر يبلغ ٢٢ سنة
ولكنني لا أشعر بهذا الفارق.

إنه شبابي.. وطفولتي.. وحياتي.
ماذا أفعل.. أنا أتعذب.

* * *

هذه عاطفة غريبة.. لو كان سنك ١٦ سنة لقلت هذه هي
المراهقة بعينها.. ولكن سنك ٢٨ سنة ولك خبرة واختلاط
بالرجال.. ومثقة وحساسة.. وفنانة.. وجميلة.

لا شك أن الرجل فيه جاذبية.. فهو وحيد يعيش مغترباً في
بيته مع كلاب صيده ومع آلة الكمان التي يبثها أشجانه ومع صور
زوجته.. فهو إذن عاطفي حنون رقيق فنان موسيقى القلب مثلك.
إن بينكما شيئاً يجمعكما..

ولكن ٣٢ سنة تفرقكما وهي كفيلة بأن تسحق أية عاطفة.
وإذا كانت عواطفك لم تسحق إلى الآن فالسبب أنك تشعلينها
بخيالك على الدوام.. أشك في أن هذه عاطفة امرأة لرجل.. ربما
كانت صورة من صور عشقك لأبيك وهو عشق يظل مكبوتاً

بحكم كونه محرماً حتى يجد علاقة مشروعة كهذه العلاقة فيظهر فيها.

ربما كان حباً.

إن الامتحان الوحيد لأمثال هذه العواطف هو الواقع..

إن زوجاً في سن الستين لا يستطيع أن يقوم بوظائف الزوج

في أغلب الأحوال.. وهولن يكون أكثر من صديق.. هل تكفيك

هذه الصداقة وأنت كما تقولين ذات أنوثة فاضحة..

هل ترتوى الأنوثة الفاضحة بلمسة حب أفلاطوني..

يشوقني جداً أن أعرف مصير مثل هذا الحب إذا تحقق له

الاقتران في الواقع.. أنك على الأقل ستفهمين نفسك.. وهو لن

يخسر شيئاً.. وأنا سأزداد خبرة..

معبود الأرامل

أنا شاب فى الخامسة والعشرين من عمرى ربيت فى بيت كله قسوة وشقاء فأنا لم أر أُمى بل زوجة أبى فى أشنع صورها.. وكنت أبداً يومى بعلقة تنتهى بتمزيق ملابسى وحرق كتبى وأختم يومى بكس المنزل ومسح السلم.. وأنا م على الضرب والشتم وأصحو على السباب والإهانة.

لن أطيل.. عليك.. انتهت حياتى التعليمية ولم أستطع الحصول على الثانوية العامة.. ليس ذلك لكسل أو غباء منى.. فالكل يشهد بذكائى ونبوغى وكنت طيلة حياتى الأول.. ولكن إذلال زوجة أبى وقسوتها كسرا شوكتى وحطما عقلى وذكائى.

وعملت فى إحدى الوظائف المحترمة جداً بمرتب أكثر من عشرين جنيهاً.

لعلك تتساءل وماذا تريد إذن.. صبراً.. فإن تلك الوظيفة لم تكن إلا كالمرهم المسكن.. مفعولها مؤقت.. فقد كانت بعقد ستة أشهر.. وينتهى العقد بانتهاء ستة الأشهر.

وانتهى العقد وانتهت أنا أيضاً معه.. لم يعد لى عمل سوى

التسكع فى الشوارع والتطلع إلى الفترينات والأكل كل يوم عند صديق.. والمبيت عند صديق آخر.

وأحياناً كنت أبيت فى الحدائق.. أو فى محطات سكة الحديد متظاهراً أنى أنتظر قطار الفجر.

وأخيراً قررت الرحيل من القاهرة.. وفى فجر أحد أيام شهر نوفمبر الماضى قررت السفر إلى الإسكندرية.. وبدأت السير من الطريق الصحراوى.

وسرت.. وظلمت أسير حتى شعرت بالتعب.. فتوقفت وسط الطريق أشير للعربات لتحملنى معها.. ولكنها كانت تمرق بجوارى دون أن تفكر حتى فى أن تهدئ من سرعتها.. وساعتها كرهت الدنيا ومن عليها وتنتيت لو تدهنى سيارة فأستريح. وكان الليل قد حل.. وكنت قد قطعت أكثر من خمسين كيلومتراً.. وحل بى الجوع والعطش والتعب.. فارتقت فى الطريق.. وسلمت أمرى لله.. وفى تلك اللحظة مرت بى عربة فارهة تقودها سيدة. وتوقفت العربة بجوارى.. ونزلت السيدة وحملتنى معها إلى الإسكندرية وأخذتنى إلى بيتها.

ومكثت راقداً ثلاثة أيام مريضاً بالحمى.. وفى اليوم الرابع شفيت. وأحضرت لى السيدة طعاماً وشراباً.. وفى تلك الليلة جاءت إلى بقميص نوم شفاف.. وجلست إلى جوارى على الفراش.. وحدث ما لم أكن أتوقعه.. وتكرر هذا فى الليلة التالية

والليلة التي بعدها.. وفي اليوم السادس أعطتني خمسة جنيهات
وقالت لى.. تيجى كل يوم خميس فكنت أذهب إليها وأمكث
عندها الخميس والجمعة وأتركها يوم السبت.. وتعطينى الخمسة
جنيهات.. وتكرر هذا أسبوعاً بعد أسبوع إلى أن كان الخميس
الماضى.. حينما رفضت أن تعطينى نقوداً.. وقالت لى.. إذا كنت
عاوز فلوس لازم تتجوزنى.. وبشرط مؤخر صداق ألفين جنيه..
تصور ألفين جنيه.

نسيت أن أصف لك هذه السيدة.. إنها فى الخمسين من
عمرها.. شكلها مقبول.. وغنية جداً جداً.. وشاذة..
هذه مشكلتى.

هل أتزوجها وأعيش طرطوراً.. وماذا يكون مصيرى حينما
أفاجأ.. وأنا زوجها بوجودها مع رجل آخر.
إنها تنتظرنى.. انصحنى.

أنصحك يا أبو لمعة.. أنك تبطل فشر.. وأن تعالج فشلك
بأسلوب آخر غير أن تنام على ظهرك وتحلم بأن مليونيرة غنية
شاذة فى الخمسين.. هبطت عليك من السماء.. فى عربة فارهة..
وطلبت منك القرب وأعطتك خمسة جنيهات ثمناً لرجولتك الفذة
التي لا مثيل لها.

وليس أسهل عليك ولا أمتع لعقلك التعبان من وطأة الفشل

أن تحلم أنك مهبط الوحى والفتنة للأراامل من صاحبات الملايين..
وليس أسهل عليك من اختلاق المشاكل لتحتال بها على عذابك..
ولكنى لا أجد داعياً لأن تحتال علينا أيضاً.
أفنى لنفسي وحاول أن تستغل ذراعيك.. وهناك ألف مصنع
جديد يفتح فى عرض البلاد وطولها.. فى حاجة إلى شبابك..
ورجولتك.. قوم شوف لك شغلة.

سر السعادة

أنا شاب في الخامسة والعشرين. ولا أزال في الجامعة.. منظرى وشكى جميل وهذا هو السبب في تعاستى ومصائبى..

لنا جارة ولديها طفلان.. زوجها كان متزوجاً بأخرى. وكان بطبيعة الحال يتغيب عنها بين يوم وآخر.. وفي هذه الأيام كانت تحاول أن تتصل بى، بالحديث على الباب بالمصادفة ثم بالخطابات.. ثم بالمقابلة.. وتكررت مقابلاتنا ثم بدأنا نتردد على دور السينما.. ثم بدأت تدعونى إلى شقتها.. وتسهل على الأمور وتهون على المغامرة.

وضعت أمام إغرائها. وأمام شبابى وحرمانى، وأصبح لقاؤنا فى شقتها وفى ليالى غياب زوجها عادة.

ولأعد قليلا إلى الورا فى سنوات نشأتى.. فقد كنت ملتهب العاطفة متدفق الحيوية.. وقد بدأت صباى بحب وحيد ملك على كل حواسى. ولكنى لم أستطع المضى فيه إلى نهايته الطبيعية بالزواج لأنى كنت لا أزال طالبا. وأمامى مستقبل.

وهكذا انتهيت إلى حالة من القلق والحرمان واليأس ألقت بى

في أحضان هذه العلاقة السيئة.

وكانت نتيجة هذه العلاقة أزمة من نوع آخر.. في الشك..
الشك في كل النساء.. وكل الزوجات.

وأنا أتصور دائماً أنى سوف أتزوج. فتخوننى زوجتى. وأصبح
طرطوراً أدخل البيت أشخط وأنظر وألقى أوامرى باليمين
والشمال.. ثم أخرج فترقى زوجتى في أحضان رجل آخر.
وتقول له أحبك.. أعبدك.. أنقذنى من زوجى. أنا لا أطيعه.
هذا الزوج الذى سوف يكون أنا بالطبع.

وكبرت المسألة في دماغى. فبدأت أتلقت حولى في أهلى وأنظر
إلى أختى في شك وريبة. ثم إلى أمى التى يبلغ عمرها خمسين عاماً.
أصبحت أشك فيها هى الأخرى، وأحاسبها حساباً عسيراً على
خروجها وغياها.. وأسألها أين كنت. ولماذا ذهبت بمفردك لازم
تفهمى أنى مسئول عن العيلة. وخناقات لا تنتهى.

وهكذا تسممت حياقى.. وتسممت أفكارى.
والآن. أنا في عذاب مستمر. أريد أن أتزوج والشك يقتلنى.
قالت لى صاحبتى مرة.. وهى معى: ماذا تفعل لو كنت زوجى
واكتشفت هذه العلاقة.. فقلت لها على الفور أقتلك.. والعجيب في
الأمر أنى أحتقرها وأكرهها.. وأحتقر نفسى لأنى أضعف
وأستجيب لإغرائها لمجرد ذلك الشيء الحيوانى الذى في دمى.
ماذا أفعل.. كيف أتزوج.. وأتصرف كزوج طبيعى. وهل هناك

أمل في أنى سوف أكون في أحد الأيام زوجاً طبيعياً. وكيف
الخلاص من هذه العقدة؟.

لكل شيء في الدنيا ثمن.. ولكل خطأ عقابه الفورى.. وأفعال
الطيبين لا تذهب عبثاً. إنهم يكافئون عليها مكافأة فورية..
بسعادة القلب واطمئنان البال.

أمثالك الذين يعيشون في تلذذ مسروق مختلس من بيوت
الناس.. يفقدون راحة بالهم ويأكلهم الشك.
إنها ليست عقدة.. إنها مقابل طبيعى للفعل.

إنه فعل خال من الشرف في جوهره وطبيعته. فعل من أفعال
الخيانة يسيطر عليه الخوف والقلق.. وهو لهذا يلد الشك وسوء
الظن.
ليست في المسألة عقدة.

إن الراحة والاطمئنان والسعادة. لا يمكن أن تنشأ
إلا بتحقيق الانسجام بين الإنسان وبين عواطفه وتفكيره وأفعاله
وظروفه.

حاول أن تحقق هذا الانسجام في حياتك بترك هذه القذارة
والبحث عن إنسانة شريفة تحبها. وتزوجها ولاتمارس معها الحب
مع الاحتقار.

ملانكوليا..

نشأت في مدينة متوسطة من أبوين عصامين.. وأنا أصغر أبناء خمسة.. ثلاث شقيقات متزوجات.. وأخ في الدرجة الثانية في إحدى الوزارات.

وأنا في العشرين من عمري في السنة الأولى من دراستي الجامعية.. مشكلتي أن هناك رغبة جنونية تستبدني وتذلني.. رغبة في تحطيم أى شيء يقع تحت يدي.. أحطم الأكواب مهما بلغ سمكها.. أحطم الأطباق.. والزهریات.. أى قلم أمسك به.. أغرس سنه في الورقة وأحطمه مهما كان ثمنه.. وأشعر بلذة وأنا أحطمه.

وحينما أقف في طابور السينما أو الأتوبيس وأرى أمامي شخصا.. أشعر برغبة جامحة في خنقه والانتقاض على رقبته بيدي.. وفعلا ترتفع يداي في حركة لا شعورية إلى عنقه.. ولا أستطيع الخلاص من هذه الرغبة الا بتحريك رأسي بشدة في عدة اتجاهات لأبعد عيني عن المنظر كله.. وأحيانا أعمد إلى دفعه بيدي لأبعده عني.. وقد أوقعه على الأرض.. وتحدث هذه الأشياء

كثيراً وأنا مع أصدقائي مما جعلهم يبتعدون عني.. ويقولون إن
خزاري سخيـف.. وهم يظنون ما أفعـله هزاراً..

أحب السرعة في كل شيء.. في الأكل واللبس والمشى.. أغير
أصدقائي بسرعة.. ولا أشعر برابطة وجدانية نحو أحد..

حاولت كثيراً أن أعرف سبب حالتي وعدت بذاكرتي إلى
الوراء لعلى أجد سبباً في طفولتي.. ولكن طفولتي عادية.. اللهم
إلا ضخامة هيكل العظمى التي كانت تخيف الأطفال.. وضخامة
يدي.. وضخامة كتفي، وهم في المدرسة يسمونني الكتف الحديدي.

وفي العام الماضي حدث أن رفعت مائة كيلوجرام دون علم
بوزنها.. وحاول المدرب إغرائني على التدريب.. ولكنني لم أحفل
به.

حياتي الجنسية عادية.. فيما عدا إحساس شديد بالكراهية
يتنابني ونفور حاد من المرأة.

ولهذا السبب أرفض الزواج.

لي صديقة أحبها وأعبدُها وتبادلني الحب والعبادة.. وهي
صغيرة وجميلة وغنية.. وأتمنى أن أتزوجها.. ولكنني لا أجروء على
اتخاذ هذه الخطوة خوفاً من انقلاب حبي إلى كراهية حينها
أعاشرها زوجياً.

تنابني نوبات فجائية من الانطواء والعزلة والصمت.. فأدخل
غرفتي ولا أخرج منها يومين أو أكثر.

وقد يمضى يوم وليلة لا أتحرك من مكانى حتى تدخل أُمى
وتنتزعنى بالقوة من الكرسي الذى أجلس عليه متجمداً
كالتمثال.. لكى آكل..

أين كان عقلى.. وكيف سكنت معدتى لم تصرخ طالبة الطعام.
إن حالتى تتدهور بسرعة.. وأنا الآن أُنجنب ركوب التاكسى
خوفاً من أن أنقض على السائق وأخنقه دون أن أدرى.
ذهبت إلى أطباء نفسانيين.. وحاولوا علاجى بالجلسات
والإيحاء بلا فائدة.
أرجوك انقذنى.

إن الطب النفسى لا يكفى لعلاجك..
أنت فى حاجة إلى طبيب أمراض عصبية.. وعلاج منتظم فى
مستشفى.

إن حالتك.. حالة مرضية معروفة اسمها الملائكوليا..
والمرضى فى هذه الحالة يعانون من رغبات متسلطة.. ونوبات حادة
من الانطواء والسكون والامتناع عن كل شىء حتى عن الأكل..
وهذه الحالة قابلة للشفاء بشرط المبادرة إلى الذهاب إلى
مستشفى أمراض عقلية مختص.

جنون الغيرة

أنا شاب عمرى ٣٠ سنة متزوج من سنتين.. وزوجتى مدرسة بمدرسة الراهبات.. والشئ الذى لا يعرفه أحد أنى أعيش فى عذاب الغيرة.. طوال السنتين وأنا أكتوى بنار الغيرة.

زوجتى ليست جميلة.. ولا خفيفة الدم.. بل هى عادية جداً جداً.. وظاهر تصرفاتها يوحى بالثقة.. وسمعتها حسنة.. ليس عندى شئ أمسكه عليها.. ومع ذلك أنا أشك فيها.. الشك ينهشنى.. والغيرة تأكل قلبى.

إذا ركبنا أتوبيس أقف بجوارها وأحلق فى كل شاب فى ريبة، وإذا رأيته تنظر حولها هنا أو هناك أغتاض ويغلى الدم فى رأسى وأشعل سيجارة وأروح أنفخ فيها.. ولا أجرؤ أن أجاهرها بشكوى.. وإذا حضرت من عملى ووجدتها واقفة فى البلكون أغتاض.. وإذا رأيته تلبس فستاناً ديكولتيه مفتوح شوية أصاب بالجنون.. ولكنى أكتم جنونى وغيظى ولا أصرحها حتى لا تقول إنى متأخر ورجعى.. ولكنى ألاحظ أنها تأخذ بالها.

وإذا حضر زوار لاختوتها، فى البيت وأخذوا يروحون ويحيثون

شعرت بالضيق مع أننا وحدنا في غرفة بعيدة.
وإذا وجدتھا سرحانة ومش واخده بالھا.. وكلمتها فنظرت إلى
في شروء.. أغضب في نفسى.. وأنام بلا عشاء.
وإذا ذهبنا إلى مكان ما للسهرة.. وكان حولنا شبان أظل
أتململ طول الوقت.. ولا يعاودنى هدوئى إلا إذا رجعنا إلى
البيت..

إذا ضحكت في الطريق أتلفت حولى لأبحث عن الرجل
الذى ضحكت له.. وإذا عبست تتبأني الوسواس والظنون..
ويظل عقلى يختلق الظنون المتعبة.
• وهى الآن حامل.. ولكنى أشك أحياناً في الجنين الذى تحمله..
أشك في أنه قد يكون من رجل آخر غيرى.
أنا أعيش في عذاب..
ولكن ماذا أفعل؟.. وأنا أحبھا.. أعبدها.

أنت لا تحبھا.. أنت تحب نفسك.
أنت تحتقر زوجتك وتعاملها كما لو كانت من ممتلكاتك..
كما لو كانت تابعاً بلا حرية وبلا إرادة.. لا حق لها في أن تنظر
إلى اليمين أو إلى اليسار.. أو تضحك.. أو تعبس.. وأنت لا تكتفى
بامتلاك جسمها وإنما تريد امتلاك روحها.

وسبب جنونك هو شعورك بالنقص وبأنك غير كفء وغير
قادر على الاحتفاظ بها.. وأنه لا وسيلة للاحتفاظ إلا بالعنف
والتحكم والضغط واللجوء إلى الحق الشرعى.. ومواجهتها
بصكوك الملكية.. ولكنك لا تجد حتى الشجاعة فى هذا.. ولهذا
تجن.. وتكوى بالنار وتغطا.. وتكتم فى نفسك.

وحينما تراها تضحك فى الطريق.. تتلفت حولك لتبحث عن
الرجل الذى ضحكت له، لأنك لا تتوقع ولا تنتظر أن يكون
هذا الرجل هو أنت.. أنت فى نظر نفسك تافه.. لا تستحق أن
تحبك حتى زوجتك.

إن العقدة فى نفسك.. وإذا لم تغلب على هذا الشعور بالنقص
فإن زواجك سيفشل.

إن زوجتك لن تحترمك لأنك لا تحترم نفسك.. ولن تعرف
كيف تحبك وأنت لا تعرف كيف تحب نفسك.

الحقيقة الخفية

أنا زوجة.. وأعمل في إحدى الشركات.
معى فى العمل شاب اعتبره أنا رجلاً مثاليًا جذبني إليه بأدبه
وذوقه ورقته، فحفظت له أعظم تقدير.. وكانت نظراتي إليه كلها
نظرات إعجاب بشخصه، حتى أنني كنت امتدح أخلاقه المثالية
أمام زوجي.. إلى هنا والمشكلة تبدو طبيعية.
ولكن الواقع أن النظرات استمرت وتبعته نظرات من
جهته.. نظرات طويلة وغير عادية.
وذات مرة سألت نفسي ماذا وراء نظراتي له..
إني أحب زوجي حباً جماً وأقدس حياته الزوجية ولا ينقصني
شيء في الدنيا.. وبرغم اشتغالي نصف يوم خارج بيتي فأنا لم
أفكر مطلقاً في إهمال شيء يبيتى أو زوجي.
وزوجى يحفظ لى كل حب ومودة وتقدير..
فما معنى هذه النظرات التى لا أستطيع أن أوقفها عند حد..
لماذا تعلقت به عيني إلى هذه الدرجة..

ولم أستطع الإجابة على هذا السؤال..

ولكنى كنت كلما نظرت إليه شعرت بالراحة والحنين.. شعرت بأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقاً أحكى له مشاكلى وعذابى وآلامى.

ولكن هل هو كذلك؟

لا أعلم..

فإلى الآن.. وبعد مضى حوالى عامين من النظرات الطويلة المتبادلة.. لم يفتح فمه بكلمة.. ولم يصارح أحداً الآخر.. بدخيلة نفسه.

وفكرت فى معنى نظراته الطويلة نحوى.. واكتشفت أنى لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات.

ولست أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة.. مهما حاولت. فإنها ستبقى فوق الوصف.. نظرات كلها حنين وأنين وشجن وهمس وصراخ.

وأنا أحرص دائماً على أن أظهر له فى كل دقيقة أنى لا أهتم به ولا أفكر فى أى رجل سوى زوجى.. ولكن فى أعماق نفسى أشعر أنى معلقة به.. ويشعر هو الآخر بذلك.

وهو من ناحيته يحاول دائماً أن يبتعد عنى.. ويتجنب الانفراد بى فى مكان.. ويحاول أن يهرب.. وكلما سنحت فرصة لبقى معاً يشعرنى بأنه مضطرب ثم يسرع بالاستئذان.. وفى اليوم التالى

يحاول أن يظهر إهماله لى.. ولكن نظراته تعود فتفضحه.. نظرات كلها شوق ولوعة.

وهكذا تستمر المناوشات بيننا.. نقترّب ونبتعد فى سلسلة من المحاولات اليائسة للهروب من المصير المحتوم.. ولكن طول الوقت لا يبدو علينا شىء.. لا شىء سوى مظهر الزمالة العادية.. ويعلم الله ما بنفس كل منا.. والآن أشعر أن مشكلتي تتفاقم بسرعة..

وأصبحت أمضى الساعات الطوال أفكر فيه وفى نظراته التى لم أعد أستغنى عنها.

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عملى فقط من أجل أن أراه وأنظر إليه؟
ما رأيك؟..

ومن الواضح أنك لم تتركى لى فرصة للرأى.. فأنت فى مواضع كثيرة من خطابك.. تستيقنى.. وتسبقين نفسك بوضع أحكام نهائية نرفض الجدل.

جذبني أدبه وذوقه ورقته..

كلما نظرت إليه شعرت بالراحة والحنين وبأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقاً أحكى له عذابى وآلامى.. ليه الآلام دى.. وليه العذاب ده.. كله.. أنك زوجة وتحبين زوجك وزوجك

يجبك وتقدسين حياتك الزوجية ولا شيء ينقصك في الدنيا..
كما تقولين.

واضح أنك تفتعلين هذا العذاب لتجعلى من نفسك ضحية
مسكينة فى حاجة إلى النظرات الحنونة.. المشتاقة.. الوهانة..
إلخ..

إنك تضعين حيثيات وهمية لتستحلى بعد ذلك أى شيء..
وهى نظرات.. يوه منها.

أنا لا أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة مهما حاولت
فإنها شيء فوق الوصف.. يا سلام.. لا ياشيخة.. نظرات كلها
حنين وشجن وهمس.. آى.

اكتشفت أنى لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات..
طبعاً بعد كل هذا الإخراج.. مش ممكن.

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عملى فقط من أجل أن أراه
وأنظر إليه.

يعنى بتهددينى كمان.. بأنك لن تستطيعى الاستمرار فى
عملك.. لو أنك تركته لحاله.

ناقص تقولى.. حاترفدى.. وتقطع عيشى لو قلت لى سيبه.

إن المشكلة طبعاً ليست مشكلة شاب فى محل عملك ينظر
إليك.

إنك كامرأة متزوجة سوف تجددين في كل مكان رجلا مستعدا
للنظر إليك طول اليوم.

إن المشكلة هي مشكلتك أنت.. ومشكلة رغبة مستبدة تنمو في
قلبك.. خيانة زوجك.. رغبة بدون سبب.. فأنت تحبين زوجك وهو
يحبك.. مجرد تخريب.. عبث..

والنهاية طبعاً معروفة.

نظرات طويلة متبادلة في محل العمل.. خبص عيني عينك..
وفضيحة بجلاجل.. وخراب بيوت.. وسمعة طين.

وفي النهاية بعد أن تخسرى كل شيء.. لن ينظر إليك حتى
الرجل الذى أعطيته نفسك باحترام.

سيظل يتخيل نفسه في مكان زوجك الذى خنته وأنت تحبينه..
سيظل يشعر دائما أنك من جنس لا أمان لعاطفته أبداً.. وهكذا
تفقددين كل شيء.. كل شيء وتنتهين تماماً..

التعود..

أنا موظف صغير فى الدرجة الثامنة.. أقوم بمساعدة أهلى فى الريف بجزء من مرتبى وأعيش بالجنهات القليلة التى تبقى لى فى القاهرة.. فى غرفة بمفردى.. ومازلت أعزب إلى الآن.

مضى على تعيينى ثلاث سنوات لم أدخر فيها شيئاً للزواج. تعرفت على فتاة منذ ثلاث سنوات تعمل حكيمة فى الدرجة السابعة بإحدى المستشفيات الحكومية.. سمراء.. ملفوفة.. تكبرنى سنًا بحوالى خمس سنوات.

كنت معها مثال الصديق المخلص طوال السنوات الثلاث من تعارفنا.

كنا نتقابل دائماً فى الخارج لنقضى الوقت فى أحد الكازينوهات أو إحدى دور السينما.

ثم حدث أخيراً أن دخلنا إحدى حفلات السينما التى تبدأ فى منتصف الليل وتنتهى فى الثالثة.

وخرجنا فى الساعة الثالثة لنواجه مشكلة.. أين تذهب. أنا لم تكن عندى مشكلة لأنى أعيش وحدى وأستطيع أن

أعود وحدى فى أية ساعة من الليل.. أما هى فلم تكن تستطيع العودة إلى بيت الحكيمات فى مثل تلك الساعة المتأخرة. وفكرت.. وفكرت.. ولم أجد حلاً.. وأخيراً أخذتها معى إلى مسكنى لتقضى به بقية الليل.

وأصارحك.. بأننا قضينا هذه الليلة كما نتمنى. وعوضنا الثلاث سنوات التى كنا نلتقى فيها فى الخارج.

وتكررت هذه الأشياء.. وأصبحت تتردد على منزلى.. وأصبحنا لا نسأل عن سينا أو كازينو.. فالمنزل أحسن بكثير.. وكانت تببت معى لأن عملها يخول لها ذلك.. فهى حكيمة وعندها ورديات بالليل.. وأحياناً ورديات بالنهار.

وأخيراً فكرت فى الزواج منها وشجعتنى على هذه الفكرة.. وقالت لى إنها ستساعدنى فى كل شىء.. ولا داعى لأن أحمل هم التكليف.

ولكن عندى فى نفس الوقت أسباب تجعلنى أتردد.. فهى ليست جميلة.. وهى أكبر منى سنًا.. وهى فى الدرجة السابعة وأنا فى الدرجة الثامنة.. وقد يدفعها هذا إلى أن تتصرف معى بفرور واستعلاء.. وأصحابى يقولون عنها إنها حكيمة ولها عمل ولن تكون متفرغة للمنزل ولا للزوجة.. هذا زيادة على أن طبيعة عملها ومبيتها بالمستشفى تجعلها تفعل مع الأطباء والمرضى

كما تفعل معى.. وسوف تتأخر على كيفها ولن أستطيع أن أقول لها.. كنت فين؟

وهم يقولون أيضاً إنها فى سنّها الحالّى وبعد أن فاتها قطار الزواج لا يهّمها إلا أن تحصل على زوج أى زوج لتكون فى عصمة رجل.. ثم تعيش بعد ذلك على كيفها.

ولكن الحقيقة الأكيدة التى أشعر بها.. أنها تحبني وتعبدني، فى الوقت الذى أحبها أنا فيه بعض الحب فقط. وأنا حائر.. هل أنزوجها؟

لا شك أن بحالتك الراهنة.. موظف فى الدرجة الثامنة وجزء من مرتبك يذهب إلى أهلك بالريف.. تعتبر.. عريس على قد حالك جداً جداً.

وسوف تكون فى حاجة إلى زوجة تعمل وتكسب لتعاونك.. إذا فكرت فى الزواج.

وبإيرادك الحالّى الذى لا يزيد عن سبعة جنيهات لن تجد من يرضى بك.. بسهولة.

وإنها لنعمة من الله أن تجد امرأة تحبك وتعبدك.. وتحلم بالزواج بك.. وفى نفس الوقت تحبها.

وحكاية الجمال كلام فارغ.. لأن التعود يقضى على الوحشة

وعلى الجمال.. والعين حينها تتعود على وجه وتألفه.. يفقد هذا الوجه ما يثيره في النفس.. وتبقى الإنسانية والعشرة والأخلاق والحب والانسجام، وهى أشياء أهم من الجمال فى الزواج. وما يقوله الناس عن المرأة العاملة من أنها ماخور يعب منها كل رجل كلام فارغ..

ورأى إذا كانت شخصية صاحبتك تعجبك.. أن تتزوجها بالحلال وتتوب عن حياة الخطايا التى ضيعت فيها نفسك ونفس من تحب طوال هذا الوقت.

الجزء من جنس العمل

أنا ترزى سيدات بالإسكندرية.

تعرفت في أحد الأيام بشاب فلسطيني من اللاجئين يغنى في أحد الكباريات.. ودعاني صديقي لمشاهدة البرنامج.. حيث عرفني براقصة من زميلاته.. وقدمني إليها على ابن عمه. وأصبحت الراقصة زبونتى.. وعن طريقها تعرفت بامرأة غنية في السابعة والثلاثين من عمرها.

وقدمت نفسى للغنية الجميلة أنى لاجئ فلسطيني مقطوع من شجرة وقدمت لى نفسها على أنها أرملة عراقي كبير ومن عائلة معروفة.

ونشأ بيننا حب جارف.. وشربنا كاساته حتى الثمالة..

ثم اكتشفت فجأة أنها تكذب على.. وأنها قوادة مستهتره تتجر بالأعراض وليست أرملة عراقي وإنما هى أرملة كل الناس. ولم استطع مكاشفتها لأن حبي لها كان قد ذهب بى بعيداً، وعبر حدود العقل والمنطق.. ولسبب آخر هو أنى أيضاً كذاب.

فلست « لاجئاً فلسطينياً ».. ولست مقطوعاً من شجرة.. وإنما أنا
مصرى.. وأبواى على قيد الحياة.
لقد كان كلانا صعلوكاً مغامراً.
ولا أدري ماذا أفعل الآن..
أنا مخطئ وقد أوغلت في الخطأ إلى حد تعذرت معه العودة إلى
طريق السلامة.

* * *

سيدى..

أشكر أقدارك على أن ضحيتك ليست فتاة ساذجة.. وإنما هي
امرأة محتالة مثلك نازلتك بنفس سلاحك.
إن قصتك تذكرنى بما قاله ميترلنك عن العدالة.
إنك لا تقابل إلا نفسك في طريق القدر. كن كاذباً تسرع
إليك الأكاذيب.. كن لصاً تتشبث بك الجرائم.. فى أى طريق
تذهب لن يكون قدرك إلا صورة من نفسك.
إن نهر الحياة الدافق ينساب تحت قبة السماء ويجرى بين
حيطان السجون.. وإنما كل ما يعيننا هو حجم الكأس التى
نغمرها فى مياهه، وإن هذه الكأس لتأخذ دائماً شكل أفكارنا
ورغباتنا.. وتساوى سعة أشداقنا.
إن حظك من الحب عادل يا صديقى الصعلوك.. والكأس التى

تشرېها تساوی سعة قلبك ولون ضميرك.
كلاکما طائران متشابهان وأسلم لکما وللمجتمع أن تظلا معًا
إلى نهاية الطريق.

منافسة غير شريفة

توفى زوجى منذ أعوام.. وكان عمري حينذاك ثلاثين عاماً..
تاركاً لى ثروة كبيرة وثلاث بنات أكبرهن فى العاشرة.

وكرست حياتى لبناتى حتى كبرن وتزوجت اثنتان إحداهما
بمدرس فى كلية الهندسة.. والثانية بدكتور كبير.. أما الثالثة
الصغرى فقد كبرت وأصبحت قمورة فى سن السبعين.

وشاءت الأقدار أن تتعرف على شاب.. وسرعان ما أحبته
وشغلت به.. وأصبح محور أحاديثها فى كل وقت.

وأنا تعودت دائماً ألا أ تدخل فى شئون بناتى من ناحية اختيار
الأصدقاء وفى العادة اكتفى بالإشراف من بعيد ولكنى حينما
علمت أن هذا الشاب متوسط التعليم وأنه حاصل على التوجيهية
فقط فزعت وخفت أن تنتهى هذه العلاقة إلى زواج فاشل غير
متكافئ لا يليق بنا.. وطلبت من ابنتى أن أتعرف عليه.

واجتمعت به فى النادي لأول مرة.. وقضينا فترة نتحدث.

كلمنى عن حياته وآماله ومشاكله.. وتكلم بصراحة مطلقة لم

أعهد لها في شاب.. تحدث عن ظروفه في عدم الاستمرار في التعليم وكيف أنه دخل كلية الآداب ونجح فيها لمدة عامين ثم خرج لأنه كان يحلم أن يكون مهندساً.. ولم يجد في الدراسة الأدبية شفاءً لأحلامه.. وكيف أنه دخل الجيش وقضى فيه سنة ونصف سنة ثم خرج.. وكيف استقر أخيراً في وظيفة محترمة برتب كبير، وكيف اقتضت منه الوظيفة أن يسافر إلى عدة بلدان أجنبية.. وأن يتقن ثلاث لغات.

وبتعدد مقابلاتي له بالنّادى أدركت أنه يمتاز باطلاع واسع في مختلف الثقافات.. في العلم.. والأدب والفلسفة.. وأن عنده مكتبة تضم حوالى خمسمائة كتاب.. وعرفت أن له شخصية قوية.. ولم يكن هذا رأيي وحدي.. فإن الكل كانوا يهابونه ومحترمون.. وأزواج بناتي كانوا يشكرون في أخلاقه وسلوكه.. في الحقيقة اطمأننت إليه.. وقلت في نفسي.. ما دام مركزه محترماً وصفاته حسنة وشاب مؤدب وفوق ذلك ابنتي تحبه.. شجعت هذه الصداقة.

وأصبحت ابنتي لا تبتعد عنه.. وتتصل به كل يوم في التليفون.. ويتقابلان كثيراً.

وكانت طوال الوقت تحدثني عن كل ما يحدث بينها.. ومن حديثها عنه كنت أشعر أنه ذو أخلاق كريمة.. فهو لم يحدث أن عانقها أو قبلها بالرغم من أن الفرص كانت تواتيه وكان يجب

ابنتى ويقدرها ويحترمها.. ويحدثنى عن علاقة الرجل بالمرأة على أنها علاقة إنسانية قبل أن تكون علاقة جسد.

وبتوالى الأيام وحديث ابنتى عنه.. كنت أحس باشتياق له وانتظر موعد حضوره فى النادى أسبوعياً بلهفة شديدة.. وتحول اشتياقى إلى حب جارف ملتهب.. وكانت تؤلمنى نظراته لى كأم حيث أنه فقد والدته وهو طفل.. ومع ذلك كنت أحبه وأعشقه وأتناه زوجاً لى.. ولم لا؟ فهو الرجل الذى يستطيع أن يسد مكان زوجى، والشاب القوى الذى احتاج إليه فى هذه السن.. ستقول عنى أنانية وخائنة فى حق ابنتى.. ولكن أنا سيدة فقدت زوجى فى الثلاثين والآن أشعر بالوحدة وسأكون وحيدة بعد أن تتركنى ابنتى الثالثة.. وأنا أحبه.. وأعشق رجولته وشهامته.

وهكذا بدأت أفرق بينه وبين ابنتى حتى قطع رجله تماماً من البيت.. ولكن الذى حدث كان أكثر من هذا.. فقد قطع رجله من النادى أيضاً ولم أعد أراه.. ولم يعد يتصل بى ولا بابنتى، وكدت أجن من الشوق والتفكير.. ولازمنى القلق.

وأخيراً تشجعت وطلبت به بالتليفون وقلت لى أريده بالمنزل لمسألة هامة.

وأخليت المنزل.

وحينما دق الجرس ورأيتة أمامى.. فقدت أعصابى وألقيت بنفسى على صدره.. وعانقته وقبلته قبلات كثيرة.. كثيرة.. لم أفق

منها إلا على صفة.. لظمني بها على وجهى وهو يبعدنى فى
اشمئزاز وإنكار وأدار وجهه وخرج.. وتركنى ذليلة مكومة على
أريكة.

منذ تلك اللحظة وأنا أعيش فى صراع فظيع.. وأفكر فى
الانتحار وأفكر فى أنى حقيرة.. ولكن ما ذنب ابنتى.

إن ابنتى تبكى ليلاً ونهاراً.. وهو لا يتصل بها.. وهى تعتقد أنه
سيخطب إحدى قريباته.. وهى لا تعلم الحقيقة.. ولا أجد عندى
الجرأة لأقول لها الحقيقة.

ماذا أفعل؟

إنى أتمنى أن يعود إلى ابنتى.. ولا أمل لى أكثر من أن يعيش
الاثنان سعداء معى.. وأرى سعادتهما من حولى.
اكتب له ليعود.

* * *

إنه لن يعود..

إن الشهامة والرجولة والأخلاق. لا يمكن أن تعود إلى أمثال
هذه البيوت.. البيوت التى يخليها أصحابها، ويستدعون الرجال
بالتليفون للخدمات المستعجلة.

إن ابنتك بريئة.. ولكنها تعيش معك فى البيت.. والبيت ينقل
عدواه لمن فيه.. ولا شك أنك كنت بريئة.. وأنت فى سنها، وهذه

البراءة لم تمنعك من السقوط في سن الخمسين.
وأسوأ ما يخافه شاب أن يختتم حياته الزوجية بشناعة، إن
شناعة في سن الخمسين أسوأ ألف مرة من سقوط في سن
العشرين.. لأنها شناعة بائسة مخجلة ليس لها عزاء فيها تبقى من
العمر.

الفريسة والصيد

أنا فتاة في السادسة عشرة من عمري.. جميلة.. وجذابة. بدأت مشكلتي منذ حوالي سنة ونصف حينما كنت أعيش مع أمي. لم يكن ينقصنا شيء في حياتنا. فأمي امرأة غنية جداً ترك لها والدي قبل وفاته أربع عمارات ذات إيراد كبير وعربة أنيقة جداً.. وكانت تنفق بإسراف على زينتها وأناقتها ومظهرها.. وتعرفت أمي في هذا الوقت على شاب في السنة النهائية بكلية الآداب.. وكان شاباً أنيقاً.. وشرعت في إغرائه بالفلوس.. التي فرشتها تحت قدميه.

وكانت أحياناً تصحبه معها إلى البيت الذي نعيش فيه.. وتكرر ترده إلى البيت كثيراً.

وفجأة وجدت أمي تخبرني بزواجها من هذا الشاب الذي انتقل إلينا وأقام معنا.. وكان في هذا الوقت قد تخرج من الكلية والتحق بعمل محترم.

ولاحظت أنه بدأ يتودد إليّ وبدأ يعاملني برفق وغزل. وفي يوم كانت أمي في الخارج.. وجاء هو إلى المنزل وكنت

وحدى فأخذ يلاطفنى حتى وجدت نفسى تحت تأثير كلماته
المعسولة ملقاة على صدره وقد تلاقت شفتانا فى قبلات حارة ومنذ
هذه اللحظة وأنا أحبه حباً كبيراً لا أقوى على مقاومته.

وأصبحت انتظر اللحظات التى نخلى فيها بأنفسنا وأقسم لك
أن علاقتنا لم تتعد القبلات والأحلام الجميلة، واتفق معى على كل
شئ.. اتفق على أن يطلق أمى ويتزوجنى. وفعلاً تم الطلاق.
وحتى هذا الوقت لم تكن أمى تعلم بشئ حتى فاجأتها بأنى
سوف أتزوج من هذا الشاب الذى طلقها فجن جنونها وثارت
وهددتنى بحرمانى من الميراث وبرغم ذلك صممت على الزواج منه.
إنى أحبه. أحبه. أحبه. سنة كاملة وعدة شهور ونحن ننعم فى
نشوة الحب.

وقد تعقدت المشكلة أخيراً حينما أخبر أهله بنية زواجه
فهاجموه جميعاً ووقفوا حائلاً ضده بحجة أن الشرع لا يبيح مثل
هذا الزواج.
إنى أتعذب.

لم تكن جريمة أن أحب شاباً يقرب سنه من سنى حباً شريفاً
خالصاً.

لقد اعترف لى أنه أخطأ بزواجه من أمى.. وأن حاجته إلى
الفلوس فى ذلك الوقت هى السبب.

إننا نتعذب.. ماذا نفعل؟

تأكدى أن الشرع على حق.

إن الرجل الذى يشتهى الأم وابنتها فى نفس الوقت لا يمكن أن يؤتمن على كلمته أو على نظرتة.. إنه زائع الشخصية.. عينه زائفة بين فلوس أمك.. وشباب ابنتها.. وتأكدى أن عقله الطماع يرمى إلى مرام بعيدة.. فهو يعرف جيداً أن أمك لا يمكن أن تحرمك من الميراث.. وأنها مهما كانت قاسية فإنها سوف تلين فى النهاية وتعطيك حقك.. وهكذا تقعين له كما تقع الفاكهة المستوية.. على أنك صيدة.

إنه ينظر إليك بنفس المنطق الذى كان ينظر به إلى أمك.. جمال ومال.

إن كل شخصية لها منطق يحكمها.. والشخصية تغير سلوكها ولكنها لا تملك أن تغير منطقها.. لأن منطقها هو جوهرها وروحها.. وهذه روح صاحبك.

إنه رجل سيئ.. تجنبه.. ليس بسبب الشرع فقط.. وإنما لأنه إنسان كذاب.. عواطفه كذابة.

أخواتي جميلات

هاتان الكلمتان هما كل مشكلتي «أخواتي جميلات».
هما كلمتان ولكنها بالنسبة لى.. حكم بالإعدام.. فلا أحد
ينظر إلى.. ولا أحد يتودد إلى.. وإذا مشيت مع أخواتى فى
الطريق سمعت كلمات كالعسل تتساقط على آذان اخواتى على
حين ترشقى السخریات كسهام مسمومة وكأنى أنا الخادمة أو
الدادة أو المريية أو لقيطة من الطريق.

كل أملى فى الحياة أن أموت لأستريح من هذا العذاب.
صداع.. صداع.. صداع.

الصداع القاتل لا يبارحنى اللحظة.

وقد رسبت فى الجامعة وضاعت علىّ سنة بسبب هذا الصداع
الذى يمزق رأسى.

لا أطيق النظر إلى مرآة ولا أطيق النظر فى عيون الرجال..
مع أنى لست قبيحة بل أنا مقبولة جداً بين البنات العاديات،
ولكنى إلى جوار أخواتى أقل منهن بكثير.

جاء إلى الخطاب ورفضتهم لأنى أعلم أنهم يخطبون مركز أبى

وثروته ولا يخطبوني لذاتي.. وأنا أريد رجلاً يسعى إلى لذاتي
يفازلني ويبادلني الحب ويتمناني دون أن يعرف من يكون أبى ومن
يكون أهلى.

حاولت الانتحار وأنقذنى أبى وبكى من أجلى.

أمى وأبى وأخواتى يعاملوننى بكل رقة ومحبة واحترام ولكنى
أشعر أن هذه الرقة إسفاق وعطف وأشعر أنها كالإحسان الذى
يبدل لمتسول مقطوع اليد.

أشعر بنظرات العطف تحرقنى، تكوينى، تلسعنى كالنار.
لماذا خلقنى الله لأتعذب.

لا أريد منك كلاماً أى كلام.

ولا أقبل منك مواساة.

أقنعنى.. أريدك أن تقنعنى.

أريد كلاماً مقنعاً.

أريد أن أفهم لماذا تخلق أخواتى جميلات وأخلق أنا أقل منهن.
ولماذا لا تكون هناك عدالة فى السماء.

كيف يفعل هذا إله كامل قادر عادل.

لماذا يظلمنى فى وجهى وملاحى.. وماذا فعلت لأتلقى هذا الحظ
الضئيل الهزيل منذ يوم ميلادى.

لماذا يكون نصيب الأخريات الحب والإعجاب والانبهار

والتعلق والمطاردة في كل مكان.. وأمشى أنا فلا يشعر بوجودي
أحد.

لماذا.. ولماذا.. وألف لماذا.. ثم صدام فظيع يغلف رأسي
كالضباب وحقد ومرارة وكراهية لكل ماهو مفرح.. ورغبة في
الانتقام وأعود إلى نفسي فإذا بي أتمنى أن أدمر نفسي، أحرق
نفسي، أشق نفسي حتى لا أعيش في هوان وإحساس مرير
بالنقص على الدوام.

أريد أن أفهم.

أين العدالة في هذا..

المعذبة

ليلي. م

* * *

الدنيا تقوم على التفاضل وعلى التفاوت والاختلاف..
كل منا يولد.. فريداً منفرداً نسيجاً وحده مختلفاً عن غيره..
ولو أن كل النساء خلقن متطابقات متساويات في الأوصاف
لأصبحن كملايين النسخ التي تغني عنها نسخة واحدة.. ولما أصبح
هناك داع للتعدد فهو لا يحمل معه أي تفاوت ولا أي تلوين.
إن حكمة الله اقتضت هذا التفاوت والتباين.

ولكن الله لم ينس أحداً.

وغلطتك أنك تصورت أن النعمة الوحيدة التي يمكن أن

يعطيها الله لامرأة هي جمال وجهها - والثروة الوحيدة التي يهبها لها هي ثروة الملامح والتقاطيع.

وهذا غير صحيح.

فيمكن أن يعطي الله لواحد الثروة في وجهه ولآخر الثروة في صحته ولثالث الثروة في قوته الجسدية ولرابع الثروة في جيبه ولخامس الثروة في قلبه.

والله يمنح الموهبة والذكاء والعبقرية كما يمنح الجمال.

وقد يأتي الذكاء اللامع مع الوجه الدميم.

وقد يأتي الصوت الذهبي الرائع مع وجه يسمع في الإذاعة ولا يرى في التلفزيون.

وقد تأتي العبقرية مع جسم مريض بالسل.

وقد يخرج الشعر الملهم من رجل مشلول في الفراش أو امرأة كسيرة.

ولكن الله دائماً لا ينسى مخلوقاته. إنه يعطي لكل واحد منهم كنزاً وعلى كل واحد أن يكتشف كنزه.

وغلطتك أنك تبحثين عن كنوزك في وجهك وملاحك.. تبحثين عنها في المرأة وفي عيون الرجال ومعاكسات الطرق.. وهذه نظرة محدودة الأفق.

لماذا لا تبحثين عن كنوزك في مكان آخر غير مقاسات جسمك ولون شعرك واكتناز شفئك.

قد يكون الكنز في صوتك فتكونين خليفة أم كلثوم.
وقد يكون الكنز في عقلك فتكونين خليفة مدام كورى.
قد يكون في موهبة فنية كامنة فيك فتكونين خليفة أنامانيانى.
قد يكون الكنز في قلمك فتكونين خليفة أملى بروتى وجورج
صاند.

ابحثى عن نفسك ودعى الحقد، والمرارة والكراهية فهى
ستائر مظلمة تحجب عنك نفسك.

لا تتحسسى شعرك وإنما تحسسى أعماقك.
حاولى أن تنظرى إلى الناس وإلى الحياة وإلى الدنيا وإلى الله
بكل محبة.

وتأكدى أن جمال الوجه هو أول جمال يذبل.
أما جمال النفوس والمواهب فهو يزداد تألقاً ولمعاناً مع العمر.
وها هو صوت أم كلثوم يزداد جمالاً.

وهيلين كيلر البكاء والصماء ملتقى إعجاب الملايين فى حياتها
وموتها وهى أقل الناس حظاً فى كل شىء.
تأكدى أن الله لا ينسى أحداً.

ولكن نحن ننسى أنفسنا فى دوامات الحقد والكراهية والحسد
فلا نعرف أين نجد آثار النعمة التى اختصنا بها الخالق ونضع من
حياتنا دون أن نكتشف كنوزها.

من كان يتصور أن الصحراء الجرداء القفر تخفى ثروة من الذهب الأسود في باطنها.

ولكن الأمر احتاج إلى جهد مضن وإلى حفر.
وعليك أن تحفرى فى داخل نفسك بحثاً عن منجم الذهب.
يا أخت ليلى.. الحسد يعميك تماماً عما هو فى نفسك.. يشل كل قدراتك وحواسك ويحول بينك وبين الانفتاح على نفسك وعلى العالم.

إن الله لا يظلمك.. ولكنك أنت ظلمت نفسك بأن أسدلت على عينيك ستار العمى الذى لا يرى إلا حلاوة الشكل.
ولكن الإنسان ليس مجرد شكل.
المرأة ليست سجادة.

المرأة روح وقلب وشعور وعواطف ووجدان قبل أن تكون مجرد لحم ودم.

ابنتى تحب

ليست المشكلة خاصة بى فمشاكلى تعودت أن أحلها بنفسى ولا أستشير فيها غير أطراف النزاع.. وبالنسبة لرجل زار معظم دول أوروبا وتعرف على مختلف العادات والتقاليد وكان له شباب حافل بالمغامرة مثلى فما أسهل أن يحل ما يعترضه من مشاكل معتمداً على خبرته ومعاناته.

ومع ذلك أعترف أنى فى هذه المرة عاجز تماماً عن الحل.. ربما لأن المشكلة ليست مشكلتى.. وربما لأنها تخص أعز ما أملك فى هذه الدنيا.. ابنتى الوحيدة.

والمشكلة يا سيدى هى مما يحدث فى كل بيت، ولكن لا يعجبنى تصرف كل بيت تجاهها.. فابنتى تحب شاباً فى الثانية والعشرين من عمره ما زال طالباً فى كلية الطب وأمامه إلى أن ينهى دراسته ثلاث سنوات.

ولكن المشكلة أننى بعد أن عرفت بعلاقة ابنتى بهذا الشاب لم أشأ أن أعاملها بقسوة وأطلب منها قطع كل علاقة به، إيماناً منى بأن هذا الشئ لا بد أن يحدث يوماً.. وإيماناً منى بأن أوروبا كلها تمارس هذه العلاقات بحرية شديدة، وأنا نفسى كنت على علاقة

بكثير من البنات وكان أهلهم يستقبلونني في منازلهم، وكلهن من عائلات محترمة جدًا.. ولكن لم تزل في أعماقي تلك النزعة الشرقية إلى الحفاظ على العرض والغضب لكل ما يجرح الشرف والسمعة ولو بخدش صغير.. فكيف أرضى على نفسي أن تخرج ابنتي لتقابل أحد الشبان وتركب في سيارته «هذا الطالب له سيارة»، وتخرج والله أعلم أين تذهب - وهل ذهبت إلى كازينو أو إلى جلسة بريئة على شاطئ النيل كما قالت.. أم أنها ذهبت إلى شقته الخاصة.. وما أكثر وسائل الإغراء في خلوة وغرفة مغلقة على اثنين.. ومهما كانت القيم والتقاليد ينتصر الشيطان دائمًا في النهاية.

وكيف أسمح لنفسي وأنا أشغل وظيفة محترمة جدًا أن يتكلم عنى الجيران وعن ابنتي بأنها تمشي مع فلان وتخرج معه في العربة، والله أعلم إلى أى حد ينتهى مثل هذا الكلام وأنت تعرف كلام الناس.

ولو فرض حتى أنها خرجت معه خروجًا بريئًا إلى أحد الكازينوهات، فمن المؤكد أنه قبلها مرارًا وتكرارًا.. وكيف أسمح لشخص كل ما يربطه بابنتي هي كلمة «إن شاء الله لما أخلص تعليمي أتجوزك».. أن يفعل معها كل هذا.

وما أدرانى أنه لا يخذعها ويضحك عليها ويغرر بها.. وكيف أطمئن إلى نواياه وأخلاقه.

وماذا يقول مثل هذا الشاب عن عائلة صاحبه التي تسمح له
بمرافقتها متى شاء.. هل يقول إنها عائلة متحررة أم عائلة بطالة ؟
ألف سؤال وسؤال يدور في ذهني ولا أصل إلى جواب حاسم.
والمشكلة أني كنت طيلة شبابي أنادي بضرورة الاختلاط في
جميع سنى الدراسة وفي جميع مجالات العمل.. وأنادي بحرية الفتاة
في أن تحب من تريد.

ولكن هذا تغير عندما أصبحت أبا.. فقد ملأت المخاوف
رأسي وعادت الأفكار المحافظة تعشش في عقلي.. فأنا أتكلم الآن
عن البيئة الشرقية وضرورة اختيار السلوك الملائم لكل بيئة.. فما
دعنا نعيش في الشرق فيجب علينا أن نتصرف كشرقيين.. وإذا
كنا في إنجلترا.. نستطيع أن نتصرف كإنجليز.

وأمام ابنتي أشعر بالحيرة.

هل أجبرها على قطع علاقتها بهذا الشاب برغم تصريحاتها
المتكررة بأنها تحبه جداً جداً.

هل أسمح لها بالعلاقة وإلى أي مدى.. خاصة وأني أقرأ في
الصحف عن محتالين يغترون بالفتيات ويدعون أنهم أطباء
ومحامون ومهندسون.

كيف أحمي ابنتي؟

سيدي.. أنا لا أعرف تماماً ماذا أفعل وكيف اتصرف.

أنا أمر بأزمة نفسية يمكن أن تكون هي مرحلة التطور من

القديم إلى الحديث ويمكن أن تكون بداية العودة إلى القديم.. أو
الاندفاع إلى الحديث.

وأرجو أن أستمع إلى رأيك في هذه المشكلة.

وأرجو أن تحكم على أساس أن هذه البنت هي ابنتك، وإنك
أنت الأب الذى تمر بهذه الأزمة.

المهندس

م.أ.م

* * *

لا شك أن مشكلتك دقيقة جداً.. خاصة وأنت أب متحرر
تتمتع بأراء متحررة روجت لها وقمت بالدعوة طول حياتك إلى
هذا التحرر بالقوة والمثل والتوجيه.. وأنت نفسك استمتعت بهذه
الحرية بغير حدود.

وأنت بعد هذا تطرح المشكلة بعد أن خطت خطوات بعيدة.
فهذه المقابلات التى تكررت بلا اعتراض قد اكتسبت شرعية،
فهذه المقابلات توطدت إلى حب «جداً جداً» كما تقول ابنتك،
فالمنع الآن بالإكراه والعنف غير منطقي فضلاً عن أنه غير مجد..
فأمام الأمر والضغط يمكن للفتاة أن تقول لك.. لن أقابله.. ثم
تقابله فى الخفاء.. وهذا أسوأ.

ولإحكام الرقابة مستحيل فضلاً عن أنه سخيف وغير مقبول
من أب مثلك.

وكل ما يمكن عمله الآن هو أن تحاول ادخال هذا الشاب في العائلة لاضفاء مزيد من الشرعية والاحترام على هذه العلاقة ولتكون طرفاً ثالثاً يشهد ما يجري وتستطيع التعرف على هذا الشاب، وتلمس محاسنه، وعيوبه، ودخائله. ونواياه.

رأى أن تدعوه على مائدتك، وأن تفتح له بيتك ليرتد عليه كابن عزيز.. ومثل هذا الاحترام الذى سوف تسبغه عليه سوف يجعله يخجل ويتردد ألف مرة قبل أن يبتذل حبه لابنتك.

والعلاقة بصورتها الجديدة سوف تجعلك فى مكان النصح والتوجيه. إنها أسلم مكان تمسك منه الدفة لتوجه السفينة إلى بر الأمان.. وهذا ما كنت أفعله لو كنت فى مكانك.

ونحن فى بيئة شرقية لكن بناتنا يجلسن مع الشباب جنباً إلى جنب. فى مدرجات الجامعة.. وإعلانات السينما فى الشوارع حافلة بصور شبه عارية، والتلفزيون يعرض علينا رقصات مكشوفة، والمجلات تروى لنا حكايات مكشوفة.

لم تعد بيتنا شرقية وهى تتطور بسرعة نحو شكل غربي. والعلاقات التى نخشاها على الجيل الجديد سوف تحدث رغماً عنا، ولكن فى الخفاء وراء العيون وفى سرية بذئثة وخصوصية مبتذلة وسوف تتحول إلى آباء مخدوعين نتكلم عن الشرف المصون وبناتنا تسوى الهوايل.

لابد من مواجهة المشكلة في صراحة.
وصداقة في النور وفي جو عائلي وتعارف يشترك فيه جميع
الأطراف سوف يكون فيها عنصر الاحترام الذي سوف يصونها
من الابتذال.

وهي أفضل ألف مرة من علاقات الظلام.
والحارس الذي يصون البنت هو القيم التي نزرعها فيها
وليس عفريت بابا ولا عفريت ماما.
يجب أن نقيم منها حارسة على نفسها.. وهذا دور التربية
وليس من مهمات البوليس المنزلي.
والحرية خطر ولكن سلب الحرية وتخطيم شخصية البنت
أخطر لأنه سوف يسلبها احترامها لنفسها وثقتها في نفسها وهي
وسائل خلاصها.
ولا بد لنا أن نختار.
وعلينا أن نختار عصرنا بكل أخطاره حتى لا نعزل عنه ونفقد
الفعل والتأثير عليه.

غرام أفلاطون في السويد

أنت لا شك سوف تضحك.

شاب يكتب عن غرام أفلاطوني في السويد.. بلاد المرح والجمال والمتعة المتاحة والعلاقات المتحررة من كل عرف وتقليد ومن كل قيد وشرط حيث الحب رخصة كافية ليمنح كل جنس نفسه للآخر بدون تحفظ.

في جنة المحوريات حيث كل لذة حلال بلال.. وحيث الحرية الجنسية حق يمارسه الأولاد والبنات بلا ندم.. ودون أن يعتبر ما يفعله أى منهم منافياً لللياقة والأصول والآداب.

من هذه الجنة يكتب لك شاب عن غرام أفلاطوني!.. لا شك أنك سوف تضحك.. ولك الحق.. أنا أيضاً أعجب لحالى مثلك ولا أعرف لنفسى دواء.

وأبدأ لك الحكاية من أولها.

أنا شاب مثالى طالب بيكالوريوس هندسة متفوق دائماً.. حسن المظهر.. ميسور جداً من الناحية المالية.

سافرت إلى السويد مرتين.

في المرة الأولى كنت صغيراً رومانتيكياً في العشرين.. حالم العينين.. شاعرياً.. شديد النقاء.

التقيت بها في أقصى الشمال، طويلة فارعة بيضاء كالثلج،
متفتحة كالوردة، ندية كفاكهة الصباح، شعرها كسنابل القمح
ذهبي فاتح مسترسل في خصلات كثيفة.
كم أحببتها.

كنا نجلس بالساعات نتكلم.

وفي كل لحظة أجد عندها موضوعاً جديداً.

كانت تقرأ كل شيء.. وتفهم في كل شيء.. المسرح.. القصة..
الموسيقى.. النحت.. حتى الهندسة.. والسياسة.. والدين..
والفلسفة.

وكنت أجلس عند قدميها كالعابد الزاهد.. لا أطمع في شيء
سوى أن يمتد بنا الأجل إلى أبد لا ينتهى.
لمست يديها وعانقتها وقبلتها.. ولا أكثر.
وأصارك الحقيقة لم أكن أفكر في أكثر.

كان وجودها معي فيضاً من النعمة بالنسبة لى.. وكأساً مترعة
ترويني وتسكرني فلم أكن أفكر في المزيد.. وإنما كنت أتمنى أن
يتوقف الزمن عند لحظات لقائنا الرائعة.. فلم يكن في وسع الزمن

ولا فى وسع المستقبل - أى مستقبل - أن يكون لديه أجمل من تلك اللحظات.

ومهما حاولت أن أصف لك فلن أستطيع أن أنقل إليك حقيقة إحساسى، فهناك شىء.. شىء فى أعماق مشاعرنا ليس له كلام يشرحه ولا توجد له حروف ولا كلمات يمكن أن تدل عليه.

وانتهى ذلك الصيف وعدت إلى بلدى وقد ازددت إغراقاً فى الرومانتيكية، وقد تلون كل شىء أمامى بلون شفاف وردى. ثم انقطعت رسائلها.. وأرسلت لى إحدى صديقاتها تقول إنها مريضة بالمستشفى.

وطال مرضها.. ولم تكتب لى! وكنت أشعر أن حياى كلها قد تأجلت إلى حين أعود فألتقى بها أو أموت.

ومرت سنتان لم أشعر لهما بطعم ولا معنى.

كنت أتحرك وأنا غائب الوعى تقريباً.

وفى أول صيف كنت أطيّر إلى السويد.

وما كدت أضع قدمى على أرض السويد حتى أسرعرت إليها.

كانت قد شفيت من مرضها ولكن جسمها نحل وصارت كما نقول نحن كالبوصة ولكن نحوها زادها نقاءً وشفافية وكأنها أصبحت خيالاً.

ونظرت إلى في استغراب وهي تمسح عن عينيها وكأنها
تذكرني وقالت لي بصراحتها المعهودة.. أنها لطول ما عانت في
المستشفى من عذاب وآلام قد نسيته.. نعم.. نسيته.
وصدقتها.. فهي لم تكذب، فلم تكن بيننا موثيق ولا عهد
ولا اتفاق على أى شيء.

حسناً.. لقد جاءت النهاية إذن.

وما مضى أصبح من المستحيل بعته.

كم شعرت بالوحدة بعد هذا اللقاء.

وكم استبدت بي الوحدة بعد ذلك.

رحت أنشد السلوى في علاقة أخرى.. وأخرى.. وأخرى..
وفي هذه المرة كانت علاقتي تصل إلى كامل غاياتها.. لم أتغف
عن شيء.. غرقت في إشباع مستمر.. أمتع حواسي بكل شيء..
وفي تلك البلاد كل شيء ممكن وما أيسر أن يصل الحب إلى
الفراش.

وكلهن بيضاوات كالثلج.. شقراوات كأنهن متوجات بالذهب
موردات الخدود.. دمويات الشفاه.. فيهن حيوية وصحة وشباب
وكانهن فاكهة طازجة مليئة بالعصير.. وكلهن محدثات لبقات
ذوات ثقافة واطلاع وذوق فني رفيع.

لم تكن فيهن واحدة أقل جمالا ولا أقل رقة من صاحبتى
الأولى.

وبعضهن كن أكثر منها جمالا وثقافة.
وقد وجدت في أحضانهن كل ما يرغب فيه شاب.
ولكن مع ذلك لم أرتو أبداً.
ولم أشعر بالسعادة أبداً.
ولم أشعر بالهناء أبداً.
إنما هي وسائل أبدد بها طاقتي حتى يهدنى التعب فأرتقى على
الفراش لأنام.. وأبكي.
نعم كنت أبكي كالطفل اليتيم المسكين.
حاولت أن أنسى.. ولكن طيفها ظل يلاحقني.. ولحظات النقاء
والشعر والحلم التي عشتها معها كانت أقوى من كل الواقع
المتع الذي أغرقت نفسي فيه.
عدت إلى بلدي وحاولت أن أندمج في جو بلدي الجديد،
وحاولت أن أجدد عواطفى الميتة بعلاقات مع بنات بلدي.
ولكن كنت في كل مرة أشعر أن بنات بلدي تافهات.. فهن
بعد المقابلة الثالثة والرابعة يفقدن القدرة على الحديث.. ثم
لا يعود لديهن شيء يقلنه ويكتفين بالانصات.. أو الانشغال
بشيء.. أو يتفوهن بكلام تافه.

لى فتاة قريبتى عزيزة على.. فكرت في أن أخطبها.. ولكنى لم
أجد في نفسى القوة على أن أقدم على هذه الخطوبة، فأنا أقارن

بينها في كل لحظة وبين حبيتي الأولى. وأشعر أنى أظلمها وأظلم
نفسى لو ادعيت أنى أحبها كما أحب الأولى.

أنا مقتنع تماماً بأن بنت بلدى ستكون زوجة أحسن لى
وستكون أكثر وفاء وإخلاصاً ولياقة من أى أجنبية.. ولكن ماذا
أفعل فى قلبى وماذا أفعل لعقلى الذى يريد أن يستمتع ببنت
تتذوق الثقافة والمعرفة والفن.

لماذا لا تقرأ بناتنا الكتب؟؟

لماذا لا يتعلمن؟

لماذا لا يتحدثن كما تتحدث بنات الشمال؟

أصارك الحقيقة أنا ألعن اليوم الذى سافرت فيه إلى
الشمال.. فقد أفسدت هذه السفيرة على طعم حباتى وغيرت
القيم والألوان أمام عيني..

هل أنا أطلب الكثير؟

هل أنا أطلب المستحيل؟

هل أعيش فى وهم جسمه خيالى وأنا فى مستهل ربيعى.

أفكر باستمرار.. هل يتحرك قلبى فيحب من جديد.

وهل سيكتب على أن أتزوج من لا تفهمنى؟

ألا يتخرج فى مصر جيل من البنات المثققات الواعيات
يتحدثن بهذه اللباقة التى تتحدث بها بنات الشمال.

أنا لا أنتقد بنات بلدى، فأنا أيضًا أعلم أنى أولى بالنقد أكثر
منهن ولكنى مسكين.. صدقنى.. مسكين بعقلى وعاطفتى.
أحمد

هذا هو الحب الأول وأوهامه مرة أخرى.
وأنت متفق معى على أن فتاة أحلامك لم تكن أجمل من
قابلت.. فأنت تقول إنك قابلت بعدها من بنات وطنها من هن
أجمل وأكثر ثقافة منها، وأنت وجدت فى أحضانهن كل ما يرغب
فيه الشاب. وأنت معترف أن بنات وطنك أكثر لياقة وأكثر
إخلاصا وأكثر وفاء.

إنه إذن وهم الانطلاقة الأولى.. ونشوة القبلة الأولى..
وخيالات الحب الأول ورسوماته الحادة فى الذهن.

وحكاية الأفلاطونية هذه كانت فى رأسك أنت وحدك.. كانت
تقاليدك أنت والعفة التى حملتها إلى الشمال من بيتك.. أما
صاحبك التى كنت تجلس كالزاهد عند قدميها فهى لاشك كانت
تفكر بطريقة أخرى وبتقاليد أخرى، وكانت لاشك تعجب لحال
هذا الولد الخجول الذى لا يعضى فى حبه معها كما يجب أن يعضى
كل حب تعرفه.

ولا شك أن حبك من جهة نظرهما.. كان حبا ناقصا.. ولهذا
ما لبث أن طواه النسيان.

أما حكاية بياضها الذى فى نقاء الثلج وملانكيتها وأشعارها وإطلاعها الواسع فى الفن والفلسفة، فأنت بنفسك اكتشفت أن هذا حال كل بنات الشمال.. وأن هذه الثقافة والنقاء والملانكية لم تكن تمنع من انتقال الغرام إلى الفراش وإطفاء النور فى كل حالة.

كانت أفلاطونيتك إذن أفلاطونية من جانب واحد.
وكانت من وجهة نظرها شذوذاً.

والرسم الذى رسمته لها فى خيالك كان وهماً صورته لك نشأتك وتقاليديك.. وهم لا وجود له فى الواقع.. فهى بنت متحللة مثل أى بنت متحللة أخرى من بنات الشمال.

ولو أن قريبتك التى تفكر فى خطوبتها تصرف بهذه الحرية وذات نصف هذه المتع التى تتمرغ فيها بنت الشمال لما قبلتها زوجة حتى ولو كانت لها عقلية شكسبير ولباقة فولتير.

وصدقنى أن هذا الشيء الذى تتصوره عيباً فى بناتنا.. هو ميزة عظيمة فيهن كزوجات.. فالحديث قد يحلو فى جلسة غرام ولكنه فى زواج وفى حياة مستمرة بين زوجين يصبح ثرثرة لا تطاق. والزوجة القليلة الكلام نعمة من عند الله.

أما الزوجة التى تحادثك كل يوم وكأنها ناقدة وتحلل وتعلق وتعقب على كل كلمة تقولها.. فإنها مصيبة.

وهناك اعتبار أهم من كل هذه الاعتبارات، هو وحدة التقاليد
وانسجام العادات.. وهى راحة لن تشعر بها إلا إذا تزوجت من
بيئتك ومن وطنك.. وهى وحدة مفقودة تمامًا فى أى زواج أو حب
بين مصرى شرقى وسويدية شمالية.. وما عدا ذلك أوهام.. مهما
خيل إليك أنه حقيقة.

أما أنك ستحب ثانية.. فهو أمر مؤكد.. فأنت ستحب حباً
ثانياً وسيكون حباً أعمق.

وستنسى صاحبك وستتحول ذكراها إلى كارت بوستال جميل
غير ضار.. بين الكروت التى جمعتها فى سفرياتك.

صرخة إلى الذى يرحم

لماذا أكتب لك دون سابق معرفة؟
هل ترانى أطمع فى أن أجد لديك حلا.. لا أظن.. فلا حل
هناك؟

أترانى ضقت ذرعاً بصمتى الطويل فأردت أن أخفف عن
نفسى بالكلام؟.. ربما.

شاب فى الثالثة والثلاثين.. فى تلك السن المفرحة التى يقول
فيها الرجل.. لقد أحببت.. لقد تزوجت.. لقد أنجبت طفلاً.. لقد
حققت نجاحاً فى عملى.. لقد.. لقد..

سن العمل والحب المخاطرة.. سن التضج والإقبال على الحياة
بملء القلب.

أما عندى فهى سن الانكسار.. سن اليأس.. السن التى
أغلقت فيها كل الأبواب وكل المنافذ التى يدخل منها النور.
ولأبداً من البداية.

البداية المشرقة.. وأنا فى المدرسة الابتدائية آخذ الجوائز
الأولى فى الرياضة وأنجح كل سنة بتفوق.. وينظر إلى زملائى فى

حسد.. وأنظر أنا إلى نفسى فى زهو وافتخار.

وفى المدرسة الثانوية وأنا أقفز من سنة إلى سنة وأتصدر
الفصول وأخذ التوجيهية بمجموع عظيم يؤهلنى لكى أختار
وأخطط لمستقبلى كما أشاء.

ولكن القدر كان قد خطط لى بالفعل واختار لى مصرى
وكتب لى قسمتى دون أن ينتظر إمضائى.

إن الحرية التى تكتب عنها دائماً فى كتبك خرافة.

ولعلك تكتب عنها لتطمئن نفسك.. فالحياة بدون «وهم
حرية» وأقول «وهم حرية».. شىء غير مستطاع.. أقول هذا مع
إعجابى الشديد بكل ما تكتب.. ولكن ما رأيك فى هذا الذى
حدث لى بعد ذلك وكيف تفسره.. مرض بطنى خبيث راح يزحف على
كياانى كله فى بطنه ولكن فى إصرار.. يتفاقم يوماً بعد يوم.. ويسير
من سيئ إلى أسوأ برغم طب الأطباء من كل لون ومن كل بلد.
ضعف خبيث يلم بالعضلات.. وعضلات الحركة بالذات.. يبدأ
خفيفاً بسيطاً ثم يتفاقم.

أصحو فى الصباح فما أكاد أغسل وجهى وألبس ثيابى حتى
أشعر أنى قمت بمجهود عنيف وأن عضلاتى بدأت تتخاذل، وكأنى
قضيت ساعات أرفع فيها الأثقال.. وأتحامل على نفسى وأنزل
السلم فأشعر أنى أجز نفسى جراً.

وما يكاد النهار ينتهى حتى أرتقى فى فراشى وكأنى كنت

أجری طوال الوقت مع أنى لم أقم بمجهود ذى بال.
ويومًا بعد يوم تتفاقم الحالة.. فأشعر بأنى فى حاجة إلى من
يعاوننى فيصب على رأسى الماء ويناولنى البشكير ويلبسنى الجاكته.
ثم أشعر أنى فى حاجة إلى تاكسى فى مشوار لا يزيد عن محطة
ترام.

ثم لا أعود أستطيع الوقوف انتظارًا للأتوبيس.. عضلاتى
لا تقوى على حملى.. ساقى تتخذلانى وتتهاويان تحتى فأشعر بأنى
فى حاجة إلى رفيق أستند عليه.

ولكنى لا أكاد أتشبث بهذا الرفيق حتى تكل ذراعى وينخلع
كتفى.. وتتهاوى ذراعى الاثنان أيضًا.. ثم أتهاوى مثل غرارة
من القش وكأنى فقدت أطرافى تمامًا.

ثم يتفاقم الأمر ويستلمنى العجز من الصباح فلا أعود قادرا
على مبارحة الفراش.. أطرافى تتحرك فلا تكاد تقوى على حملى.
ثم يتفاقم الأمر أكثر فلا أعود أستطيع أن أجذب الغطاء على
جسدى فى ليلة باردة فأظل أرتجف.. والبيت كله نائم.. لا أملك
سوى انتظار الصباح.. أو انتظار معجزة أن يصحو أحدهم
ويدخل على المصادفة فيجذب على جسدى الغطاء أو يغلق
النافذه التى تركت مواربة.. وأنا أخجل أن أوقظهم بصياحى فهم
يقضون النهار فى خدمتى وماذا فى وسعهم أكثر من ذلك.
وقد اكتشفت حقيقة هامة.. أن الإنسان ثقيل، وهو يصبح

ثقيلاً جداً حينما يمرض ويفقد القدرة على خدمة نفسه.. والإنسان السليم قد يتحمس مرة للمساعدة.. وقد يشفق مرات.. وقد يعطف يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر.. ولكن عواطفه سوف تتعب.. وصبره سوف ينفد، وخاصة حينما يشعر أنه لا أمل ولا فائدة ولا نهاية.. وحينئذ الويل للمريض من السليم.. إنه سيتحول بالنسبة له إلى رفيق كئيب.. وضعيف ثقيل.. وحمل كرهه.. وكابوس، إلى شيء مثل الصرصار في رواية كافكا يتمنى له الكل أن يقع في البالوعة ويموت وحينما يتباطأ في موته ترى الكل يتسابقون إلى كنسه بمكنسة والقائه في البالوعة.

وأنا أحكى لك عن الناس حولي.. وعذابهم.

أما عذابي أنا فأنت يمكن أن تتصوره..

شاب في العشرين ينحدر ببطء واستمرار إلى هوة فظيعة من العجز.. ويظل يتدهور شيئاً فشيئاً حتى يرتقى في فراشه لا يبرحه ولا يستطيع حتى أن يغير الجنب الذي ينام عليه.. والأطباء يدخلون ويخرجون ويضعون السماعات ويطلقون عضلاتي بمطارقهم ويقلبونني على كل جنب ثم يتجهمون ويقولون في نبرات مثقلة.. إنه ليس شللاً.

ليس شللاً؟.. الحمد لله.. أقول أنا في نفسي.. ولكنهم يتجهمون فالشلل يشفى.. وهناك ألف طريقة وطريقة لعلاج الشلل وما أعانى منه ليس شللاً إنه «ميوباثي» حالة غامضة

تضرر فيها العضلات وتفقد القدرة على أداء وظائفها لغير سبب معروف حالة لا علاج لها ولا أمل فيها.. والمستقبل فيها أن تتدهور أكثر وأكثر.. ولا تتوقف إلا بالموت.. بعد عمر طويل.. أو عذاب طويل على الأصح.

إذن لابد أن أعد نفسي لمواجهة المستحيل ولقبول حياة كالموت.

أنا ابن العشرين.

وأحاول أن أخلق لنفسى عالماً خاصاً أبنيه بخيالى من الكتب والروايات التى أقرؤها.

الكتب.. كل أنواع الكتب.. المترجمة والمؤلفة.. الحديثة والقديمة.. الروايات والبحوث والقصص والدراسات.. أقرأ، وأقرأ لأقتل الوقت قبل أن يقتلنى.. وأقرأ لأنسى نفسى فى خيالات الآخرين.. حيلة العاجز لمحاربة الضجر ومغالبة الآلام.. والمسألة فى النهاية كما يقول الإمام الشافعى حينما قال له أحدهم.. لقد حفظ فلان البخارى فقال الإمام.. لقد زادت نسخة فى البلد. نعم إن كل ما فى الحكاية.. أنها نسخة تزيد.. من كل كتاب أقرؤه.

ثم لا شىء أكثر.

الوقت يمضى.. شكراً للمؤلفين يشغلوننى عن نفسى بخيالاتهم. سنها خمس وعشرون سنة.

سنى ثلاثون سنة.

انها بنت عمى التى كنت أبادها وأنا طالب نظرات الحب..
وكانت هى تبادلى العشم.. ظلت تنتظر سنة بعد سنة.. ولكن
كما قلت العواطف تتعب.. وهى تذبل كما تذبل أوراق الشجر.
حينها لا يروىها الأمل.. وهى تجف.. وهى تسقط كما تسقط أوراق
الخريف.

وبنت عمى تزوج.

وهذا أمر طبيعى بالنسبة لها.

ولكن بالنسبة لى.. قطعة أخرى من حياتى تؤخذ منى..
كذراعى وساقى التى لم أعد أملكها.
لست أنايا لأتصور أنها يمكن أن تنتظر.. وكيف تنتظر..
وتنتظر من.. وتنتظر ماذا؟!..

ولست غيباً لأطالبها بالوفاء لعهد لا وجود له ولرجل
لا وجود له.

ولكنى مع ذلك.. أنا بشر.

نعم.. أنا بشر.

وهناك أنواع من الحزن هى اللا معقول بعينه.

وحزنى على حبنى الذى راح هو حزن من هذا اللا معقول..
أغاليه بالإغراق فى الخيال.. بالابتسام.. بالتبلىد للقدر.. كلما شدد

من ضرباته شددت من عنادى وكأنى أنطحه كما ينطحنى.

وأسمع بأذنى التعليقات من وراء ظهرى.

إنه يتسهم.. إنه فقد الشعور والإحساس كما فقد القدرة على الحركة.

والله وحده يعلم كم أشعر.. وكم أتألم.

الله يعلم أنه التجلد لا التبلد.

سؤال واحد يحيرنى.

أسأله لنفسى ألف مرة كل يوم.. حتى ليكاد عقلى ينفجر.

لماذا اختارنى الله لهذه المحرقة التى قيدنى بها ليل نهار. لماذا

اختارنى أنا بالذات دون بقية الناس.. هل ترانى اقترفت ذنباً

دون أن أشعر؟ لا أظن.. فقد كنت متديناً شديد التمسك بالإيمان

أصلى وأصوم وأحب للآخرين ما أحب لنفسى.. وحتى ولو على

أبعد الفروض أنى ارتكبت ذنباً فأقصى عقوبة نعرفها نحن قساة

القلوب هى السجن المؤبد خمس وعشرون سنة أو الإعدام وقد

استفدت الأولى وتمنيت ومازلت أتمنى أن أنال الثانية لأريح

وأستريح.

والسجن والإعدام دستور القساة الخطاة ذوى العقول

القاصرة والعدالة العاجزة أمثالنا نحن البشر.. إنه قانوننا نحن

الناقصين.

وحتى فى قانوننا هناك العفو والتنازل عن ربع المدة

والاستئناف وإيقاف التنفيذ وقبول التعويض بدلا من السجن.

فما بال ربنا، العظيم في رحمته، العظيم في قانونه.

لقد أجمعت كل الأديان على أنه الرحمن التواب الغفور.

لماذا لا يرحمنى.

أنا أصرخ.

وهو يسمعنى.

ولكنى مازلت أتلوى على المحرقة.. وحالى يتدهور يوماً بعد

يوم وساعة بعد ساعة. واليقين الوحيد الذى أعيش فيه هو يقين

العذاب والعذاب أكثر وأكثر.

هل تفهمنى.

سوف تعزبنى بأن لى الجنة بعد الموت.. ولكن من يدري بأنى

داخل جنة.

أنت تفهمنى ولا شك.

أنا أعلم أنك الوحيد الذى تفهمنى.. أنت الطبيب الأديب..

فماذا تقول؟

ألا تزال تؤمن بأنى حر؟

عادل

أنت فى بلاء عظيم.. وأى كلمة عزاء هى كلمة مبتذلة بالنسبة

لما تعانیه.. فقد دفعك عذابك وصبرك وجلدك إلى أشرف مكان
فلم تعد بالإنسان القليل الخبرة الذى تقال له النصيحة وإنما أنت
بما تعانیه نبع حكمة وكنز معرفة.

وما يشيره عذابك من أسئلة.. هى أسئلة لا جواب عليها.
هى أسئلة تحيرنى كما تحيرك.. كما تحير كل من حاول أن
يفكر فى نزاهة وصدق.

وطالما سألت نفسى وأنا أرى الأرض غارقة فى المظالم سابعة
فى الدم منذ أن بدأ تاريخها.. وأنا أرى بشاعة الآلام على أسرة
المرضى والمحتضرين.

وأنا أقف مشدوهاً أمام طفل مشلول يبكى: يا إلهى وماذا فعل
هذا الطفل أيضاً ليتألم.

وأنا أرى الأوبئة تحصد كل شيء حتى الأجنة فى بطون
الأمهات.

وأنا أبحث عن الرحمة فلا أجدها.

وبرغم كل شيء.. فأنا لم أشك أبداً فى عدل الله ولا فى
حكيمته.. ولكن حكيمته أحياناً تخفى على العقول.

ويبدو الأمر غير مفهوم بالمرة..

يبدو أنه اللا معقول بعينه.

ولا أحد ممن فكروا فى الشر قد وجد له تفسيراً واحداً
معقولاً..

إنه عقاب.. عقاب لمن؟.. والأطفال أول من يذهب من
ضحايه أنا لا أعرف.

ولكنى أعرف أنك حر.. فأنت لا تنهار تحت الـردم.. وإنما أنت
تصرخ.. وكما تقول فى خطاباتك أنت تغالب الغلب بالابتسام،
وكلما شدد القدر من ضرباته كلما شددت من عنادك وكأنك تنطحه
كما ينطحك.

أنت موجود إذن وإرادتك المتمردة تثبت معدنها الصلب الذى
لا يلين فى مواجهة تلك المطرقة الهائلة التى تنزل عليك بلا هوادة.
والحرية ليست فقط حريتنا فى أن نتحرك.. وإنما قدرتنا فى أن
نحتفظ بعزائمننا صلبة مشرعة فى مواجهة عوامل الهوان والإذلال
هى دليل حرية.. أى حرية.

ولا أحد منا يملك الحرية المطلقة.. وإنما هى دائماً حرية نسبية
فى مواجهة طاحونة القدر الدوار.

وهى حرية ضئيلة ولكننا سنصل بها إلى القمر وسنغزو النجوم
وبين يوم وليلة سوف يكتشف طبيب مخلص الدواء الشافى لمرضك.
وكما اكتشف دواء للسلى وعقار حاسم للتيفود ولقاح للحصبة
وكانت كلها أمراضاً بلا دواء.. فلا بد أن يكتشف دواء للميوياثى
إنه ليس أملاً خالياً.. ولكنه أمل متواضع فى حدود العلم والحكمة.
ابتسم صابراً، وثق أن هناك ألوفا من العلماء لا تعرفهم
يفكرون كل يوم من أجلك.

وتأكد أن هناك حكمة لعذابك ولكنها محجوبة عنك وعنا،
وتأكد أن الله يخفى لك أجرًا عظيمًا فهو الرحيم الذي تتجاوز
رحمته رحمة كل الرحماء.

حيوان

سیدی..

هل خلت الدنيا من المبادئ.. هل تدهورت الأخلاق..
وفسدت القيم.

أكتب لك الآن وأنا أبكى.

وسوف أبدأ معك من البداية.

نشأت في أسرة كبيرة العدد متيسرة الحال.. أحببت أمي وأبي
وإخوتي وكنت أنظر إليهم على أنهم مثل عليا.. إلى أن كان يوم
جاءت فيه خالتي لزيارتنا فطردها أمي وعلمت فيما بعد أنه كانت
هناك علاقة بين أبي وخالتي.. أبي الذي اعتبرته أكمل رجل في
الدنيا.. وخالتي السيدة الفاضلة المحترمة زوجة الرجل الكامل
كانت صدمة جعلت كل القيم تهتز أمامي وبدأت أفتح عيني لأرى
كل شيء حولى.

ورأيت العجب.

رأيت أخى الأكبر يقبل الخادمة في المطبخ.

ورأيت زوجته تغازل أخاه الأصغر.

وضبطت خطاباً غرامياً في حقبة أختي المتزوجة.
حتى أُمى الشريفة العفيفة رأيتها تقبل هدايا من أصدقاء
أولادها وتحفظ بذكارات لهم.. وحينما فاتحتها في الأمر قالت لي
إنها لا مانع عندها من أن تضحك على أى رجل عبيط وتدعه
يجرى وراءها ما دام لا ينال منها شيئاً، وإن ضميرها لا يؤنبها
ما دامت لا تسلم نفسها لأحد.. وانهارت أعصابي.. وقاطعت
العائلة كلها.. وتبدلت نظرتي إلى الدنيا وإلى الرجال والنساء..
فأصبحت نظرة احتقار وازدراء إلى كل رجل وكل امرأة..
ورفضت كل من تقدموا لخطبتي.. وسيطر على الخوف فأصبحت
أبتجنب الانفراد بأى رجل في أى مكان حتى ولو كان أختي،
وأرتجف اشمئزاً من النظرات التي تنفرسني في الطريق.

كم تعذبت وكم تألمت بسبب هذه المخاوف.. إلى أن كان يوم
منذ عام تقريباً وكنت قد تخرجت لتوى من الجامعة والتحقت
بإحدى الشركات. جاء إلى القاهرة رجل أمريكي استضافه أختي
في البيت عدة أيام، لأنه كان قد تعرف به في أثناء وجوده في
أمريكا.

وفرّج الجميع به فهو من مظاهر المدنية التي يتشدقون بها.
ورأيت الرجل.

ولأول مرة في حياتي نسيت خوفاً من الرجال.. ونسيت كل
شئ إلا أنى أمام إنسان مهذب.. رجل يختلف تماماً عن كل

الرجال الذين عرفتهم.. ينظر في عيني عندما يحدثنى ولا ينظر إلى صدرى وساقى.. مثقف.. عاقل.. مهذب، وتحرك فى قلبى إحساس حلو رائع.

وذات يوم اعترف لى بحبه وعرض على الزواج.. وقال إننا سنتقاسم التضحيات.. هو يضحى بدينه وأنا أضحى ببلدى وأسافر معه، فاتحت أُمى بالحكاية وصارحتها بأنى أحبه ولا أستطيع أن أعيش يوماً واحداً بدونه.. بكت وتوسلت.. ثم أذعنت للأمر الواقع.. وكذلك الجميع.. وباركوا حبنا.

وفى أيام كنا قد استكملنا الإجراءات، وبعد ساعات كنا نحلق فوق السحاب طائرين إلى أمريكا زوجين سعيدين.. وكنت أمسك بيده وآلاف الصور والأخيلة الحبيبة الأليفة تمر بذهنى.. سينما روكسى وإسكندرية وميامى وعم عبده البواب وذكريات الطفولة.. وآلاف الأشياء الصغيرة التى كانت فى الظلام ثم غمرها النور فجأة.

وحينما نزلت الطائرة على أرض أمريكا رأيت نفسى فجأة بين وجوه غريبة.. والتف أصدقاؤه وأقاربه حولى.. وشعرت بوحدة ووحشة.. وتشبثت بيده بشدة ليحمينى من هذا الإحساس الغامر بالغربة.

ثم بدأت المفاجآت..

اكتشفت أنه أعلن إسلامه كذباً ورياءً ليتزوج بى فقد عاد من

أول يوم إلى التردد على الكنيسة، وأصر على أن يصحبني معه فرفضت، وكانت المفاجأة الثانية هي السهر والشرب والرقص.. كل ليلة يصر على أن يصحبني معه في كل رقص ويقدمني لأصدقائه.. وكل واحد يتقدم ومع المراقبة ملاطفة.. ثم ما هو أكثر من الملاطفة.. وكأس أخرى في صحة سمراء النيل.. رجال كثيرون كلهم سكارى وروائحهم كريهة، وكل واحد معه زوجته وكل واحد يرقص مع زوجة الآخر ويلاطفها ويقبلها.. ويختل بها في ركن.. وفي نواد ليلية خاصة يتم تبادل الزوجات والأزواج في حرية أكثر.. حيث يختل كل اثنين في غرفة برضاء الجميع وباتفاقهم على اعتبار أن هذا اللقاء الأسبوعي ينعش الحواس ويعالج الملل. هذا غير الشذوذ الجنسي بين الرجال.. والتفنن في القذارة وفي الدعارة من كل نوع.

وطبعاً رفضت هذه السهرات.. رفضت مراقبة أى رجل غير زوجي.. ورفضت الأنخاب المتتالية في صحتي.. وتوسلت إلى زوجي أن يتركني وحدي في البيت ويسهر كما يشاء.. وطبعاً تشاجر معي وقال عني رجعية ومعقدة. ثم أصبح يسهر وحده ثم اكتشفت أنه أصبح يسهر مع شقراء أمريكية متزوجة أخلاقها على شاكلته.. واجهيه بالحقيقة فضحك قائلاً.. ولم لا.. إنها على الأقل تفهمني.

وأصبحت لا أراه إلا لماما ولم أعد أطيق حياة الغربية والذل

في بلد غريبة وطلبت منه أن يطلقني.. فبادر إلى تطليقي وبدون تردد.. وحجز لي تذكرة على أول طائرة.. ولم يفكر حتى في توديعي.

وعدت إلى بلدي ذليلة منكسرة واستقبلتني أمي استقبالا هون على الأمر.

ولكني لم أستطع الحياة.. وحاولت الانتحار مرتين وفي كل مرة أنقذوني.. وفي كل مرة كنت أستيقظ لأجد أمي تبكي وتتوسل لم فعلت هذا.

ماذا أقول لها؟

هل أقول إنني صدمت فيها وفي أبي وفي إخوتي.. وفي زوجي وفي الدنيا كلها.. وإنه لم تعد لي حياة في هذا العالم الذي خلا من القيم.

أغلق على باب غرفتي.. وأبكي.. وأشعر أنه لا يوجد حل لأمثالي سوى الموت.

عرض على أخي أن أعود إلى العمل خاصة وقد أصبحت أتقن اللغة الإنجليزية.. ولكني لا أريد لا أريد أن أرى أحدا.. فقدت الثقة بكل شيء وبكل الناس.

سمراء النيل

لابد أن تعودى إلى العمل الآن وفورا وبلا تردد، وتقلعى عن

هذه الفلسفة المراهقة بأن الدنيا فساد في فساد، وأن الحياة شر وقذارة ودعارة ولا أمل فيها. فنحن أحياناً نأكل بيضاً فاسداً ونمرض ولا يعنى هذا أبداً أن كل البيض فاسد. ولا شك أن زواجك بالأمريكي وسفرك إلى أمريكا كان غلطة، ولا شك أن المحيط الذى عشت فيه مع أصدقاء زوجك كان وسطاً داعراً منحلاً.. ولكنك غسلت يدك من هذه الغلطة وهذا الوسط.. وعدت إلى بلدك. ومصر غير أمريكا.

ومهما كانت هناك مبادئ عند بعض الناس فما زال الخير والفضيلة والعفة هى القاعدة عند الأغلبية من الرجال والنساء. والدنيا لسه بخير يا سمراء.

ولو خرجت عن دائرة صلاتك المحدودة وازددت احتكاكاً بالدنيا من خلال عملك، فسوف تجددين الشرف والخلق والرجولة الكاملة عند الكثيرين.

لا تدفنى أملك ولا تضعى حياتك لأنك ضببت خطاباً غرامياً فى حقبة أختك، أو لأنك رأيت أمك تقبل هدايا وتذكارات من أصدقاء أولادها، أو لأنك سمعت أن أباك كان على علاقة بخالتك كل هذه مسائل تافهة.. وكل واحد له عالمه الخاص وله سقطاته وله ضعفه.. وحينما تتخلى امرأة عن أخلاقياتها فليس معنى هذا أن الأخلاق انتهت والعالم انتهى.

والحياة بحر أنت مازلت على شطآنه.

وأحياناً لا بد لنا أن نخوض الأحوال والرمال لنصل إلى اللؤلؤ
والمحار والمياه الصافية والأعماق الشفافة.
ورسالتك وعذابك وآلامك قالت لى إنك إنسانة عظيمة..
والإنسانة العظيمة لا تنتحر.
وإنما تعمل وتكافح لتصل إلى رجلها العظيم.

الحب الذليل

أنا شاب في الثامنة والعشرين من عمرى تخرجت منذ عامين في الجامعة.. أتمتع بوجه دميم وذكاء نادر كما يقول الجميع. بدأت القصة وأنا في السنة الثانية بالكلية حينما سكنت في الشقة المقابلة أسرة جديدة.. وعندما عدت من الكلية وقفت في البلكونة أتفرج على السكان الجدد وشدت بصرى فتاة في الخامسة عشر ربيعاً فيها جمال أفروديت، وكانت طالبة في الإعدادية في ذلك الوقت.

وفي اليوم التالى تبادلنا الدق والالتهام تحية الصباح.. وكلمة من هنا وكلمة من هناك أصبحتا صديقتين حميمتين كل واحدة تحكى للأخرى أحوالها.. وطبعاً حكى أسمى لجارتها عن نبوغى وتفوقى فقالت أم الفتاة على الفور إنها ترجو أن أعطى ابنتها درساً في الرياضة والعلوم.. وكانت فرصة ذهبية.. بالنسبة لى أن أتعرف على هذا الجمال.

وبدأ أول درس جاد جداً.. وفي الدرس التالى تكلمنا.. وعرفت فيما بعد من الفتاة أن أمها تدفعها دفعاً.. تتيح لنا

الفرص لينفرد بعضنا ببعض طويلا وكنت في ذلك الوقت أتقاضى من الكلية ١٣ جنيتها مكافأة شهرية على نجاحي بتقدير ممتاز من السنة الأولى للسنة الثانية.. وكنت أشتري بنصف هذا المبلغ هدية لتلميذ كل شهر.. وكنت أتعلل بأسباب كاذبة لضياح المبلغ فأقول لأبي إني اشتريت به كتاباً أودفعته خصومات للمعامل نظير ما كسرت من أجهزة.. وكان الرجل الطيب يصدق إذ تعود منى الصديق دائما.. وكانت هذه أول مرة أكذب فيها.

وكنت أدهش حينما أرى الفتاة تلبس ما أعطيها من هدايا بدون خوف من أمها، ثم علمت بعد ذلك أن أمها على علم بكل شيء وأنها تشجعها.

وسارت الحياة طوال السنة الثانية على هذا المنوال ونجحت كالعادة بتقدير ممتاز.. لم يكن حبي يشغلني وإنما كان يشجعني على الطموح والعمل.. كنت أحلم بأن أفوز بجائزة عيد العلم وأكون أول الكلية في البكالوريوس.. وفعلا نجحت مرة أخرى بتقدير امتياز من السنة الثالثة إلى الرابعة.. ونجحت الفتاة في الإعدادية ثم قعدت في البيت انتظاراً لأن أتقدم لخطبتها وكان هذا ما نويته بالفعل حينما أتخرج.

وجاءت السنة الرابعة - أي البكالوريوس - ونجحت بتقدير ممتاز ٩٣٪ في الترم الأول وانهالت على القبلات من الأسرة.. واندجحت في المذاكرة والتحصيل ومقابلة الفتاة في منزلها مرة وفي

منزلنا مرة أخرى وكنت لا أكتفى بالذاكرة والكشاكيل بل كنت ألتهم المراجع حتى أصبحت مثل عود القصب.

وفي يوم مشنوم ليته لم يأت ولم تطلع شمس.. كانت أمي تبحث عن قلم لوالدي.. ففتحت أدراج مكتبي فشمت في أحد الأدراج رائحة عطر جميل فأخذت تعبث بالدرج حتى عثرت على خطابات كثيرة أعطتها لأبي ليقرأها.. وعرف الجميع القصة. ومن تلك اللحظة بدأت المأساة.

منذ ذلك اليوم وأمي تغلق الأبواب والشبابيك بشدة أمام كل من يقف في بلكونة أو نافذة عندهم.. وبالطبع قوبلت هذه الإهانات بأبلغ منها.

وحذرتني أمي من هذا الحب ومن هذه العائلة، ولكن لم أسمع كلامها وتركتها دون أن أنطق بحرف ولم أذاكر كلمة في ذلك اليوم وكان هذا أول يوم في حياتي لا أذاكر فيه.

وفي اليوم التالي شغلت عليها فأرسلت لها خطاباً مع الخادمة فرأيتها تخرج من البلكون لتمزق الخطاب أمامي وتدوسه بقدميها. وأصابني الذهول، ولكني لم أياس فأرسلت لها خطاباً آخر وآخر وآخر وكل واحد يلقي نفس المصير.

وظللت أسهر الليالي أسود الخطابات لتمزقها في الصباح واستمر حالي يتدهور من سيئ إلى أسوأ حتى كنا في أبريل ١٩٦٣ وباق على الامتحان العملي أيام وعلى الامتحان النظري

شهر وأنا لا أذاكر وأسهر أعد النجوم وأسود الخطابات.
ودخلت الامتحان ونجحت بتقدير جيد ٧٠٪ وضاعت جميع
آمالى فى الأولى وجائزة عيد العلم وفى الاشتغال معيدًا بالكلية..
وبكيت كالطفل.. ويومها أرسلت لى الفتاة ورقة صغيرة مكتوب
فيها: أيتها الذكى الطموح الجشع.. لقد تحطمت كل أحلامك على
يدى أعز إنسان لك.. ألا وهى أمك.

وبالطبع لم يكن هذا أسلوبها فأنا أعرف أن كلامها تافه، وأنها
لا تستطيع أن تكتب جملة مفيدة وأن معلوماتها عن السياسة
والعلم والأدب لا تزيد عن معلومات طفل رضيع.

وبعد شهور من الحزن والالم والندم، وبعد أن سحبت أوراقى
من الكلية أعلنت إحدى الشركات عن حاجتها لخريجي علوم
فتقدمنا جميعًا وكنت الأول فى ترتيب الامتحان من خمسمائة
شخص متقدم.

وعادت إلى ثقى وقررت أن أخلص فى عملى فى خدمة الشركة
لأنفوز بتقدير الجميع.

وبعد شهور من التحاقى بالعمل وبالرغم من حداثة عهدى
بمسئولياتى الجديدة إلا أنى فزت بثقة الجميع.

وطلبت من مدير القسم أن يوافق على أن أتقدم للماجستير
فوافق فورًا وأمدنى بمعمل وأجهزة ومواد خام، وأخذت نقطة
بحثى فى موضوع يهم الشركة ويهم مستقبلها.

والآن لعلك تسأل.. أين المشكلة؟

والمشكلة هي الفتاة.. حبي المجنون الذى لا أعرف كيف أتخلص منه.

تصور أنى أنتظرها حتى تخرج فأخرج وراءها كالأبله من شارع إلى شارع ومن زقاق إلى زقاق.. أحاول أن أكلمها فلا أجِد الجِراء.. وإذا وجدت الجِراء وكلمتها نظرت إلى نظرة اشمئزاز من فوق لتحت.. تفعل هذا أمام الناس.. ثم تستدير وتتركنى مبلولا في مكانى.

وكلما مرت الأيام ازدادت اشمئزازًا منى واحتقارًا لى، وازددت أنا حُبًا وملاحقة لها في كل مكان.

حدث منذ أسبوع أن كنت في أحد مطارداتى لها في أتوبيس وفوجئت بأنى أقف وجها لوجه أمام مساعد فى يعمل معى فى الشركة اسمه إبراهيم ولاحظ إبراهيم نظراتى للفتاة فقال فى خبث:

- أنت معجب بالبنيت دى.. دى الجو بتاع سعيد.. وسعيد هذا هو أحد عمال الشركة.

فقلت له وأنا أدارى ارتباكى.

- يا شيخ دى باين عليها بلدى..

ولاحظ إبراهيم نظراتى اللاشعورية المستمرة.. فقال فى

إشفاق..

- الظاهر أن سيادتكم بتحبها قوى.

- بلاش كلام فارغ.

- سعيد قال لى على كل حاجة.. ما عندوش مانع يجيبها لحد عندك ما دمت بتحبها قوى كده.

- أرجوك بلاش الكلام الفارغ ده.

ويومها كتبت عنه تقريراً زى الزفت وكتبت مثله فى زميله سعيد وهددتها بالنقل من المشروع إلى المصانع - من يعمل فى المشروع يتمتع فى العادة بمميزات خاصة - وأصبحت كلما رأيت سعيد وإبراهيم أتذكر الفتاة.

وأدمنت التدخين - أربع علب كل يوم بعد أن كنت لا أقرب سيجارة - واضطربت أحوالى واسودت الحياة فى وجهى وكرهت الناس.

وأنا أكتب لك هذا الخطاب بعد مطاردة استمرت ساعة بين أتوبيسات القاهرة انتهت بأن بصقت فى وجهى.. وهذا طور جديد من أطوار الحب الذى أصبح ذلاً وجعلنى أقل مركزاً وأهون شأنًا من نعل الحذاء.. أشعر أنى سوف أستقيل من عملى فى الشركة أو أكون السبب فى فصل العاملين وهذا ما لا يرضى ضميرى.. أنقذنى من نفسى ومن حبنى.

المعذب

م. ق

لا أظن أن ما يعذبك هو حبك.. فأنت في الحقيقة لا تحب الفتاة وهي في نظرك تافهة لا تستطيع أن تكتب جملة مفيدة.. وإنما يعذبك فشلك.. وأنت مدمن نجاح وانتصار وتفوق.

والتفوق والانتصار يداوى شعورك بوجهك الدميم ويعالج إحساسك بالنقص ويمدك بالتوازن الضروري للحياة.

وهذه الفتاة التي وقفت أمامك لتبصق في وجهك مزقت رداء الأمان الذي ترتديه.. مزقت التفوق الذي تحتذى به من شعورك بالنقص.. وكانت هي ذاتها الصرخة التي تذكرك بأنك دميم ناقص تثير الاشمئزاز.

وما تهدف إليه الآن من مطاردتها ليس شفاء حبك.. وإنما شفاء غليلك وانتقامك.. تريد أن تستردها لتكسر عينها وتذها كما أذلتك وتنتصر عليها.. وبذلك ترتق الثوب الذي تمزق.. ثوب النصر الدائم الذي تغطى به إحساسك بالنقص الدائم.

وحل مشكلتك لن يكون بمطاردة الفتاة. ولا باستعادة حبها. ولكن الحل الحقيقي هو أن تواجه نفسك وتكف عن هذا الشعور المستمر بالنقص.. وتقبل وجهك الدميم وترضى بنصيبك الضئيل من الوسامة، وتعقد مصالحة مع هذا التمرد الدائم داخل نفسك، وتدرک إدراكًا واضحًا أن الشكل والوسامة والبشرة الخمرية مسائل يفتك بها دمل ويعبث بها الزمن من يوم إلى يوم وأنها

ليست بذات قيمة حقيقية.. وإنما القيمة الحقيقية هي إنسانيتك
وليس شكلك.

وإذا أدركت هذا، فسوف تنتهي مشكلتك وسوف تكتشف أن
حبك المزعوم لم يكن له في أحد الأيام وجود.. وأنت في الحقيقة
كنت غازياً تبحث عن معارك تنتصر فيها وهذا كل ما في الأمر.

المرأة الرجل

أنا فتاة عمرى ٢٣ سنة.. فى السنة النهائية بإحدى الكليات.
نشأت فى بيئة ريفية يسودها التحكم والتسلط والقسوة.. بين
أب مظهره الشدة والتعسف والاستبداد وباطنه الطيبة.. وأم
ظاها الضعف وحقيقتها المحقد.

قضيت سنوات دراستى الأولى فى مدرسة داخلية إلى أن نلت
شهادة التوجيهية.. وفى سن ١٢ وربما أقل عرفت المشى مع
الصبيان وفى سن ١٣ تورطت فى علاقة مع أحد الأولاد، وكان
يقبلنى كلما سنحت الفرصة.. وعرفت آخر وآخر.. وآخر.. وكانت
كلها علاقات طيارى.. وكانت تنتهى دون أن تترك أثراً.. وكنت
أنا أبادر بإنهاؤها.

ثم جئت إلى القاهرة والتحقّت بالجامعة.. وعشت سنة عند
أختى وعانيت الأمرين من تحكم زوجها فى شئونى.
وكانت اللحظة التى خرجت فيها من بيت أختى لأدخل بيت
الطالبات هى ساعة الخلاص بالنسبة لى.
وفى بيت الطالبات كنت مثالا للفتاة الهادئة المؤدبة المهذبة..

وفي المدرج بالكلية كان وجهي يحمر خجلاً إذا تطلع أى طالب في عيني.. كان هذا هو ما يظهر أمام الناس من سلوكي.. أما ما كان يحدث في الخفاء فكان شيئاً آخر تماماً.

كان عمري ١٦.. وكان يحدث أن التقي بالصدفة في الشارع بصديق من القرية فأذهب معه إلى بيته وهو يعيش بمفرده.. ولا أبالي أى شيء.. ويتكرر ما يحدث معه ليحدث مع أى رجل.

كنت دائماً تجدني في الكلية لابسة كماً طويلاً وآخر حشمة. وفي مكان آخر ما مانع من أن أخلع ملابسي كلها بالساعات. كنت أصلي وأصوم.. متدينة جداً.. وأخاف الله.. ومع هذا كنت أكذب لأسباب تافهة جداً.. ولمجرد الكذب.

لو سألتني لماذا كنت أفعل هذا.. لما عرفت كيف أجيبك؟.. وصدقني لم أكن سعيدة بما أفعله.

كنت في أعماقي أشعر بأني إنسانة غير محبوبة. كنت أشعر أن أمي لا تحبني.. وأخواتي لا يحببنني أيضاً. وكنت أشعر أن الرجال كلهم خونة.. والأزواج كلهم يخونون زوجاتهم.. وليس هذا مجرد خيال.. فقد كانت هذه الخيالات تحدث معي.

كان أول حب لي هو حبي لإحدى البنات صاحباتي في الثانوية وكان حباً عنيفاً جداً.

في طفولتي كانت أمي تعتبرني أجمل أخواتي.. لا أدري لماذا

فأنا أشعر أن شكلي عادى.. وليس في شيء يلفت النظر.
كنت ذكية جدًا في دراستي وأنجح باستمرار.. ولكنه نجاح
لمجرد النجاح.

كنت أذاكر لأتخرج.. لا أكثر.. وعقيدتي في هذا أن الدنيا
بمجرد فلوس ومراكز.. وكانت هذه أيضًا عقيدة أبي مع أنه رجل
غني ومتدين يصلّي الفرض بفرضه.

كنت دائمًا طماع.. أريد الكثير من الدنيا، لم أعرف
الأمراض في حياتي.. ألهم إلا حاجات بسيطة مثل الزكام
والانفلونزا.

سمعتي في الكلية كانت على الدوام.. مفيش أحسن من كده
لدرجة أنهم يعتبرونني طالبة مثالية.. تصور!

الأساتذة يحترموني جدًا، ويعتبرونني قدوة ومثالا في الأخلاق
وفي الحشمة. وفي الإخلاص للعمل.

المشكلة أنه في هذه السنة عقدوا خطوبتي على ابن عمتي في
أثناء الإجازة في القرية.. حدث هذا رغماً عني.

والحقيقة أني لم أكن أحلم بهذه الخطوبة.. فخطيبى شاب
مركزه محترم.. وأخلاقه حسنة.. وحالته جيدة.. ومع هذا فأنا
أرفضه.. وأعود فأشعر بغاية السعادة لزواجي به.. ثم أعود فأشعر
بالجزع والخوف من نفسي، والخوف من رغبتى الشريرة في
خيانتة.

وهى ليست مجرد رغبة.. فأنا لا أكف عن علاقاتي المتعددة،
وأخر هذه العلاقات كانت مع شاب من بلد عربي.
وقد أحببت هذا الشاب جدًا.. ولكنى حافظت على علاقتى به
طاهرة بريئة لا تتجاوز اللقاء فى كازينو.. أو على الكورنيش،
ولا تزيد عن القبلات.. ولم تكن هذه الطهارة نتيجة يقظة ضمير
أو خلافه.. فقد كنت لا أتورع فى نفس الوقت عن إتيان
المنكرات مع غيره، وإنما كانت عفة، ربما لشدة الحب والإعزاز،
لست أدري.

والحق أنى لا أستطيع أن أسميها عفة.. فقد كان يحدث أن
التقى فى الصباح بخطيبى.. وفى العصر بحبيبي حيث يقبلنى فى
نفس المكان الذى قبلنى فيه خطيبى.. وفى المساء أقضى الليلة مع
رجل ثالث.

سوف تقول إنها قذارة.

أنا أيضًا أقول إنها قذارة.

والغريب أنى كلما اختليت بواحد فقدت اهتمامى به واشتقت
إلى آخر.. فإذا التقيت بهذا الآخر شعرت بالشوق لثالث.
لم يحدث أن شعرت بشيء فى يدي أبدًا.. كل ما يقع فى يدي
تغفد طعمه.

ومع هذا أشعر أحيانًا أننى أحب خطيبى جدًا.

وخطيبى على فكرة حمس قوى.. ومحافظ.. وشديد.. وهو يثق

بى ثقة عمياء.. شىء يضحك.. ومع هذا فأنا لأشعر بتأنيب ضمير
وأنا أخونه.. لأنى أشعر أنه ربما يكون مثلى.. ليه لأ.. أنا أيضاً أبـدو
فى الظاهر آخر أدب وحشمة وفى الحقيقة آخر قذارة فلماذا
لا يكون هو أيضاً من نفس الصنف وليس هذا مجرد شك.. فقد
اعترف لى مرة بأنه كان على علاقة بامرأة متزوجة وعرفنى بها.
إنها ليست مبالغة منى.. ولكنى صدقنى.. أنا أعتقد أن كل
الناس الذين يبدون فى الظاهر أتقياء أصفياء.. هم فى الحقيقة
شياطين، وبرغم هذه الشقاوة فأنى فى الإجازة الصيفية ألزم بيتنا
الكبير فى القرية فلا أخرج منه ولا أرى أحداً ولا ألتقى برجل،
أشعر أحياناً بأن جسدى قذر وأحتقره.. ولا يخفف من
شعورى هذا سوى يقينى بأن كل الدنيا نفاق وقذارة.

ما يخيفنى أننى أفعل كل هذا وخطيى معى فى مصر.
ماذا أفعل حينما يسافر عائداً إلى القرية.. ويخلو لى الجو.
أشعر أن ربنا ظلمنى بهذه الأخلاق الزفت.. وظلم الناس
بظهورى البرىء المذهب المحتشم.

العاطفة الوحيدة فى حياتى هى حبى لأبى الذى أشعر أنى
أحبه أكثر من أى شىء فى الدنيا.

الرجل المثالى فى نظرى.. رجل صارم قوى.
والآن.. وهذه أخلاقى بصراحة.. ما رأيك؟

ماجدة

وصلتني هذه الرسالة الغريبة.

وقد وقفت أمامها طويلاً.. فهي ليست مجرد اعتراف.. وليست مجرد مشكلة خلقية.. بل هي ليست مشكلة خلقية إطلاقاً.. إنما هي حالة مرضية.. ومعضلة نفسية.

هل يمكن أن تضىء لنا بعض سطور هذه الرسالة الطريق إلى فهم نفسية صاحبها.
بعض العبارات.. لها دلالة.

قولها إن العاطفة الوحيدة الجميلة في حياتها هي حبها لأبيها، وأن رجلها المثالي هو رجل صارم قوى، أى صورة من أبيها الذى قالت عنه في بداية الرسالة إنه أب شديد.

نظرتها إلى أمها امرأة تبطن الحقد.. وأنها لا تحبها.. واحتقارها لجسدها.

هل يمكن أن يكون احتقارها لجسدها رمزاً لاحتقارها لأنوثتها واحتقارها لأمها.

وهل يمكن أن تكون إباحيتها وتحريها الجسمى رمزاً لتشبهها بالرجل.. بالأب الذى أحبه.. إنها فى تصرفاتها أشبه بـرجل أكثر منها بفتاة مراهقة.

إنها لفرط حبها لأبيها تتمنى لو أضخت مثلاً رجلاً.. تتمنى لو أنها تخلصت من وصمة أنوثتها.. تحتقر الأنوثة التى تمثل لها الأم الحقود التى تكرهها.

وهى تلبس ثياباً بكم طويل.. ومظهرها مؤدب مهذب حمش
يعنى راجل فى لبسها.

وهى تلتقط الرجال من الطريق لتذهب إلى شققهم الخاصة،
وهى شقاوة من النوع الرجالى.. وليست من النوع الذى تقدم
عليه امرأة.

والرجل فى نظرها خائن.. ولهذا فهى تخون.. وهو يعشق
ويهجر.. ولهذا فهى تعشق وتهجر.

وأول علاقة لها هى حب عنيف لبنت من صاحباتها.. إنه دور
رجل من أول الحكاية لآخرها.
وفى بيئة ريفية تعطى كل الحقوق للرجل وتسلبها من الأنثى.
كان من الطبيعى أن تدفع الظروف التربوية هذا الانحراف إلى
مداه.. وخصوصاً بالنسبة لفتاة ذكية طموح تريد من الدنيا
الكثير.

أعتقد أن هذه المشكلة يمكن أن تفسر بأنها ارتباط عاطفى
شديد بالأب انقلب إلى حنين لأن تصبح البطة رجلاً.. وتتصرف
كرجل مما أدى إلى هذه النهاية من ازدواج الشخصية.. التى
أخذت هيئة تدهور خلقى فاضح.

وهذا نوع نادر من سوء الخلق.. لا يمكن علاجه بالعظة
الحسنة، وإنما بالفهم.

ومثل هذه الأخلاق يصلحها الطبيب النفسانى، أكثر
ما يصلحها الواعظ.

اعترافات طالب خائب

كانت كلمات أبى التى يكررها كلما رآنى.
- نفسى أشوفك ناجح ومتقدم ومعاك أعلى الشهادات
ومركزك أعلى المراكز.

وكانت هذه أمنية أبى بل منتهى أمله ومناه..
وكنت بكل أسف.. لعبياً كثير الزوغان كثير الهروب.. أذهب
إلى المدرسة يوماً وأتغيب أياماً.. ولم أكن وحدى.. كانت هناك شلة
من الطلبة الصياع كلهم على شاكلى.. إذا حدث فى المدرسة
إضراب أو قامت مظاهرة.. فرحنا ورقصنا واعتبرناها فرصة.. ولم
نكن نندمج فى المظاهرة.. أو نشترك فيها.. ولماذا نهتف ونهيج
أصواتنا بالكلام بالفارغ.. ويعيش ويسقط.

كنا نسرع إلى السينما حفلة عشرة.. أو تجددنا فى القهوة
موزعين بين الطاولة والكوتشينة والدومينو.. فإذا لم يكن هذا
ولا ذلك كان الشارع مأوانا.. وكان سيرنا وتسكعنا معاكسين
البنات والستات حتى نلتقى بالفريسة ويكون هذا نهاية المطاف..
إذ لا يبقى بعد ذلك الا البحث عن مكان مناسب بعيد عن

العيون، حيث تتسلل داخلين واحدًا بعد الآخر كل في دوره. ودرفع بنا هذا السلوك إلى دروب بعيدة ملتوية ومظلمة.. الكذب.. قفز الأسوار.. السرقة.. لعب القمار.. وممارسة الحب المراهق وغير المراهق.. والسهر إلى أوقات متأخرة بعيدًا عن رقابة الكبار بدعوى أننا نذاكر معًا ونجتهد معًا.. ونكافح في تحصيل العلم وطلب العلا.

ولم يكن غريباً بعد ذلك أن يبيء الامتحان فتهرب أو تغامر بالدخول ومع كل منا البرشام.. ثم النتيجة التي لا تخرج عن أحد احتمالين.. أن ينكشف أمرنا ويكون مصيرنا الطرد ثم الحرمان لمدة عام.. أو أن نرسب بجدارة بالرغم من البرشام ومن الغش الهام ومن المراقب الذي يغمض عينيه رحمة وإشفاقاً. ومرة بعد مرة وسنة بعد سنة فوجئنا وفوجئ الكبار بأننا نقف حيث بدأنا بالسنة الثانية صنايع والبخت ضايع.. ولا خطوة بعد ذلك إلى الأمام.. بل طرد وفصل وحرمان من كافة فرص التعليم وبعد أن كنت طالباً في الصنايع أصبحت أحمل لقب صايع.. وخايب.. ونائب.. وجلاب المصايب.. إلخ.. إلخ..

ألقاب كثيرة فاخرة دفعت بى إلى البحث عن عمل أى عمل وبالابتدائية وبالواسطة وبالرشاوى وبالمساعى الحميدة وغير الحميدة استطاع أبى أن يوظفنى فى التليفونات.

وصدر قرار التعيين.. معاون تليفون درجة تاسعة ممرتب خمسة

جنيهاً وبشرط أن أقبل العمل في المكان الذي يتطلبه صالح
العمل أينما كان.. قبلى أو بحرى.. فى الصحراء أو فى الواحات.
وسافرت إلى الصعيد الجوانى.. إلى سوهاج.. إلى نجع حمادى،
إلى إسنا.. ثم عدت شمالاً إلى أسيوط.. المنيا.. الفيوم..
أبو كساه.. بنى سويف.. القاهرة.

وفى كل يوم كنت أكفر عن أخطائى وسيئاتى وذنوبى.
وفى كل يوم كنت أدرك أن الله حق.. وأن المذاكرة حق.. وأن
البططجة لها ثمن.. وأى ثمن.

ولكل هل اتعظت واستفدت من العبرة.. ومن حالى الذى
تدهور فأصبح أهون من حال المرمطون؟.. أبداً.
الذى حدث وحياتك هو العكس.

كبرت وكبرت معى أخطائى.
فى كل مكان ذهبت إليه كانت نزواتى تسبقنى.
أقمت فى الأحياء الوضيعة والمناطق المشبوهة.
أوقعت بكثيرات وكانت لى فى كل بلد ضحية.. وفضيحة..
كدت أذهب ضحية نزواتى وشهواتى البهيمية.
كادت تصيبنى رصاصة.. وكاد يقتلنى شقى مأجور.. لولا كثرة
تنقلاقى وأسفارى المتصلة لمدة عشر سنوات.
ومازلت إلى ساعى هذه وأنا أكتب هذا الخطاب.. أسيراً..

لكل حواء.. ضعيفاً أمام الإغراء.. مقاومتي أضعف من مقاومة
جناح ذبابة.. أغرق في العسل ولو فيه موتى.

قالوا لى تزوج.

وكيف أتزوج يا صاحبي؟

وكيف تكفيني وتكفى امرأتى الملاليم التى أقبضها؟

وكيف أثق فى زوجة.. وقد استبحت كل ما صادفنى من

أعراض وفيمن عرفت زوجات وحرائر؟

وماذا يوجد من أمل فى حياى التى تتدهور يوماً بعد يوم؟

شاكر

أغرب ما فى خطابك أن ضعفك أصيل.. وأنه يتفاقم معك سنة
بسنة.. فأنت تزداد انحلالاً مع العمر.. وتزداد استسلاماً لنزواتك..
لا يردعك فقر ولا فشل.. ولا انتقام يتربص بك ولا رصاصة
قاتلة تنطلق خلفك.

إصرار غريب على الإثم وكأنه رسالة مقدسة.

لا محاولة واحدة لانتشال نفسك.

ليس فى خطابك لمحة واحدة للتوبة.. ولو فى المستقبل البعيد..
وأنت تتكلم عن الزواج وتكاليفه.. مع أنك تدفع فى حياة الهلس
التي تعيشها نفقات أفدح.. تكاد تدفع عمرك راضياً.

ولا أظن أن مشكلتك هي فقرك الذى يستحيل معه الزواج.
لأن فقرك نتيجة لشخصيتك.. وليس سبباً لها.

مشكلتك هي شخصيتك.
عجزك عن ضبط نفسك أمام أى لذة عاجلة وهو العجز الذى
ضيعك كطالب.. وضيعك كموظف.. وأنا لست من الذين يعتقدون
بأن شخصية الإنسان قدر لا مفر منه.

أنا أعتقد بأن الإنسان قادر فى كل سن وفى كل وقت أن يطور
شخصيته ويسمو بها ويحارب ما فيها من ضعف.

أعتقد أن الإنسان يستطيع أن يكون سيد نفسه.
وأؤمن بأن الإرادة يمكن تربيتها واكتسابها بالكفاح والمجاهدة
مع النفس.. وأن الإنسان ليس عاجزاً أمام أهوائه.
وكل ما تحتاج إليه.. لحظة ثورة..

ثورة تنبع من داخلك نتيجة لوعيك وإدراكك لأى نصيحة..
ثورة تنتقل بك من رضوخك واستسلامك إلى حالة من التطهر
واليقظة واستجماع العزم.

هذه الثورة الداخلية أهم من أى عمل مادى.
فمشكلتك المادية يمكنك حلها بالبحث عن عمل إضافى فى
أوقات فراغك أو بزواجك من شغالة مثلك.. ولاشك أن مرتبك
الآن وبعد عشر سنوات من العمل قد تضاعف.. والخمسة
جنيهاً فى أول تعيين لم تعد خمسة جنيهاً.

المهم أن تتغير وجهة نظرك إلى الدنيا وتتحول من إنسان
خائر العزم تركبه أهواؤه وملذاته.. إلى إنسان صلب الإرادة
يسوس نفسه ويحكم غرائزه.. وهو تحول شاق.. ولكن الآلام التي
عانيتها يمكن أن تحفزك وتساعدك على هذا التغيير. ولا شك أنك
ستكون درساً طيباً لكل طالب كسلان يظن أنه يستعجل لذاته
بتأجيل المذاكرة والعمل.. والحقيقة أنه لا يؤجل مذاكرته فقط..
وإنما يؤجل لذاته أيضاً وسعادته لأجل غير مسمى.

البومة

أنا فى نهاية مرحلتى الجامعية وبرغم ذلك فأنا معقدة ليس
عندى ذرة من الثقة بالنفس برغم مجاهدتى المستمرة فى بناء
شخصيتى.

ولدت من أبوين غاية فى الجمال وكنت واحدة من إخوة آية
فى الحسن.. أبى تركى وأمى عربية والاثنتان فى لون المرمر
الأبيض الملون بالورد.. وشعر أمى ذهبى.. وشعر أبى حرير
فضى.. وأنا لا أعرف لأى جد ملعون جنّت.. ومن أى عرق
خسيس من عروق العائلة أخذت دمائى.. أنا يا سيدى سوداء
جعدها الشعر جاحظة العينين رجلاى خشنتان ولهما عرقوبان
وكأنهما رجلا ماعز.

وكان يمكن أن أعوض عن هذا القبح بجمال فى الشخصية
وجاذبية فى الطبع وخفة فى الدم ولكن تربيتى السيئة فى فترة
طفولتى حطمت البقية الباقية من إرادتى.. فمنذ طفولتى والجميع
الإخوة.. والأقارب.. حتى الوالدين يسمونى «الغوريلا».
وبدلا من كلمة الدلع الحلوة.. وشوشو.. وإش إش.. وقطتى..

وفلتى.. وكتكتوتى.. كنت أسمع الكرتة.. السودة أم رجل معزة..
العبدة.. الزربونة.

وكانت الدنيا تظلم فى عيني ولا أستطيع أن أنبس بكلمة أو
حرف وأتسلل إلى فراشى ورأسى فى الأرض لأغلق باب الغرفة
وأبكى وأبكى.. وأبكى حتى أتقطع.

وأصبحت أكره الجميع ولا أحب رؤية أحد وأشعر بالحقد
والرغبة فى التخريب والهدم وأحلم بزلزال.. يبتلع الأرض ومن
عليها وقيامه تقوم فلا تبقى على مخلوق.

كنت أشعر كأنى حيوان مجروح كل الناس تلغ فى دمه.
الناس ظلمونى..

الطبيعة ظلمتنى.

مظلومة حتى فى جسمى.

وأدى بى الحقد إلى حالة رفض كل شىء.. الدنيا والناس
والأهل.. وانطويت على نفسى.. أبكى فى صمت وأمضغ مهانة
ومذلة لا حد لها وأصبحت طباعى شرسة.. حتى فى المدرسة
أطلقوا على لقب «البومة».. وفى البيت حينما يأتى أصدقاء العيلة
ويبحثون عنى أسمعهم يقولون: فىن البنت الوحشة اللى لقيتوها
على الكوم الأسود.

يقولون هذا ويتضحكون.. بينما أنا أتمزق.. تمزقنى كلماتهم
كالسكاكين.

وكننت أجد مخرجًا واحدًا لكل هذا الإذلال.. هو أن أتفوق في المدرسة على كل البنات الجميلات.. وكأني أعاقبهن بذكائى..
وكننت أشعر بعقدتى ومركب النقص الذى أعيش فيه.. وكننت أجاهد للخروج منه.. وفى الجامعة حاولت أن أخفى وجهى القبيح تحت ابتسامة مصطنعة، وأخفى عقدتى تحت ستار من المرح والمزاح وشهد الجميع بأن دى خفيف ولكنهم لم يرحونى.. كننت أسمع التعليقات والهمسات وأنا أسير فى حوش الجامعة.

- شايف يابنى البراهين على نظرية داروين!
- اسكت ياجدع لا تعضك.
- مش هى دى اللى راسمينها على قزازير بوليس النجدة.
- دى مش من هنا يابنى دى هريانة م الجتينة.
- باين عليك واخذ القفص إالى جنبها ها ها ها ها.
- ونعاكسها ازاي دى.. دى تأكلنا.
- قول لها عجيب الفلاحة ازاي.
- احذف لها سودانى.

كننت أسمع هذه الهمسات.. وأحس بدوار.. وارتبك وتتخاذل رجلاى عن حملى وأكاد أهوى على الأرض مغمى على..
لم تكن هناك فائدة.. كننت أسير مفضوحة بالرغم من كل الابتسامات التى أرسمها على وجهى. تمثال منفر للقيح والدمامة.
وماذا ينفع العلم وما جدواه لأننى فقدت كرامة أنوثتها..

درهم جمال ولا قنطار مال.

كنت أسمع هذه الأمثال من أفواه الأقارب.. وافتقد آخر
أمل.. التفوق الذى عقدت عليه آمالى.. ماذا سوف يجدى
التفوق.. ولماذا أتفوق.. ولأى هدف.. ولمن.. ولا أحد يغتفر لى
قبحى..

وفى ثورات عصبية جنونية كنت أمزق الكتب وأشد شعرى
وأبكى وتدهورت إلى حالة من الانطواء الشديد والسوداوية،
وعدت إلى حالى القديم وأصبح الجميع يلقبونى «بالفيونكة» يعنى
«عقد».

وانهارت شخصيتى تماماً.
إذا فتحت كتاباً الحروف تتراقص أمامى تسخر منى.
كلما رأيت شيئاً ثميناً فكرت فى كسره.
أخشى أن يذهب عقلى.. وهو كل ما تبقى لى من هذه الدنيا
القدرة.

لاتقل لى ابنى شخصيتك من جديد.
لا تقل لى إن الجمال هو جمال الروح وليس جمال الوجه..
فقد حاولت أن أغطى قبحى بشخصية حلوة، وأستر وجهى
بابتسامة مرحة.. حاولت أن أنسى الحقيقة المريرة ولكن الناس
كانوا يوقظوننى فى كل لحظة على حقيقتى.

الناس رفضوني وطرّدوني في قسوة من مجتمعهم الضاحك
السعيد.. أبوا علىّ حتى الوهم والحلم والأمل.. وأرجعوني في
وحشية إلى عالمي القبيح.. إلى البومة والغوريلا.

أنا لا أطلب منك أن تجعلني جميلة وحلوة.. فأنا أعلم أن هذا
مستحيل، ولكن أطلب حلاً نافعاً مفيداً صريحاً وممكناً. طريقة
أتعامل بها مع هذا العالم المتوحش.

لو طلبت مني أن أنتحر فسوف أنتحر بلا تردد.

أنا أطلب نجدة تبقى على ما تبقى من إيماني.

حلاً ممكناً أغير به مصيري المظلم.. مد لي يدك.

المعذبة

البومة

أكيد مشكلتك ليست في وجهك وحده ولكن في نفسك وفي
رفضك الشديد لكل تعامل حتى التعامل معي.. في الوقت الذي
تطلبين فيه المعونة ترفضينها محذرة: لا تقل لي ابني شخصيتك من
جديد.. لا تقل لي أن الجمال جمال روح وليس جمال الوجه.. يعني
مد لي يدك.. ثم تقطعينها.

وماذا بقي لي.

ترفضين أي حل نفسي وتقولين إن الحل الجسدي مستحيل.

«حاصل إيه».. إن المشكلة لها وجهان.

إجراء جراحة تجميل إذا كانت عيوبك من اختصاص طبيب التجميل.

وإجراء جراحة نفسية وهذا ما يمكن أن تتجاهدى في سبيله. ولا يوجد حل ثالث.. وأنت تقولين إنك حاولت مرة برسم ابتسامة مزيفة وافتعال مرح كاذب.. ولكن بناء الشخصية لا يكون بالافتعال والكذب.. ولا يمكن كسب قلوب الناس بالتعامل المصطنع والمحبة المفتعلة.

لا بد أن تنتزعى حقدك أولاً بجهد مخلص وحقيقى.. فالناس لا ذنب لهم فى أنك ولدت بهذه الصورة.

والتريقة عادة الناس فى المدن وفى إمكانك أن تدخل تريقة لتريقة أنت أيضا وبكلمة ذكية رقيقة لاسعة يمكنك أن تجعل أجدع راجل يسبح فى عرقه ويبلغ ريقه.

ونحن نتبارز كل يوم وباللسان كما كنا نتبارز بالقرون والمخالب أيام زمان.. أننا نحمل وحشيتنا وطباعنا الحيوانية فينا.

وأنت أيضاً فيك الحيوان ولكنه مجروح كما قلت.. ولو كان حيواناً سليماً لبادرت بالطعان والنزال والعدوان، ولكن لك ضحايا بين زميلاتك الوحشات.

هذه هى الحياة.

إن ما فى الناس فيك.. وحقدك لا مبرر له.

وكلنا مظالم.. بعضنا ولد مشلولاً وبعضنا ولد أعمى.

وبعضنا يحمل السل في رثيته.

والذى ينجو يوم مولده.. يفترسه المرض فيها بعد.. أو تذهب به حادثة أو يشوه في حرب.

والجدري والجذام والأورام الخبيثة لها مستشفيات ويسقط بها ألوف الضحايا كل يوم.

وفى قصر العيني عنبر للمحروقين ممتلئ عن آخره بالمشوهين. والوحاشة هى الحال الغالب بين النساء والجمال هو النادر. ومن تولد قبيحة حالها أرحم ممن تولد بعاهة.

وبالرغم من كل هذه المصائب فأنت لا تحسين إلا بمصيبتك وحدها وكأن العالم ليس فيه سواك.. وليست فيه مأساة سوى مأساتك.

ولكن الطيبة لا تتدفق من القلب إلا حينما نشعر بمصائب الآخرين ونحس بآلامهم كما نحس بآلامنا.

والطيبة حينما تنعكس على الوجه تغير شكله صدقنى. والوجه الطيب أجمل من الوجه الحقود.

حينما تبدئين فى الشعور بالمأساة المشتركة لكل الناس فى هذه الدنيا، وحينما تتدفق الطيبة من قلبك القاسى المتحجر فسوف يتغير شكلك.

وآخر الليل حينما يطفئ الأزواج النور لا يعود هناك فرق

بين جمال وقبح.. وكل ما يتبقى هو الصورة النفسية وانطباع
العشرة.

والنفس الذكية الحساسة الطيبة تستطيع أن تمنح السعادة
واللذة.

والنفس الحقود لا تستطيع أن تمنح إلا ليلة نكدة.
والرجل يتعود على شكل زوجته مهما كان، ولكنه لا يستطيع
أن يتعود على حقدها أبداً. والحد والشراسة والعداوة تغير شكل
صاحبها لأنها تقلب سحنه وتؤدي إلى توتر ملاحظه.. في حين أن
السماحة والطيبة.. تضي على الوجه الوضاء والبشر.. أمامك
إذن معركة لا بد أن تكسيها مع نفسك ومع الدنيا.. فأنت لست
مظلومة فقط ولكنك ظالمة أيضا. وإذا كسبت نصف الطريق
فسوف يتغير مصيرك وسوف تصبحين قرده معشوقة.. وما أكثر
القردرات المعشوقات في هذه الدنيا.

وتذكرى أن الجمال مسألة نسبية، وإذا كنت ترين نفسك
قبيحة هنا فسوف تكتشفين أنك ملكة جمال في قبيلة مثل نيام
وسوف يتقاتل عليك سلاطين القبيلة هناك.. وإذا هاجرت إلى
أستراليا فستكونين فرخة بكشك لأن سكان أستراليا رجال
بلا نساء وهم يشمشمون هناك على رائحة امرأة.. أى امرأة.
وإذا كنت أجمل جميلة في القاهرة فأنت في بلد مثل السويد
صفر على عشرة.

وأرض الله واسعة والبضاعة التي تبور في مكان يتقاتل عليها
ألف شاب في مكان آخر.. وكل فوله ولها كيال.
وفي النهاية شكلك قدرك.. وقدرك لا خلاص لك منه.. إنه
الضرورة التي لا مفر منها.. فإذا احتضنت قدرك في رضا ومحبة،
فسوف تكسبين نفسك على الأقل بدلا من أن تخسري الاثنين..
نفسك وجسدك.

والسعادة هي أن ندير ظروفنا وإمكانياتنا بحكمة.. وهي
لا علاقة لها بقبیح ولا جمال.. فمن الممكن أن تدير امرأة جمالها
للدعارة وأن تصعد امرأة على قبحها لتكون ذروة إنسانية.
وعقولنا وإرادتنا هي التي تصنع مصائرنا في النهاية.
قودی نفسك بحكمة وفطنة، وعاملي الناس بمحبة وسماحة
يضىء وجهك بالجمال المستحيل.

الباب المغلق

منذ سنوات ثلاث كتبت لك عن حبي.. حباً ليس كأى حب،
وحدثتك يومئذ عن نفسي.. كزوج.. وأب.. وشرحت لك حياة
الفراغ العاطفى التى أحياها.. وكتبت لك عن زواج لم يوفق منذ
بدايته، حتى إنى كنت على موعد مع فتاة من فتيات الليل غداة
ليلة زفافى.. وكنت أهييم وراء كل عاطفة، حتى وأنا أعلم أنى
أشترىها إلى أن التقيت بها.

كانت تصغرنى بخمسة عشر عاماً لكنها أخذت بىدى بعيداً
عن كل فساد.. وأعطتنى حناناً.. وحباً.. ودفعت الثقة إلى نفسى
وحققت لى معجزة الأمل.. فأحببت حياقى من أجلها، نجحت فى
عملى نجاحاً تناقلته الصحف والمجلات بفضلها.. سعت لزيادة
دخلى.. استقامت حياقى الزوجية وعرفنى أبنائى بعد أن كنت
لا أعرف طريقاً لبيتى إلا بعد أن هدتنى إليه.

لقد كتبت لك الكثير يومئذ من سنوات ثلاث فكتبت لى ردّاً
صغيراً فى صباح الخير تقول فيه «إلى صاحب الأمل فى السراب..
هذا هو المستحيل».

ولم اقتنع بإجابتك فأرسلت لك برقية علمت بعد ذلك أنها لم تصلك ولعلها تاهت في فترة من فترات عزلك.

ومرت سنوات ثلاث وأنا أعيش في هذا الذى وصفته في ردك بأنه المستحيل.. أعيش حياتها لا حياى أنا.. ست سنوات وأنا أستمذ بقائى من لقائها. كانت عمرى قبل أن يكتب ذلك أحمد شفيق كامل.

ست سنوات.. كانت عدد مرات لقائنا فيها أكثر من خمسة آلاف وثلاثمائة لقاء.. كل لقاء كان أحر شوقاً وأكثر حباً من سابقه، كنا لا نفكر في نهاية المشوار، كان حباً ليس كمثله حب، كانت رسالتى إسعادها، وسعادى أستمذها من بسمتها ولمسة يدها. منذ شهور أحسست - وإحساس المحب الصادق لا يخيب - أنها ليست معى في قمة حبنا.. وسؤالها لم تنكر أنها بدأت تحب وأن حباً آخر أصابها فجأة.. هكذا بالسكته.

كانت صدمة لى وخصوصاً أنها جمعت فترة بين علاقتنا نحن الاثنين. لم تخف الصدمة حينما تأكد لى أن حببها ينوى الزواج بها.. فلم يستطع عقلى أن ينكر عليها حقها في الحب والزواج.. وبينى وبينها زوجة وأبناء واختلاف دين.

ولعلك تسأل الآن.. وماذا كنت ترجو منها أن تفعل.. أجيبك بأنى لا أنكر عليها حقها في حياتها.. فأين المشكله؟! المشكله الآن في دموعى.. دموعى لا تنقطع برغم إرادتى.

كل منظر.. كل كلمة.. كل لحظة تردني إليها تندفع من عيني
الدموع.

لقد كنت عزيز الدمع.. إلا معها في خلوتنا.. وفي سنوات حبنا،
كنت أحب أن أجفف دموعي بأناملها.. وكنت لا أطيق رؤيتها
تبكي، فإذا انهمرت دموعها كنت ألتقطها بقمي من مآقيها.
ولكني الآن فقدت السيطرة على نفسي، وأصبحت أبكي أمام
الناس حتى خيل لبعضهم أن خلا عضوياً أصاب عيني.. وفي
العام الماضي هبط دخلي إلى الثلث.. وفي أوائل هذا العام نفذ
رصيدي كله وكان مكوناً من أربعة أرقام، وما كان ذلك إلا بسبب
نفسيتي..

كنت أوصف بين الناس بالحزم والحكمة إلى أن فقدت هذا
الصدر الحنون فأحسست أني فقدت حتى الأمل في الأمل.
فكرت في الانتحار ولكني جيت.. ولو أنها أمرتني لما ترددت
رحلت بدموعي إلى مكان بعيد مليء بالأخطار أعرض نفسي فيه
على الموت عسى ألا يجين على لقائي، رحلت وأنا مقتنع كل
الاقتناع بوجوب الاختفاء من حياتها حتى لا أؤذي الناس
بدموعي.

ولكن فشلت كل وسائل العلاج.
لم يشدني بيتي.. وكانت تهديني إليه.
أنهكت نفسي في عملي فارتبكت وأخفقت.

صديقة كبيرة أحست مأساقي من خلال دموعي فحاولت
مشكورة أن تعيش معي في قصة حب جديدة فأبى قلبي ونأيت.
تناولت نفسي بالعذاب والحрман من كل متعة أو لذة.
لا تسخر مني حينما أصارحك أنى أسجن نفسي وأضرب
نفسى ضرباً مبرحاً.. هل هى مبادئ جنون.

لو أن سوق الرقيق قائم لبعث نفسي لها مرة أخرى حتى
تعتقني متى تشاء فأبيع لها نفسي راضياً حتى ينقضى الأجل.
إنى أعيش فى مهجرى لا يريد دمعى أن ينقطع.. إنى أتنفس
على البعد أنفاسها.. وأرى دنيائى هنا كلها فى أغوار عينيها.. ثم
ألمس دفء لمسة أناملها فلا أجدها وأكلم خيالها بصوت مرتفع.
ثم أنهار وقد عجزت حيلتى.

إنى أخجل من نفسي فأنا على مشارف نهاية الحلقة الرابعة من
العمر وفى عداد الرجال وليس البكاء من شيمة الرجال ولكنى
عاجز عن حبس دموعي ليل نهار.
هل تجد لى علاجاً.

أخشى ما أخشاه أن تستمر دموعي هكذا حتى أفقد عيني.
سأبذل جهدى للحصول على صباح الخير حتى أجد إجابتك.

دليل السراب

واضح جدًا أنك كنت لدى ست سنوات تجمع بين علاقتين في وقت واحد.. علاقتك بزوجتك وعلاقتك بحبيبتك.. وربما كنت تجمع بينهما في فراش واحد أيضًا.. أو في فراشين منفصلين.. أو شقتين على أحسن الفروض.

وواضح أنك كنت سعيدًا جدًا بهذا الوضع لدرجة أن ارتفع رصيدك إلى أربعة أرقام.. ورددت الصحف أصداء نجاحك وأصبحت تعيش مع زوجتك وأولادك في وفاق.

ونسيت في سعادتك أن هناك امرأة تعيش في وضع مهين ذليل هي حبيبتك أو المرأة التي زعمت أنك تحبها.

هذه المرأة التي سلبتها ست سنوات من زهرة عمرها في حب بلا أمل لرجل متزوج وله أولاد ومختلف عنها في الدين.

هذه الفتاة المسكينة التي جرجرتها خلفك وأنت سعيد ورصيدك يرتفع لأربعة أرقام واسمك يعلو.

هذه الفتاة مر عليها رجال في هذه السنوات أحبوها وعشقوها وعرضوا عليها قلوبهم فلم ترهم ولم تشعر بهم لأنها كانت تحبك أنت أيها اليأس.. أنت أيها الباب المغلق.

والآن وبعد سنوات من الظلم ومن السجن بدون ذنب تحاول المسكينة أن تفلت من قيدك الغاشم.. فتكون النتيجة أن تشكو لأنك في مشكلة.

وما هي المشكلة؟!

إنك تبكى.

كان المفروض أن تبكى من زمان وتجن وتضرب نفسك وتفشل في عملك ويضطرب رصيدك إذا كان حقاً عندك قلب.. ولكن الذى حدث أن رصيدك كان يرتفع.. واسمك يعلو.. وقلبك يرقص فرحاً.. ولم تكن دموعك في ذلك الوقت دموع عذاب، ولكنها كانت دموع الترف العاطفى في الخلوة اللذيذة الشهية التى يتقنها محترفو الغرام.

وأنت الآن لا تريد أن تدفع حتى ضريبة الدموع.. عن ست سنوات سجن لفتاة بريئة أغلقت في وجهها المنافذ والأبواب. ولكنها مع ذلك حينما كانت مهينة ذليلة تجرجرها وراءك كانت تتعذب أضعاف عذابك.. ولم تشك لأحد.. ولم تبك لأحد. وإنما حملت خطأها على كاهلها بشجاعة وتألمت في صمت.

وكان يجب أن تتعلم منها الرجولة والشرف.. والشرف هو أن نحمل وزر أخطائنا، ونُدفع ثمنه دموعاً على الأقل.. وهذا أضعف الإيمان.. ولكنك.. حقاً.. لا تتصف بهذا الشرف.

أنت رخو جداً.. لا تريد أن تدفع أى ضريبة عن السعادات التى استمتعت بها في غفلة عن صاحبته.

ولا أريد أن أقول لك حكاية أن سوق الرقيق.. ولو كان فيه سوق رقيق لبعث نفسه فيه عشانك.. إلخ.. إلخ ده كلام جرائد.. وكلام سبيل.

نصحتك لك أن تبكى بشدة كل يوم حتى تحمر عيناك، ثم
تعود فتبكى من جديد لأنك لم تبكى بما فيه الكفاية.

ألم أقل لك إن الدرب الذى تسير فيه هو درب المستحيل؟.

انقذنى من جمالى

من قال إن الجمال نعمة.. إن الجمال خراب ودمار.. إنه مصيبة لكل فتاة جميلة.. إنه لعنة يبتلى الله بها عباده.
إني ألعن الجمال في كل مكان وزمان.
أنت تقول الآن إني مجنونة.. ولكنى عاقلة ومؤمنة بكل حرف أكتبه.. دعنى أشرح لك الحكاية.

نشأت في عائلة فقيرة بين أب طيب وأم صالحة وأخ يكبرني بست سنوات.. وكنت جميلة.. جميلة جداً.. ببضاء ذات شعر كستنائي مسترسل وعينين خضراوين.. وكنا نسكن في حي فقير يتلاءم مع مرتب أبي الموظف في وزارة الصحة، وكنت أجمل بنات الحي، بل كانت أمي تبخرني كل يوم خوفاً من الحسد.. ومع بداية نضوجي بدأت المشاكل.

في سن ١٤ كنت أسير في الطريق تزفني التعليقات والمعاكسات والمداعبات الكبيرة والصغيرة، والشباب والكهول. الكل سواء في الغمزات واللمزات والكلمات «الأبيحة». وكنت أصبر وأصبر نفسي. وأقول هذه هي ضريبة الجمال.. والحقيقة أني

كنت أشعر بهجماً وأختال به وأتباهى به على سائر بنات الحى.
وبلغت السادسة عشرة وحدثت أولى المصائب التى أوقعتنى
فيها هجماً.

كان أماننا اثنان من الشبان.. واحد فى الثانوية العامة..
والآخر فى إحدى الكليات النظرية.
والاثنان كانا يطاردانى فى ذهابى وإيابى.

كان أحدهما يمشى خلفى حتى يوصلنى إلى مدرستى فى الصباح
والآخر يعود خلفى فى أثناء عودتى.. وكأنها دورية قسماها بينهما.
وذات يوم بينما كنت عائدة للمنزل والمذكور من خلفى يتبعنى
كظلى.. حتى وصلنا إلى بداية الحى الذى أعيش فيه وإذا به يسرع
فى خطواته حتى يصبح فى محاذاتى ثم يبدأ يكلمنى عن غرامه
وهيامه وانشغاله بالليل والنهار.

لم أتكلم.. ولم أرد.. واصلت مسيرى.. وزدت من سرعة
خطواتى، ولكن ذلك لم يوقفه.. وفجأة إذا بى أرى صاحبنا الآخر
قادمًا من بعيد منطلقًا كالسهم وقد آنا، حتى بلغنا، وإذا بمشجرة
تقوم بينهما، بل وأكثر من ذلك فقد اشتركت العائلتان واتسعت
المشجرة وتحولت إلى معركة وإصابات. كان من نتائجها إصابة
أحد الطالبين بعاهة مستديمة فى وجهه.

وانتقل الكل إلى القسم.. وأصبحت فضيحة بجلال.
وانتهى المحضر بأن أجمع أهل الحى على مقاطعتنا بسبب إلى
«ما تسمى» يقصدونى.

ولم نجد حلاً سوى أن ننتقل إلى حى آخر.

وليقطع أبى دابر المشاكل منعنى من المدرسة وأقعدنى فى البيت وأسوأ ما فى الأمر أنى بدأت أفقد أعز ما كنت أعز به.. ثقة أبى وأمى وأخى فى سلوكى وأخلاقى.. فقد بدأ الجميع ينظرون إلى نظرات مريبة من جانب عيونهم.

مرت على هذه الحادثة عدة أشهر.. وذات يوم عاد أخى مكفهر الوجه، يتطاير الشرر من عينيه وقد سمع عنى أخباراً سيئة من زملائه ولا أعلم من أين أتت له هذه الأخبار.. وانتظر حتى عاد أبى من الوزارة.. وإذا به يقص عليه قصة لا أول لها ولا آخر ولا أساس لها من الصحة عنى وعن صلاتى بشبان.. ولما كان والدى يحببني جداً فقد ثار فى وجهه.. وإذا بالاثنتين يتبادلان الصياح وفجأة بدأ أخى ييوح بما كتبه فى صدره سنين طويلاً حتى فاض به الكيل.

حكى لنا كيف أن العيون كانت تلاحقه أينما سار والألسن تتهامس.. هو ده الشاب أخو البنت إياها.. البت الكتكوتة.. يا حلاوة الكتاكيت.

وأينما كان يجلس كان الكل يتلفتون وفى عيونهم سخرية. هل تصدق.. لقد كنت وصمة له.. بل إن جمالى كان وصمته التى لا يعرف كيف يتخلص منها.

وكان اعترافاً هبط على هبوط الصاعقة فكتمت أنفاسى.. ولم

أعرف كيف أرد ولا كيف أدافع عن نفسى.

وتركنا أخى وسافر إلى الاسكندرية بحجة نقله.. وأنا أعلم
تمام العلم أنه تركنا برغبته ليهرب، ليهرب منى، من أخته.
ومضت الأيام.

جاء اليوم الذى تمناه كل فتاة.. خطبنى طيب لا يزال فى
أول الطريق والمستقبل مفتوح أمامه.
وبعد ثلاثة أشهر كنت له زوجة.. وعشنا فى بيت صغير فى
إحدى ضواحي القاهرة.

كنا نبنى لأنفسنا قصوراً فى الهواء.. وآمالاً وأحلاماً.. كم ابناً
وكم بنتاً سوف ننجب. وأين سنقضى الصيف. وأين سنسافر فى
الشتاء؟ إلى آخر تلك الآمال الساذجة.

وكان يظن أنه سوف يصبح أسعد زوج مع أجمل زوجة.
وكنّا فى بداية زواجنا نرتاد الأماكن العامة فتتجه الأنظار كلها
نحوى مبهورة بجمالى. ويسلط الرجال عيونهم علىّ من رأسى
إلى قدمى.. وكان زوجى يبدو سعيداً فخوراً.. يتباهى بذلك أمام
أصدقائه.. فله زوجة أجمل من زوجاتهم جميعاً.. وكانوا هم يقولون
ذلك أيضاً..

ولكن بمضى الوقت.. بدأ يتغير.. بدأ يقلل من خروجنا إلى
الأماكن العامة.. ولم أعترض.. بدأ يحدد مرات خروجى من
المنزل. ولم أعترض.

وبدا في كل مرة أخرج فيها يطلب منى أن أقدم له خط
سيرى بالضبط.. ثم تقريراً مفصلاً عن قابليت ومن كلمت إلى
آخر هذه التصرفات الصبيانية التي تليها الغيرة.

وكنت أعذره في موقفه وأعطف عليه.. وأقارنه بأخى الذى لم
يحتمل أن يعاشرنى كأخت.. فما بال زوجة.

احتملت هذه المعاملة سنين إلا أنه زاد فيها وبدأ يستعمل
القسوة والضرب أحياناً.

ولكنى كنت أراه في قرارة نفسه يتألم طول الوقت.
إلى أن جاء ذات يوم مبكراً على غير عادته.. وبدأنا نتجاذب
أطراف الحديث وكان يبدو غير طبيعى.. وكنت أعلم أن فى الأمر
شيئاً وكنت على حق فما لبث أن انفجر.. وإذا بى أرى صورة من
أخى.

نعم.. هو الآخر فاض به الكيل.. زملاؤه فى العمل يتهامون
حينما يرونه وينظرون إليه تلك النظرات الغامضة الساخرة.
وهو يعيش فى غيرة وشك قاتل يشغله عن عمله وعن عيادته
ويبلبل ذهنه طول الوقت.. النظرات الشهوانية التى يصوبها
الرجال نحوى تفقده عقله.. حياته تحولت إلى جحيم لا يطاق..
إنه يتصورنى على الدوام فى مواقف خيانات زوجية.

ولم يستطع أن يستمر.. طلقنى بعد مشاجرات متصلة..
وانهيارات عصبية.. ونجا بنفسه قبل أن يدخل مستشفى المجاذيب

وعدت إلى منزل أُمى.. وكانت قد تزوجت برجل آخر بعد وفاة والدى.

وبالرغم من تظاهرها بالفرحة لرؤيتى.. وكلماتها الطيبة في مواساتى.. فقد كنت أرى كل مظاهر الحزن والحسرة بادية في عينيها، فهى لم تكن تتصور أن ابنتها الجميلة التى كان يحسدها الناس قد انتهت إلى هذه الحالة من التعاسة.

على أى حال.. عشت مع والدتى.. وكان زوجها رجلاً يتظاهر بالطيبة.. وما لبث أن بدأ يظهر لى على حقيقته.. بدأ يغازلنى.. ويطاردنى.. واحتملت وصبرت صبر أيوب.. حتى ضبطته أُمى مرة وهو يحاول تقبيلى عنوة.. وكانت النهاية بالنسبة لزوجها.. فقد تركت المنزل وذهبت إلى شقيقتها فى إحدى بلاد الوجه القبلى.

واتجهت أنا إلى عمى.. ومكثت عنده إلى يومنا هذا.
والدور الآن على عمى المسكين الذى أعيش معه ليبتلى بمصائب جمالى:

تقدم لى حتى الآن ثلاثة عرسان يطلبون يدى ورفضتهم جميعاً دون إبداء أسباب.

ولعلك تعرف الآن سبب الرفض.

فكرت فى مشاكلى التى لا حل لها.

فكرت فى الانتحار لأستريح.. وأريح الناس.

فكرت في تشويه جمالى لأتخلص من اللعنة التى تطاردنى.
ماذا أفعل.. صدقنى.. أنا معذبة.

المعذبة بجمالها

أنا أصدقك. فالجمال فى أغلب حالاته يعذب صاحبه ويعذب
الناس.. فهو يطلق الغيرة والشك والوساوس من عقالها.. ومتى
بدأت الغيرة تطل برأسها بدأت السعادة تتوارى.. وتحولت الجنة
إلى جحيم.

ولكن الحل لا يكون بالانتحار.. ولا بتشويه الجمال.

الحل هو البحث عن رجل عاقل.. رجل شخصية.

إن الرجل لا يفار على زوجته الجميلة إلا إذا فقد الثقة فى
نفسه وفى لياقته.. وشعر أنه ناقص وغير كفاء لجمالها.

ولكن إذا شعر أنه نذل لها وأنه شخصية جذابة مثلاً هى امرأة
جذابة.. وأنه ليس بحاجة إليها وإنما هى التى بحاجة إليه، حينئذ
ربما انقلبت الآية فأصبحت هى التى تغار عليه وتخشى أن تسرقه
منها امرأة أخرى.

أنت فى حاجة إلى رجل شخصية.. تشعرين بجواره أنك تافهة
وأن جمالك تافه.. ويشهر هو بهذا الشعور فيستريح ويطمئن فلا
شئ فىك يخشى عليه.. فهو يمتلكك حاضراً وغائباً.. وإذا كان
لا بد أن يقلق أحدهما.. فهو يشعر أنك الأولى بهذا القلق.

تحملى عذابك بجمالك حتى تعثرى على هذا الرجل.
وعزاؤك أن عذابك بجمالك مهما يكن فهو عذاب لذيد وأرحم
ألف مرة من عذاب القبيحة بقبحها.

أرض الأحلام

أكتب لك هذا الخطاب بعد تردد طويل وبعد ليلة مؤرقة سهرتها أعانى من عذابى حتى الصباح.

ولأعرفك بنفسى.. أنا سيدة فى السابعة والعشرين، من عائلة ذات أصل عربى وذات تقاليد وعادات ورثتها أجيالاً بعد أجيال، وما زالت متعصبة لها.

بدأت مشكلتى منذ ١٣ سنة، وكانت سنى فى ذلك الوقت ١٤ سنة، وكنت فى فورة الصبا والأنوثة والعاطفة الجاهجة، وبحكم تقاليد العائلة كنت سجيئة البيت لا أبرحه.. وأكبر مشوار كان مسموحاً لى أن أقطعه هو بضعة أقدام من الفراش إلى البلكونة حيث أقف وأتفرج على الشارع من بعيد، وهكذا كان تعارفنا الأول من البلكونة.

كنت أراه كل يوم فى ذهابه وإيابه إلى مقر عمله.. وكنت أنتظره كل ليلة حتى يعود من سهرته وأحياناً أقف الساعات الطوال حتى بعد منتصف الليل لكى أتزود منه بنظرة قبل أن أنام. ولم يكن فى البداية يدرك من أمرى شيئاً.

ثم بدأ يلاحظ أنى أنظر إليه.. وأنى أقف له كل يوم في
البلكونة ساعة خروجه وساعة عودته.

رجل أنيق ممتلئ بالرجولة.. في سن الثلاثين.. فارق كبير في
السن بينى وبينه طبعاً.. ولكنى لم أشعر بهذا الفارق.
وصورت عواطفى له صورة مثلى فى عيني.. فكنت أنظر إليه
وكأنى أنظر إلى إله يمشى على الأرض.

وفى ذات ليلة فى طريق عودته.. أشار إلى يديه بحركات لم
أفهمها.. ثم تكررت هذه الحركات والإشارات فابتسمت له
ورددت له الإشارات بإشارات مثلها، ثم دفعنى طيشى فكثبت له
رسالة شرحت له فيها حبنى ومشاعرى وألقيتها له وأنا لا تسعنى
الدنيا من الفرحة أجاب على رسالتى برسالة أحر منها.
ومرت الأيام ونحن نتبادل تلك التوريقات الصغيرة.. ونختلس
النظرات.

ومع مرور الأيام أخذ حبه ينمو ويكبر فى قلبى وأنا سابعة فى
دنيا الخيال والأوهام، مغمضة عيني عن الواقع المرير الذى تحتم
علينا فيه تقاليدنا عدم الزواج من غير أبناء العائلة ومن غير أبناء
القبيلة، إلى هذا الحد كنت أعيش فى حلم.

ولكنى صحوت من حلمى أخيراً.. وكانت صحوة فجائية
كالصدمة تلاشت فيها الخيالات الجميلة التى كنت أسبح فيها..
أيقظتنى منها زغاريد مجلجلة ردد صداها صحن الدار.. ثم علمت

أنى أصبحت عروسًا وأن ابن عمى خطبنى.. ابن عمى الذى لا أحمل له أى شعور سوى شعور الأخوة.

وتم زفانى وأنا فى السابعة عشرة.. وأغلقت قلبى فى محاولة شاقة لأنسى ولكن محاولاتى فشلت.. ولم أستطع أن أتوافق مع زوجى.. كنت أشعر كلما اقترب منى أنى فى جحيم.

٩٠

وكانت لمستته تقززنى.

وبعد شهرين من العذاب والصراع هربت منه وعدت إلى بيت أهلى.. واثارت ضجة حولى.. وانتشرت إشاعات عن نشوزى وتمردى.. ولكنى صمدت أمام العاصفة.. وصممت على ألا أعود، وكان أكثر ما يخيفنى من العودة هو أن أنجب منه فيتحتّم علىّ البقاء معه طوال العمر.

ولما كثر الكلام والقليل والقال غادرت البلد وسافرت إلى أقارب لى فى بلد بعيد.. ومكثت هناك سنتين. وهناك سمعت أن حبيبى تزوج وأنجب فتحطمت آمالى وصدمت صدمة كادت تقضى على حياتى.

وعدت إلى بيت أهلى.. إلى موطن. الذكرى.. وعلمت أنه يتنسم أخبارى من الأخباريات.. ثم أصبحت أراه كسابق عهدى.. وكتبت له رسالة أنهنّه بزواجه وبإنجابه مولودة.. فرد علىّ برسالة رقيقة شرح فيها شعوره نحوى والظروف التى أدت به إلى الزواج وقال إنه غير سعيد فى حياته الزوجية.

ومرت الأيام.. ونحن نتبادل النظرات فحسب في أثناء مروره
من الشارع بين الحين والآخر وأنا قانعة بهذا القليل الذي أفوز
به.

ولكن القدر سلبني حتى هذا القليل.

ولا أدري لماذا انتقل من الحى.

ومرت سنتان لم أره خلاهما فتمزق قلبي وأحرق الدموع
وجنتى.. وبعد عشر سنوات أخرى من الزمن الطويل البليد
الفارغ أزمع أهلى على الرحيل من تلك المنطقة إلى منطقة أخرى
في المدينة.

وبكيت آخر ذكرى لى قبل رحيلى ودفنت بتلك الأرض
الطيبة أجمل أحلامى وآمالى.

وهناك فى ذلك البيت الجديد الذى سكنا فيه على رأس الميدان
فوجئت برؤيته كل يوم فى ذهابه إلى مقر عمله وإيابه منه.
واستيقظت مشاعرى النائمة تحت سنوات اليأس والحрман..
وعدت طفلة أنتظره كل يوم فى ذهابه وإيابه.

وشاء القدر أن ألتقى به لأول مرة وكانت مصادفة من تلك
المصادفات التى تدبرها الملابس عرّضا واتفاقاً.

وعاتبته على هجره. وأجابنى بأنه لم يكن يظن أنى سأقادي فى
حبه لأنه كما قال لى فى عباراته: «لست من وسطكم ولا من
بيئتكم وأعرف أن لكم تقاليد تمنع الزواج من خارج العائلة..

وأعرف أنكم محافظون ومتزمتون.. ولهذا آثرت أن أبتعد عن طريقك لاتيح لك فرصة نسياني مع أنى ما زلت أحبك واحترمك وأحترم عائلتك، ولكن ماذا يفيد مثل ذلك الحب.. وما نهايته؟.

وأجبتة بالبرهان الوحيد الحى الصادق.. وهى تلك السنوات الطويلة التى مرت دون أن تغير التقاليد من حبى، ودون أن توهن من شعورى.. ومن لقائى الأول معه أملت بكثير من طباعه.. ورأيتة على عكس ما تصورته.. خشن المعاملة.. قاسى التصرفات.. وبرغم ذلك فقد ازداد تعلقى به.. وزاد انضاح صورته فى خيالى حبى اشتعالاً.

وأصبحت ألتقى به كلما سنحت الفرصة لقاءً لا يستغرق أكثر من ساعة.. وأراه فى أثناء ذلك الوقت القصير يكتفم رغبات قوية ويجاهد كى لا يمسنى بسوء..

ومر عام على هذا المنوال ثم أخذ يماطلنى كلما طلبت منه موعداً ويعلل ذلك بأنه يخاف وضميره لا يسمح له أن يعرضنى للإشاعات، ويقسم لى أن شعوره لم يتغير ولكنه يخشى على سمعتى أكثر مما يخشى على عينيه، وأنه يتمنى أن يلقانى كل يوم.. ويقول لى.. يجب أن تفهمينى.

وأنا لا أستطيع أن أفهمه ولا أن أفهم أطواره.

واليوم انفتح الطريق الذى ظل مسدوداً منذ أجيال.. وتورد كثير من أبناء وبنات العائلات المحافظة على التقاليد البالية..

وتزوجت الكثيرات من عائلتنا عن حب.. وسنحت الفرصة ليتقدم ويطلب يدي.. ولكنه لم يتقدم.

وقد سمعت عنه أنه يكره المسئوليات.

وفي كل مناسبة يردد على سمعي قائلاً إنه: لولا أولئك الأبرياء «أولاده الثلاثة» لما مكثت مع زوجتي سنة واحدة. وأنا كرامتي تأبى عليّ أن أقول له.. جرب الزواج مني، فستان ما بيننا، أنا والزوجة التي تعيش معها.. أنا التي أحبتك بلا أمل وظل قلبي وفيّاً لك طيلة ١٣ سنة أقدم لك الحب والحنان والرعاية بلا غرض.

هذا مع العلم أنه تزوج قبل زواجه الحالي بزوجة أولى طلقها بعد أن صدم فيها.. فهو يخشى أن يدخل في تجربة زواج ثالثة. لا تقل لي ياسيدي «أنت بلا ضمير» فضميري لم يمّ ولكنه في غيبوبة منذ أن استمعت إلى شكواه ويأسه من حياته مع تلك الزوجة.. وهو الآن يسكن في منزل مستقل عنها ولكنه قريب منها.

ماذا سيخسر بزواجه مني؟

إنني أذوب حرقه على حرمانى من لذة رعايته والسهر على راحته، وليس لي أمل إلا أن يضمنا بيت واحد.

وسؤالي الأخير ياسيدي.. هل هذا الرجل يحبني؟

ج. أ.

* * *

إذا كان سؤالك هل يحبك ذلك الرجل كما تحببته.. فالإجابة قطعاً أنه لا يحبك كما تحببته.. فحبك هذا حب غريب أسطوري رومانتيكى خرافى لا مثيل له إلا فى قصص ستيفان زفايج. أنت ترفضين زوجاً من عشيرتك هو ابن عمك من لحمك ومن دمك لمجرد خيال فى بلكونة.. خيال لم تبادل به كلمة واحدة، ولم تعرفى طباعه ولا شخصيته.

وكما تقولين فى كلامك بالحرف.. حينما التقيت به أول لقاء بعد ١٣ سنة من لقاءات الخيال.. صدمك فيه أنه رجل آخر.. خشن الطباع.. قاسى التصرفات.

لقد عشت ١٣ سنة تحبين رجلاً آخر غيره.. رجلاً صورته لك خيالك.

ولو أنك عاشرت فى بيت واحد لاكتشفت كل لحظة صورة جديدة.. لرجل جديد لا علاقة لك به.

وأنت حينما تقولين أنك أحببت تلك الصورة الجديدة القاسية الخشنة منه.. فإنما أنت فى الحقيقة تعزين نفسك وتهونين الـ ١٣ سنة من الخيالات الكاذبة.

ولكن الحقيقة أن هذا الزواج الذى تصورين منه جنة الجنات من الممكن أن يفشل.. بل إن فشله هو الاحتمال الغالب.. لأن هذه العلاقة الملتهبة كانت طول الوقت تقوم فى فراغ.. إنها علاقة بينك وبين نفسك.. وبينك وبين خيالات.. أكثر منها علاقة بينك

وبين رجل آخر حقيقى من لحم ودم.

والحقيقة أن رجلك يتصرف بعقل وحكمة.. هو يعلم الآن أنه لم يعد رجلاً واحداً، وإنما أصبح رجلاً وزوجة وثلاثة أولاد.. حينما يتزوج بهذا الجيش.. ثم يعود فينجب من جديد جيشاً آخر من العيال فالتعاسة والفقر والنكد وتعب البال وكثرة العيال.. هي النتيجة المنتظرة.. وليست السعادة ولا جنات الحب الوارفة. ورجلك الآن يعلم أنه فى الثالثة والأربعين، أى أنه مقبل على خريف عمره.. بينما أنت فى الـ ٢٧ ريعان أنوثتك وبيع عواطفك ورغباتك الحادة كامرأة عاشقة، قلبها جانع وجسدها جانع بحرمان ١٣ سنة.. وهى تحلم بإشباع ذلك القلب وذلك الجسد. ومثل ذلك الإشباع بالنسبة لرجل فى الثالثة والأربعين مسألة شاقة.. ولكل سن طاقات وحدود.

وأعتقد أن ذلك الزواج الذى تحلمين به سيكون زواجاً شقيماً تعساً... مليئاً بالمنغصات.

إن رجلك على صواب فى ابتعاده عنك.. فهو يريد أن يغلق الباب الذى تأتى منه الريح ويستريح. وهو قطعاً لا يحبك كما تحبينه.

وهو يعلم حدوده ولا يريد أن يفتح على نفسه باباً لا يقدر عليه، وهو يعلم أنك أحبيته فى الأحلام.. فلتستمر القصة إلى نهايتها فى الأحلام.. فهذا أفضل من أن تنكسر رقبتك ورقبتك على أرض الواقع.

الكلام العيب

أنا فتاة.. لا أدري بماذا أصف نفسي.

سنى ١٨ سنة، شكلى عادى، أو هو كذلك فى نظرى.. أما كل من يرانى فإنه يقول إنى أمتاز بسمرة لذيدة وجسم شهى. حتى البنات يتغزلن فى جسمى أحياناً فى شعرى الطويل مثل فحمة الليل، ومثل هذا الغزل كان دائماً يجرىنى وكنت أقابله دائماً بوجه متجهم وبوز شبرين فاشتهرت بأنى بنت أخلاقها دوغرى واسمها نضيف وعفيف مما جعل العرسان والخطاب يتزاحمون على الباب.. وهذا هو ما يبدو من حياى فى الظاهر. أما الباطن.

أما الجانب المظلم الآخر الذى لا يراه الناس.. فهو المشكلة وهو المسألة التى أقف عندها حائرة ضائعة. وسوف أدع الخجل جانباً.. وأكشف لك مأساقى التى لا يعرفها إلا أنا وهو والله.

وهو موظف فى الشركة التى أعمل بها. كانت علاقتنا سطحية حتى حدث أن قامت الشركة برحلة ترفيهية إلى الفيوم.

وعلى شاطئ بحيرة قارون.. وبين الضحك والتهريج..
واليوستفندى سقط حجاب الكلفة عن وجهى كما سقط عن
وجهه ورأينا بعضنا نتكلم كأصدقاء قدماء نعرف بعضنا من مليون
سنة. ونلعب ونضحك ونتماسك بالأيدي.

وعدنا من الرحلة.. ولكن بعد أن تغير شىء فى نفسى..
كما تغير شىء فى نفسه.

وأصارك بحق.. أن هذه أول مرة يهفو قلبى إلى رجل..
فهو إذن الحب الذى يقولون عنه.

والتقينا بعد ذلك فى أماكن عاتمة.. ثم فى السينما.

ومرة بعد مرة بدأت أيدىنا تتماسك فى الظلام.. ثم بدأت
تسرح.. وأصارك بأنى كنت أشمئز من نفسى بعد كل مرة..
وأنظر إلى نفسى فى المرآة وكأنى امرأة أخرى لا أعرفها.. ولكن
الفضول إلى ذلك العالم المجهول الذى تحكى عنه روايات السينما
كان يجبرنى جرًّا كأنى منومة مغناطيسيًّا.

أصبح الحديث يتدرج إلى مواضيع بذئثة.

كنت أحيانًا وأنا أسمعه يتكلم أغوص فى مقعدى من شدة
الحجل، ولكنى لم أكن أمنعه من الاسترسال فى بذاءته.. كان فى
أعماق قلبى جانب خبيث وضع فضولى يريد أن يعرف كل
شىء..

وهكذا وجدته يكلمنى عن الجنس والحب بكلمات مكشوفة،

ربما لو كنت سمعت كلمة منها من رجل آخر لبصقت في وجهه.
كيف أصف لك نفسى؟.. كنت أسير وراءه كالعمياء.. وقد
تخدرت إرادتى.. ونام عقلى تمامًا.
ثم حدث بعد ذلك فجأة.. وبينما أنا فى أعماق التخدير الذى
يشبه الحلم.. فجأة.. انقطع عنى.

لم يعد يكلمنى.
لم يعد يطلب منى ميعادًا.
لم يعد يقابلنى.. ولم يعد حتى يبتسم فى وجهى.
وجننت.. وطاش عقلى.
وأصبحت أنا التى أتهالك عليه وأطلب منه المواعيد، واللقاءات
فى السينما.. وهو ينظر إلىّ فى شroud ولا يرد.

وفى اللقاءات المختلصة فى الطريق العام.. وفى نزعات الظلام
على الكورنيش قاللى إنه يخاف علىّ.. ففى كل لحظة يمكن أن
تحدث مصيبة.. وفضيحة.. وهو يخشى علىّ.. ويخاف على سمعتى..
ثم هو يحببى، يحببى جدًا يعبدنى، هكذا يقول.. ويريد أن يستأثر بى
ويحتلى بى.. يريد أن يرى كل قطعة من جسدى ليتملى بجماله
المذهل.. تصور!

أنا أعرف أنك بدأت تلوى شفطيك اشمزازًا.. حسنًا.. أنا
أيضًا مشمززة من نفسى.. ولكنها الحقيقة.. وإذا كان هناك أمل فى

نجاتى فلن يكون إلا بأن أقول الحقيقة.. وكفانى كذبا على كل الناس.

ولن ينجبنى أن أخفى رأسى فى الرمال كالنعامة وأخدع نفسى وأدعى أن لا شىء قد حدث.

وسوف اختصر لك الحكاية.. فهو كان دائماً يحدثنى عن قريب له موظف فى الريف يسكن فى قفلا وحده.. وأنه يحب أن يستضيفنا.

وهكذا ذهبنا تحت شعار قضاء يوم فى الريف، شعار برىء جداً. وقام قريبه بواجب الضيافة كاملاً.. ثم خرج وأصبحت القفلا خالية إلا منا نحن الاثنين.

وما بقى من الحكاية تستطيع أن تراه فى أى سينما فى السبتية يتكرر كل ليلة بين شكرى سرحان وفاتن حمامة. أو أحمد مظهر ونادية لطفي. أو كمال الشناوى وسعاد حسنى.. إلى آخر هذه التباديل والتوافيق فى قصة واحدة لها ألف اسم.. قصة واحدة لها ألف صورة فى أحلامنا نحن بنات الـ ١٧ والـ ١٨، قصة ترددها الإذاعة فى كل أغنية. من أول: كفاية أصحى على شفايفك. تعال يا لله فى غمضة عين لشادية، إلى شوقى الشاعر الكبير الوقور العظيم وهو يقول: ودخلت فى ليلين فرعك والدجى.. ولثمت كالصبح المنور فاك.. والمعنى يكسف طبعاً. يعنى إيه دخل فى فرعها اللي زى الليل. والغنا على أيام جدتى وستى كان ألحن.

غثوة مثل: أحبكها وأشبكها بميتين دبوس وأعض وأبوس. إلخ
حاجة تموت من الكسوف.

بقولك كده عشان تعرف أن إحنا يا بنات ضحايا.. بنغلط.
لكن مش احنا وحننا الغلطانيين.. إحنا لانا ودان ولنا عينين. ومش
عايشين لوحننا.. إحنا في مجتمع وبنتاثر بكل شىء فيه.
مش بقولك كده عشان أعذر نفسى. أبداً أنا عارفة إني
غلطت لكن عاوزه الصورة كلها تبقى واضحة قدامك.

نعود إلى حديث الصراحة. فأقول لك إن أثر هذا اليوم
المشهدود فى نفسى كان عكسياً. نعم لم أشعر بالسعادة التى كنت
أرسمها فى خيالى.

بالعكس. انهارت أحلامى واصطدمت بواقع الجنس، لذاته
ثوان معدودة، ثم بعد ذلك لا شىء سوى ملامح مقززة. وقرف
حقيقى يتمنى الواحد أن يهرب منه بأسرع ما يمكن. واختصر لك
ما حدث أكثر. فأقول أن هذا كان آخر لقاء بيننا، حاول هو بعد
ذلك ألف محاولة ومحاوله العودة إلى نفمة: نفسى أركع لجمالك
وأتملى بكل ذرة من مفاتنك.. إلى آخر هذا المسرح. ولكنى كنت
قد تحصنت نهائياً ضد هذا الهراء.

وأنا أشعر الآن أنى لن أعود فأضعف وأتورط فيها لا أقنتع به،
ولكنى أعود أحياناً فأشعر بالحيرة. لماذا تحدثنا الأغاني عن هذا
القرف فى علاقة الرجل والمرأة. لماذا تكذب علينا الروايات.

فلا تأخذ من القصة كلها إلا الثلاث ثوانى المعدادات إياها. ثم تقطع على منظر شاعرى أكثر كذباً.. على شراع فضى سابح فى النيل، أو زهرة يانعة أو عصفور يغرد أو شاعر يخرف. إذا كان الحب شيئاً رائعاً كما تقولون أيها المؤلفون. فلا بد أنه شيء آخر غير ما فعلته أنا.

نعم. أنا لا أستطيع أن أخدع نفسى. فما فعلته لم يكن حباً، وإن كان قد خيل إلىّ فى كل لحظة أنه الحب الذى لا حب بعده.. إلىّ أشعر بالحيرة ولاشك أنك تعرف أكثر منى فى هذه المسألة. المخلصة أ.

* * *

فى الكلمات التى قتلها صدق كثير. وإن كان صدقاً محزناً. فحكاية الحب الأول هى أكبر كذبه روجتها الأغاني والروايات. فالحب الأول لا يمكن أن يكون حباً حقيقياً.. فحب الـ ١٦ والـ ١٧ هو حب الفضول والرغبة أمام كل شيء.

مجهول تدفع نحوه الغريزة الفجة العمياء بكل ثقلها. إنه حب يخلو من عنصر الاختيار لأن الغريزة هى التى تختار. والخلوة هى التى تحدد.. الذى يظهر فى شباب الجيران يتحول تلقائياً إلى موضوع الحب لمجرد كونه من الجنس الآخر.. لا لأنه فلان الذى يتصف بالشخصية الخاصة التى تحب.

والأغاني والروايات كما تقولين تشحن الفضول وتصور

للاثنين جنة ساحرة خرافية وأكذوبة من المتع لا وجود لها.
ولسان الحال يقول: «نفسى أشوف كل حنة فى جسمك».. إنه
الفضول الشديد.. الذى يتصور أن الجنة فى كل حنة محبوبة.
بمجرد فضول تشريحى جسدى ودموع بدون مناسبة.. هذا هو
الحب الأول.. الكذبة التى اكتشفتها بنفسك.

ولأنك عدت إلى طبيعتك السوية بسرعة اكتشفت أنه
لا يمكنك أن تعيشى مستعبدة لعلاقة كل غرضها هذه الثوانى
المعدودة.. والحب الحقيقى لا بد إذن أن يكون علاقة يستمتع فيها
العقل والقلب والروح.. وتكون العشرة البسيطة العادية.. وأحياناً
حتى التواجد معاً فى صمت له متعته العميقة الباقية.. انه التقاء
كامل على جميع المستويات الإنسانية.. وليس بمجرد ثوان فى شقة..
الحب ليس فضولاً ولا اضطراباً، ولكنه وضوح وصراحة واختيار
لا يجد الرجل فيه داعياً للتآمر ونصب الفخاخ لسحب رفيقته إلى
شقة.. ولكنه ببساطة يتزوجها لأنه يجد أنه يحتاج إليها فى عديد
من الأغراض الإنسانية ليس لمجرد غرض واحد مدته ثلاث
ثوان.

وطبعاً هناك بين الرجال والنساء من يعتقد أن الثوانى القليلة
من المتعة يمكن أن تكون هدفاً كافياً للحياة.. ومثال هؤلاء يمكن
أن يعيشوا على مستويات خنزيرية يأكلون ويتضاجعون فقط،
ولا هدف غير ذلك.. ولكن ما يمارسونه لا يمكن أن يسمى حباً،

ولا يمكن أن يكون الواحد منهم إنساناً سوياً.

وإنسان الكهف كان يعيش كالحيوان.. وكان ينام من المغرب فلم تكن الكهرباء قد دخلت كهفه بعد.. ولم يكن يجد لعبة يلعبها طوال الليل سوى لعبة النسل. ومع ذلك فإنسان الكهف الأول كان يقضى وقتاً طويلاً يرسم على جدران كهفه.. حتى هذا الحيوان الأول كانت عنده لذات أخرى يبحث عنها.. وكان له وجدان وخيال.

والآن.. بعد مليون سنة هناك كهرباء وصناعة، ومسرح وسينما وتلفزيون، ومتاحف ومعارض وكتب وفن وفكر وعلم.. وعالم اللذة الإنسانية ازداد عرضاً وطولاً وعمقاً.. ولم يعد مجرد ثوان في ظلام الجرسونيرات.

الإنسان وصل إلى القمر.

والكون كله قد انفتح أمام الإنسان بكامل كنوزه.. وجماله وألغازه.. وهناك لذات عظيمة متاحة.

لذة المعرفة.. ولذة الخلق.. ولذة الاختراع، ولذة السيطرة على الطبيعة بما فيها.. ولذة الجمال الفنى.. ولذة الاكتشاف، ولذة المساهمة في قضايا عظيمة عادلة.. ولذة بذل الحياة في سبيل التقدم، وفي مثل هذا العصر الخصب باللذات يكون الإنسان الذى يعيش محصوراً في لذته الجنسية مستعبداً للثوانى المعدودة.. إنساناً مريضاً.

وكلامك عن الروايات والأغاني التي تركز على الحب الجنسي
باعتباره اللذة الوحيدة كلام في محله.. فهي تنقل للحياة صورة
ناقصة جداً.. صورة خادعة.

واعترافك خطاب مفيد لكل من يمسك قلماً في بلدنا ولكل من
يؤلف أغنية أو يكتب رواية.

زوج يلعب الورق

أنا شاب مهندس فى وظيفة كبيرة بإحدى الشركات الصناعية الكبرى بالإسكندرية من أسرة متوسطة.. أساعد أهلى ببعض المال شهرياً.. ولكن حالتى تتدهور باستمرار نتيجة إدمان طويل للخمر.. بدأ بكأس لفتح الشهية.. وبعد الكأس أخرى لإنعاش المزاج.. ثم شلة من الإخوان حول الجمذانة.. وسمر وسهر.. وليلة تحيها بالويسكى.. وليلة بالكونياك.. وآخر الشهر تنكشف بشراب الكوكانيللى ومع الكأس سيجارة أصبحت الآن مائة سيجارة يومياً.

ومع الكأس والسيجارة أصبحت تفرش لنا مائدة عند أحد أفراد الشلة.. وتدور الكروت للتسلية وقطع الوقت.. كونكان.. ثم بوكر بفلوس على خفيف.. ثم قمار وسهر صباحى على أصوله.. ومع الخمر والخسارة آخر الليلة زحفت سيارة المخدرات إلى الشفاة التعسة لتحمل العزاء والنسيان.

وهكذا.. أصبحت تجمعنا مائدة واحدة كل ليلة.. مجموعة من الشبان وبعض الساقطات..

وتعودت أن أصرف كل مرتبى في الأيام الأولى من كل شهر
ثم أُلجأ إلى الاقتراض.. ثم ابتزاز المال. ثم إلى التوسل للمال
بطرق ملتوية غير مشروعة.. وكل يوم تتحطم نفسيتى أكثر..
وأضل طريقي أكثر.. وتتعدّد سبل حياتى أكثر وتسد أبواب الأمل
باباً بعد باب.

وفي ظلمة الليل الذى انعقد سواده على رأسى فكرت فى
مهرب أخير.. فكرت أن أغير حياتى.
أن أتزوج.. وأبدأ حياة جديدة نظيفة.
وتزوجت بفتاة فى العشرين من عمرها.. فتنة وجمال ورشاقة
وثقافة وإخلاص.

وقلت فى نفسى إن مثل هذا الجمال لا بد أن يملأ الفراغ الذى
يدفعنى إلى تدمير نفسى.

ومر شهر العسل ومرت فى أعقابه الأيام يوماً بعد يوم يحير
بعضها بعضاً فى ثقل ورتابة.. الجمال تعودت عليه لم أعد أحس
به.. والمتع الحلال تحولت إلى واجبات فاترة.. وحياة النظافة
والنظام أصبحت فى عيى مثل حياة المصحات.. مثل الطعام
المسلوق مغذ ومفيد لكن لا تهفو إليه الشهية.. والبيت السعيد
أصبح سجنًا غليظ القضبان يسكنه الملل والضجر.

وبدأ الحنين الخبيث إلى شلة الأنس يسرق منى عقلى.
لحظات اللهفة والشوق وأنا. أكشف ورقى فى انتظار كونى كان

أو كاريه آس.. قلبى وهو يدق دقات الانتصار وأنا أكسب
الترابيزة وأجمع الفلوس.. رأسى وهى تدوخ بطعم الكأس ودوار
المخدر.. والدردشة البذيئة المنطلقة من كل قيد.. والقهقهات
المخمورة التى تخرج من أعماق الأحشاء.. والسباب الذى يريح
الأعصاب ويفش الغل.. والفوضى، ولذة الفوضى.. والحرية ولذة
الحرية وانعدام المسؤولية.. والإقدام على أى شىء.. حتى على
الخراب بدون حسيب ولا رقيب.

ولم أستطع المقاومة.

كأن عاشق الفوضى فى داخلى أقوى منى.

وعدت إلى الماضى الأسود.

وأصبحت أرجع كل ليلة إلى بيتى فى الثالثة صباحاً سكران
أترنح وأصبحت المشكلة مشكلتين والضجة ضجتين.. أنا وزوجتى
التي أصبحت تعيش محرومة من كل شىء.

ومرت الشهور.

نكد بالنهار.. وسهر بالليل وفشل يعقبه فشل أغرقه فى طوفان
من الخمر.. حتى جاء نهار لا أنساه.. حينما ضبطت خطاباً غرامياً
من شاب يقطن بجوارنا إلى زوجتى.. رسالة مليئة بالعبارات
الساذجة والأشعار.. لكن يستدل منها على وجود علاقة فعلية بين
الشاب وبين زوجتى.. قرأت الرسالة ودارت الدنيا حولى
واشتعلت النار فى رأسى.. وأفقت.. أفقت لأول مرة.. وبكيت..

لاشك أننى كنت السبب فى كل هذا.

وتركت الرسالة فى مكانها.. وبدأت أراقب زوجتى لأتأكد من صحة ظنونى.

وعشت فى شك وعذاب.. وقد تأكد لى أخيراً أن ظنونى فى محلها.. لم أكشفها مطلقاً بحكاية الرسالة.. ولم أصارحها بتصرفاتها، بل كتمت كل شىء فى نفسى وحاولت أن أملأ حياتها.. وقاومت لأصلح من حالى.

وقررت أن أبدأ شهر غسل جديد فأخذتها فى إجازة شهر بأسوان وفى هذه المرة نجحت.. وجدت السعادة التى افتقدتها وجدت المتعة والاحترام والانسجام وراحة البال.. وطلبت منها الصفح والمغفرة وبينى وبين الله سامحتها فيها ارتكبت.. لقد كنت على يقين أن خطأها كان بسببى.

وتغير كل شىء فى حياى وصفت لى الدنيا.

ورزقنى الله بمولودة كانت كل أملى فى الحياة.

وعشت شهوراً خمسة كأسعد ما يكون الزوج الأب، ثم حدثت الكارثة.. أصيبت بنتى بشلل ثم ماتت بعد أيام من مرضها، وقال الطبيب إنها ولدت غير مكتملة النمو بسبب ما كنت أتعاطاه من خمر ومخدرات.. ونصحنى بعدم الإنجاب لأن نطفتى ستكون دائماً ملوثة.

وعلى أثر ذلك أصيبت زوجتى بصدمة عصبية ثم رقدت طريحة

الفراش مريضة بقلبها، وقال الطبيب إنها أصيبت بروماتزم القلب، وإنها في دور متأخر من المرض ولن تبرا. وتحولت الحياة في البيت إلى مقبرة.

زوجتى لا تتحرك في فراشها.. وأقل مجهود يؤدي إلى حالة أليمة من اللهاث والسعال.

أحضرت لها خادمة لتخدمها.. ثم نشأت بيني وبين الخادمة علاقة ثم تعقدت الأمور فطردتها.. كانت حالتي النفسية قد وصلت إلى درجة من اليأس ومن السوء لدرجة فقدت فيها عقلي.

وتفاقم مرض زوجتى وأصبحت معقدة، وعرضت على أن أتزوج فتزوجت من أرملة لها طفل عاشت معنا في البيت.

وكانت النتيجة أن أصبحت المشكلتان ثلاث مشاكل زوجتى تنحدر إلى حالة من الحزن والهم والألم النفسى يوماً بعد يوم.. وتتعذب بسبب زوجتى الثانية وما تلقيه على أسماعها من عبارات بذئنة ودعوات بالموت العاجل.

وزوجتى الثانية تخرج من التلميح إلى التصريح، فتطلب منى أن أطلق زوجتى المريضة أو أطلقها هي.

وأقول لها إنها على فراش الموت وإنها قاربت على نهايتها، فتقول إنها بسبعة أرواح، وإنها سوف تحصد أعمارنا كلنا قبل أن تموت.

وأنا حائر، تعبان من كثرة ما عانيت من المشاكل، كلما حاولت الخروج من مشكلة أقع في مشكلة.. حياقي أصبحت كابوسًا فظيماً.. وحالى مثل حال غريق فى الرمال المتحركة كلما حاول أن ينقذ نفسه غرق أكثر.. ولاشك أنك سوف تعذرني فى كثرة أخطائى فقد فقدت عقلى لكثرة ما عانيت فى سنوات حياقي القصيرة.

هل تظن أن هناك مخرجاً؟

مهندس

٢٠٤

* * *

أنا لا أعذرك فقد فعلت كل ما فعلت بإرادتك واختيارك... وأنا إذا عذرتك لأنك فقدت عقلك.. فكيف أعذرك وقد فقدت ضميرك.. وكيف أعذرك وقد فقدت إنسانيتك وأنت حائر فى مشكلة لا تدعو إلى حيرة أو تردد. وجه الحق واضح.. أن تطلق الزوجة الثانية.. وتقف إلى جوار زوجتك الأولى.. الشهيدة التى تحملت جحيمك وأنانيتك ونزواتك ومرارك وظلمك.

إن السؤال هو: كيف تزوجت عليها! كيف واتتك الشجاعة أن تعذبها وهى تموت بزوجة أخرى.

وما وجه المتعة بزوجة أخرى في مثل هذا الجو المقعم
بالتعاسة.

كيف نواتيك الشهية.. أم أنها شهية حيوان.
حتى الحيوانات لا تأكل الميتة.. وأنت تأكل الميتة.. ومهندس!
وموظف كبير!.. كمان!

الشك

سوف تدهش إذا قلت لك إنى أعيش بفكرة واحدة متسلطة على عقلى صباح مساء.. فكرة تلح على رأسى كالكابوس. قد بدأ هذا الكابوس من خبر فى ثلاثة سطور قرأته ذات يوم مشنوم فى جريدة.. عن أحد أقسام البوليس الذى استدعى زوجاً ذا مركز كبير ليتسلم زوجته المحترمة المصونة المكنونة صاحبة العفاف بعد أن ضبطها فى منزل يدار للدعارة.

من هذا اليوم الأسود وأنا أتصور نفسى فى مكان هذا الزوج . ولعلك تدهش أكثر إذا قلت لك إنى لم أتزوج لهذا السبب. كلما فكرت فى الزواج تصورت هذا المصير الشنيع وأنا واقف فى قسم البوليس أتصيب عرقاً أمام الضابط المختص، وهو يقرأ على محضر اكتشاف وكر الدعارة وينادى زوجتى من التخشبية حيث تجلس على الأسفلت مع المومسات.

صورة بشعة تطاردنى كلما فكرت فى الزواج من أى امرأة. حتى ولو كانت ملاكاً.

أقول لنفسي إنى أخرج من البيت فى الصباح الباكر
ولا أعود إلا فى المساء، وعملى يقتضى أحياناً التغيب عن البيت
فى سفرات طويلة.. والفراغ والوحدة والملل ومعاكسات شباب
الجيران ومطاردات الطلبة المتسكعين والكلمات المعسولة فى
التليفون بعد منتصف الليل كفيلة بالقضاء على أى زوجة.
وقد تفتح الزوجة رواية لتتسلى وتبعد عن نفسها الضجر،
ويتصادف أن تكون الرواية من الروايات الجنسية الرخيصة
وما أكثرها فتجر رجلها إلى الهاوية.

وقد تدخل السينما فتقع فى إغراء أكثر وأكثر.
واعذرني فى مخاوفي فعالم اليوم عالم بلا جذران.. فالصحيفة
تسلل إلى بيتك من تحت عقب الباب، والمعاكسات تقفز إليك من
سلك التليفون، والإغراء يدخل إليك من التليفزيون.
وملابس النساء العارية أشنع.. إنها دعوة صريحة للعناق
بالحلال والحرام.. وأنت وشطارتك.

وزحام المواصلات يختلط فيه الحابل بالنابل ويساعد أى
صعلوك على بلوغ أغراضه وأكثر.. وإذا كان معك كارت وغرة
تليفون يمكنك أن تضعها فى أى يد من تعجبك فتبلغ المراد من رب
العباد فى ثوان.

وهناك ألف حجة وحجة للخروج من البيت.. الخياطة..
والكوافير.. ودكتور الأسنان.. والسوبر ماركت.. إلخ.

ولا يمكن أن يكون الواحد منا زوجاً وجاسوساً وضابط
شرطة، وسوف تكون النتيجة أن نعيش بالتكال ونخليها على الله
والنهاية معروفة.. إشارة من البوليس لتسلم الست التي ضبطت في
وكر للدعارة.. يا نهار أسود كيف تريدني أن أتزوج.. مستحيل!..
إن سنى الآن ٣٥ سنة.. وإيرادى كبير.. ومنصبى كبير، وأنا
عز الطلب.. ونفسى أتجوز.. لكن مشنقة الشك في رقبتي، وكابوس
الفضيحة والخزى والعار يلاحقنى.

أنا فى عذاب ولكنى لا أجد حلا.. كيف أضمن أخلاق المرأة
التي سأتركها فى البيت وحدها وأسافر شهراً.. لا ضمان.. إذن
فلا زواج.. أعطنى ضماناً واحداً وأنا أتزوج الشيطان.

ك

* * *

أنت رجل عجيب.. لقد أضحكتنى والله العظيم.
أنت تقول إنك قرأت خبراً فى ثلاثة سطور عن الزوجة التى
أبلغ البوليس زوجها عن ضبطها فى منزل للدعارة فامتنعت عن
الزواج.. ومع ذلك يا سيد أنت تقرأ كل يوم عن أنوبيسات
تحترق.. وأنوبيسات تتصادم فتتهشم.. وحوادث شنيعة بالعربات
يموت ركاها وتكسر عظامهم.. تقرأ عن قطارات تخرج عن
القضبان.. وعن عمارات تنهار على سكانها.. ومع ذلك تركب
القطار.. وتتراحم لتقفز على كرسى بالأتوبيس وتنام ملء جفونك

فى عمارتك ولا تفكر فى أنها قد تنهار.

أنت تقرأ عن السرطان المؤكد الذى يهدد كل مدخن.. ولكنك
تشرب سجاىر.. وأنا أحلف من شخصيتك العصبية أنك مدمن
سجاىر درجة أولى.

أنت تنقصك جميع الضمانات إذن ومع ذلك تغامر.. لا تعطيك
شركة النقل العام ضماناً بسلامتك من حوادث الأتوبيس، ومع
ذلك تركب فى أى أتوبيس مع الشكر.. وتقف فى طابور لتحتجز
تذكرتك فى قطار الإسكندرية وأنت تدعو الله أن تجد تذكرة..
وطبعاً لن تحصل مع التذكرة على شهادة ضمان.

ضمان إيه إالى إنت جاي تقول عليه.. مفيش ضمان يا عم فى
أى حاجة.. ومع ذلك بنعيش وأنت كمان بنعيش.

حاول أن تكون عاقلاً فى اختيارك لزوجتك.. ثم اتكل على
الله واتحجز.. واللى يحصل يحصل.. إنت كمان مغسل وضامن جنة
يا أخى؟!

أما تبقى تحصل المصيبة إالى إنت خايف منها وتروح تستلم
الست من قسم البوليس، إبقى قول لحضرة الضابط.. إنها
بتحصل فى أحسن العائلات.. وطلع له الجريدة القديمة عشان
يصدق.. وبعدين امسح عرقك.. وطلقها بالتلاتة، أنت قبلت
الموت وعشت مع أنك عارف أنك حاتموت.. عشت تفكر فى
مشاريع للمستقبل مع أن مستقبلك ومستقبلنا جميعاً فى القرافة.

ومفیش أشنع من الموت. ومن لم یرض بالخوخ یرضی
بشرابه.

والحياة مغامرة تحتاج إلى الرجل الشجاع. وهى فى العادة
تعطى نفسها وتعطى ثمارها للرجل الجسور الذى لا يهاب.
وتأكد أنك لو تصرفت بشجاعة ورجولة فلا يمكن أن تخونك
زوجتك، فالخيانة الزوجية مهانة للزوجة ومرمطة أكبر مرمطة
لكرامتها، ولا يمكن أن تندفع الزوجة إلى خيانة زوجها إلا إذا
فقدت كل أمل فى بيتها ورجلها، وإلا إذا فقدت عقلها ولحسن
الحظ ما زالت الزوجات الخائنات قلة ونادرة وما زالت الفضيلة
والإخلاص والوفاء الزوجى هو القاعدة.

الشيخ قفة

أنا طالب في الثانوية العامة سنى ١٨.. أقيم مع أبى وأمى.
وأعطيك وصفاً سريعاً للأسرة، فأبى رجل في العقد الخامس
من عمره، متدين جداً، يصلى الفجر حاضر ويصوم في غير أيام
رمضان ويسهر الليل يتلو القرآن. ويصادق الوعاظ في الجوامع
ويحفظ كلماتهم ومواعظهم ويطبقها في حياته على نفسه وعلينا،
وينذر النذور للأولياء ويقيم الختائم لأهل الله. وأمى أكثر منه
تديناً، كل أول شهر تذهب بالفول الثابت للست.. وعلى رأسها
الطريحة لا تفارقها.. والاثنتان طيبان جداً لدرجة السذاجة
ومحبوبان من أهل الحى.. ويقصدهما الجميع للبركة والفوز
بالدعوة الصالحة والتوسط عند الله.

ولى أخت أكبر منى.. صالحة مثلها، تزوجت الآن وسافرت مع
زوجها لتقيم في أحد المراكز بالصعيد.

وأبى وأمى ليس لهما الآن غيرى.. وهما قد كرسا كل حياتهما
من أجل وريثانى على الأخلاق الحميدة والدين الحنيف، والصلاة
والصوم والكلم الطيب.

ونشأت على هذه التربية الدينية والأخلاق الطيبة المسالمة
لدرجة أنى أصبحت سخرية العابثين فى المدرسة، يلقبونى فى كل
مكان بالشىخ قفة.. الشىخ قفة جه.. الشىخ قفه راح.

ولكنى لم ألتفت إلى السخرية ونذرت نفسى للدرس
والتحصيل والاستذكار إلى جانب واجبى الدينى من صلاة وصوم
وقراءة قرآن، وكنت دائماً أنجح بتفوق وأتقدم زملائى فى
الترتيب.. فى أواخر هذه السنة وأنا منهمك فى الدرس والمذاكرة..
مرضت والدق بالحمى.. ولأزمها المرض مدة حتى أقعدها فى
النهاية بروماتزم مفصلى.. ومن يومها وهى لا تستطيع أن تعمل
أى شىء فى البيت. وأخذ والدى يبحث لها عن خادمة تقوم
بشئون البيت.. وبعد الجهد والبحث المضى جاء لها بخادمة.. فتاة
فى مثل عمرى تقريباً.. جميلة جداً.

وبدأت الفتاة تباشر عملها فى همة.. ودخلت فى قلب أبى وأمى
وأصبح لها فى البيت مكانة الابنة... وخصتها أمى بأحسن المعاملة.
ولم أحفل بها فى بداية الأمر.. فقد كنت كعهدى كل سنة..
أعطى التفاتى كله لدروسى.. ولكن الأمر بدأ يتطور.

كانت تدخل لترتيب غرفتى وأنا أستذكر فى ساعة متأخرة فى
الليل.. وتركع إلى جوار الكراسى متظاهرة بترتيبها، كاشفة فى
خبت عن ساقىها.. ثم تنظر إلى بجانب عينا نظرة ضاحكة فى
إغراء، ثم تتلوى على ظهرها لتمسح رجل الكرسى وتكشف لى

جانباً آخر من ساقها.. وأنا أستغفر الله وأدفن نظري في الكتاب الذى أطلعه.. فأنا بفطرتي الدينية أنفر من كل ما يغضب الله وأبتعد عن كل ما يحرمه.. وكانت لى طريقة فى المشى أنظر فيها إلى الأرض وأغمض بصرى عن كل إغراء يصادفنى فى الطريق.

ويبدو أن هذه الطريقة سببت للفتاة الغيظ.. ودفعتها إلى نوع من التحدى فبدأت تتجراً أكثر فى معاكستها.. وأخذت تعبت يديها فى قدمى وهى ترتب ما تحت المكتب وتقرصنى فى ساقى.. وكنت أنهرها بشدة.. وأشتمها.. فكانت تتكوم فى ركن وتبكي، وترفع جلبابها فى خبث لتمسح دموعها فتكشف عن جسمها واستغفر الله وأستعيذ الشيطان.

وكنت أخشى أن أشكوها إلى أبى فأتير الظنون والريب.. وكنت أعرف فى النهاية أننا فى أشد الحاجة إليها.. وأن أُمى طريجة الفراش لا تتحرك. وأنى سوف أثير بذلك مشكلة بلا حل وأظلم أُمى فى النهاية.

وسلمت أمرى لله.. وحاولت أن أحتمى من الغواية بالصلاة والقرآن. واستشار الفتاة أنى أنصرف عنها بعد كل هذا فبدأت تتفنن فى أساليبها.

وفى إحدى الليالى جاءتنى لأصلح لها سوستة الفستان التى انقطعت.. وطبعاً نهرتها بشدة وشتمتها.. ولكنى أعترف أنى اختلست نظرة إليها.. وفى تلك الليلة بكيت بشدة.. واشتعل

في جسدى لهيب عذبني عذاباً رهيباً.. وظلت تلك النظرة المختلطة
شاخصة أمامي طوال الليل.. وتشتت مخي فلم أستطع أن أذاكر
حرفاً، وفكرت أن أقول لوالدي.

ولكن والدي لم يكن بالرجل الذي يقال له هذا الكلام..
ولا حتى نصف هذا الكلام.. إن التفكير - مجرد التفكير - يمكن
أن يكون عنده ذنبا أكبر.. والخيال يمكن أن يكون خطيئة عظمى،
وأكثر الرغبات براءة هي عنده منكرات فظيعة بشعة.

وفكرت في حل أنقذ به نفسي وأنقذ به مستقبلي. هو أن أذاكر
عند أحد أصدقائي وأعود في وقت متأخر كل ليلة بعد أن يكون
الكل قد نام.

وبدأت في الحال.

وشعرت براحة نسبية. وإن كنت - وهذه هي الصراحة - لم
أكف عن التفكير فيها لحظة واحدة.

كان هناك شيء قد بدأ ينهش مخي من الداخل أصارعه
وبصارعني.. ولكني لم أفكر في عمل أي شيء.

كنت قد أصبحت مدنس الخيال.. ولكني ظلمت طاهر اليدين
إلى أن جاءت ليلة مشئومة.. أبى فيها بيت في الحسين في ليلة
مولده الكبيرة.. وأمى نائمة في فراشها.. وعدت أنا في وقت
متأخر من الليل من عند صديقي.. لأفاجأ بالفتاة نائمة في
فراشي.. وليرحم الله كل الخطاة.. وليتب على جميع المذنبين.

لقد سقطت من نظر نفسى منذ تلك الليلة إلى الأبد.
وليت الأمر وقف عند هذا الحد.. ولكن الفتاة اللثيمة بدأت
تستغلى.. وتستغل طبيعتى.. فبدأت أساعدها فى غسل الأطباق وفى
مسح الأرض.. تحت التهديد.. وانعكس الوضع فأصبحت هى
التي تأمرنى.. وتهددنى بالفضيحة خوفاً وضعفاً.. ثم بدأت تقول
لى.. لا أحد ينفع لك سوى.. لماذا لا تتزوجنى، سأكون خادمته
إلى الأبد.

ويعلم الله أننى أنا الذى أصبحت خادمها منذ تلك الليلة..
وانقطعت عن المذاكرة وانقطعت عن الصلاة وأصبحت أكره
نفسى وأكره الدنيا، وتكرر اتصالى بها.. حتى كان - منذ أيام -
أن ضيقنا والذى معاً.

وأغمر على الرجل وأصيب بانهيار عصبى. وانقطع عن
الطعام، وانقطع عن الكلام.. وراح فى نوبة من الاستغفار، ثم
تكلم أخيراً.. لا ليطرد البنت.. وإنما ليطردنى أنا.. ابنه الوحيد.

وخرجت إلى الشارع أبكى.. ولم أجد بيتاً أنام فيه.
ولم أكن أعرف من العائلة إلا زوج أختى وزوج أختى
لا يكره أحداً فى الدنيا كما يكرهنى.. وهو رجل بخيل لا يفكر فى
إطعام كلب.. وأنا حالياً أبيت فى السينمات وفى الجوامع وعلى
كراسى الحدائق، وأحياناً على دكة فى محطة السكة الحديد
واقترض القروش من أصدقائى لأشتري الخبز.

وأنا نادم مستغفر.. ولولا بقايا إيمان لانتحرت.. ولكن ماذا
كان يمكنني أن أفعل.. قل لأبي.. ماذا يمكن أن أفعل..
م. هاشم

* * *

أبوك ظلمك..

وهو معذور...

وهو لم يتخيل عذابك.

وهو لم يمر على المرحلة التي مررت بها، فهو غالباً كعادة آبائنا
تزوج في سن مبكرة، ولم يعرف أحكام المراهقة.. وخصوصاً حينما
يطاردها الإغراء.. وأبى إغراء.

وكان التصرف السليم أن يطرد البنت ويستبدل بها خادماً
لا خادمة. فبقاء النار مع الكبريت بدون احتراق مستحيل، وفي
سن المراهقة وفي لحظة الإغراء تتغلب الطبيعة على العقل
والغريزة على الحياء.

هذه أخطار طبيعية في الحياة ولا نستطيع أن نغير الحياة ولكننا
نستطيع فقط أن نتجنب أخطارها وننظم رغباتها وحوافزها.
ونحن بشر ولسنا أنبياء.. ولا يجب أن نطالب بما يطالب به
الأنبياء.

والحكم التقليدي بأن الرجل دائماً هو الذئب المفترس والمرأة

هى الحمل الوديع والضحية.. ليس سليماً فى كل الأحوال.
ولا شك أنك - ياشيخ قفة - كنت الحمل الوديع وكبش
الضحية وأنت كنت فريسة لا ذنباً.

وعلى أبيك أن يعود بك إلى البيت قبل أن تصبح الغلظة
غلطتين، وغلظة الأب ستكون أبشع، إذ أنها سنلقى بك إلى
مهاوى التشرد وستكون جريمة ضد المجتمع.. لا سقطة واحدة مع
فتاة.

الفرق بين الغرام والزواج

أنا فتاة وحيدة أبوى مع ثلاثة إخوة ذكور، وأنا الكبرى.. جميلة كما يقول كل من يرانى.

كنت منقولة إلى السنة النهائية من المرحلة الثانوية التجارية وكان هو قد انتهى من امتحان الثانوية العامة، وفي انتظار ظهور النتيجة ويقطن فى الشارع الذى خلف شارعنا، وكنت أراه وأعتبره طفلاً صغيراً، أو بمعنى أصح «عيل».. لكن الظروف جعلتنا نتقابل ونتحدث.. ولم أعده بشيء سوى الصداقة.. ووعدنى هو بالزواج من أول لقاء، لأنه يحبنى من زمان قوى كما قال.. ولم أحاول أن أجاريه.. لكن بعد ذلك وجدته قد تعلق بى إلى حد الجنون وأصبحت أنا كل شيء فى حياته.

وبدأت أحس أنى مسئولة عن ذلك ووجدتنى أحبه وأجاريه فى حبه وأتعلق به.

وظهرت نتيجةته. وكان راسباً، ووجدته يائساً محطماً.. لا يعنيه فى الدنيا سوى أمل واحد.. هو أن أقف بجانبه.

المهم.. مرت الأيام وجاء العام الدراسى الجديد، وأصبحنا

تقابل كل يوم خميس بعد الانتهاء من الحصص وبدأت المشاكل من شباب الحى.. اشمعنى يعنى العيل ده.. وكل يوم مشكلة فى البيت، اشمعنى ده وبترفضى الدكتور والمدرس والغريب والقريب، ومع كل مشكلة أجده يائسًا فأشجعه على المذاكرة فيقول لى: لن أستطيع المذاكرة إلا إذا عرفت أن أحدًا لن يستطيع أن يأخذك منى.. وأكثر من هذا.. يطلب منى أن تنزج سرًا، على أن يبقى كل منا فى بيته ولا يعلم أحد بشىء.. ووافقته. وافقته لأنى كنت أعلم أنه لو ظل طول عمره يتقدم إلى لما أجابه أحد إلى طلبه.. ولطردوه من على الباب.

وافقته وكلى إحساس بأنى سبب كل العذاب الذى يعيش فيه.. وافقته دون أن أفكر فى نفسى وما يمكن أن يحدث لى.. أردت فقط أن أسعده وأعاونه على النجاح.

وهكذا تم له ما أراد.

وظللنا على حالتنا لا يجمعنا سوى اللقاء فى أثناء الذهاب إلى المدرسة أو العودة منها.

وحدثت مشاكل فى مدرستى بسبب رؤيته فى الذهاب والعودة، وكثرت الإشاعات.. ولم أستطع أن أصرح بحقيقة علاقتنا. وفى يوم طلبت منى الناظرة أن أحضر ولّى أمرى.

ولم أستطع بالطبع أن أقول لأبى حتى لا تنكشف الحكاية.. وحضر هو باعتباره زوجى وأحق بولاية أمرى.. وانتهت المقابلة

بسحب أوراقى من المدرسة لأنه لم يعد من حقى البقاء بها بعد عقد قرانى. وتحولت استمارة امتحانى إلى امتحان من منازلهم. وظللت مخفية كل هذا عن أبى وأمى إلى أن كان اليوم المشؤم الذى تطوع فيه أحد شباب الحى بإبلاغ أخى أنى لا أذهب إلى المدرسة.

وذهب أخى إلى المدرسة وعرف كل شىء، وكانت خناقة للسبا ولكنى صممت على موقفى ولم أسمع كلام أهلى بطلب الطلاق.. ووقف الجميع ضدى.. وانهاى على أبى وأخى وعمى باهانتهم وضربهم ولاحتقنى أمى بدموعها، ووصل الأمر إلى درجة التهديد بقتلى ولكنى لم أتزعج.

وأمام إصرارى لم نجد العائلة حلاً سوى الإذعان. وهكذا تم إعلان القران وحضر المأذون فى ليلة صورية على سبيل المظهر فقط.

وعند هذا تصورت أن المشاكل قد انتهت، والحقيقة أنها انتهت لتبدأ بسيل من الأوامر.. لا خروج مع زوجى.. لا أراه ولا يرانى، وطبعاً لم يسكت زوجى ومعه حقه وسلاحه.. وأيدته فى موقفه.. ووقفت فى وجههم مرة أخرى.

وأصبحنا نخرج معاً برغم أنف الجميع. وفى هذه الأثناء ظهرت نتيجةنا نحن الاثنين.. وطبعاً كانت السقوط بجدارة فى جميع العلوم.. ومن أين لنا بالعقل الذى نركز

به في المذاكرة ونحن وسط هذه المشاكل.

وركب زوجي الخوف.. وطالب والدي بالتعجيل بالزفاف..
ورفض والدي.. كيف يوافق على زفاف من زوج لم يدفع مهرًا ولم
يقدم شبكة.. زوج مازال طالبًا في الثانوى.
وكيف ندخل بدون جهاز.

وأصر زوجي على أن يدخل بي.. ووقفت إلى جانبه ضد أهلى
جميعهم.. وكنت أقول لنفسي إن الظفر لن يطلع من اللحم وأنهم
بعد الزواج سوف يرق قلبهم لى حينها يروننى سعيدة.. حينئذ
سوف ينصلح كل شىء..

وقد حدث ماتوقعته.. فما لبثت أُمى أن زارتنى (كنت قد
انتقلت إلى شقة والده)، وأحضرت لى ملابس وهدايا عديدة من
أحذية ونقود ومصاغ..

وهكذا بدأنا حياتنا.. أو مأساتنا.

نعم.. فلم تكن تنتظرنا الأحلام الوردية التى كنا ننسجها نحن
الاثنين ونحن نتمشى على الكورنيش بعد الحصى.. وإنما كان
ينتظرنا الواقع المرير بما فيه من حساب البقال والجزار
والأجزجى، والأب يدفع ونحن ننفق.. وأنا حامل فى الشهر الأول
وفى حالة قىء مستمر.. والأب والابن فى حالة خناق مستمر..
الأب لا يريد أن يدفع.. والابن يشتم.. يشتم أباه.. ثم يستدير
ليشتمنى تصور.. يشتمنى أنا التى ضحيت فى سبيله بمستقبلى

وسمعتى وعائلتى.. ثم لا يكتفى بأن يشتمنى بل يعتدى على بالضرب.

وانتهت الخناقات المتصلة بأن انتقلنا لنعيش فى شقة مستقلة والتحقت بالعمل فى إحدى الوزارات لكى نجد ما نفتات به.

لكن زوجى الحيلة.. طالب الثانوى بدأ يدمن الكيوف والمخدرات وكأنه لم تكفه المرمطة التى مرمطى فيها.. وبتهريض من أمه بدأ يلاحقنى بالإهانات.. إنتى إلى خيبتى.. وإنتى إلى ضيعتى مستقبلى.. أنا إلى ضيعت مستقبله؟! تصور..!!

وفى آخر خناقة بيننا أوسعنى ضرباً ولطماً لدرجة تركت آثارها فى وجهى إلى الآن برغم مرور شهور.. ثم طردنى من البيت.. والآن.. وقد بلغت قصتى نهايتها لم يبق لى شىء أفعله. إنه لا يريد أن يطلقنى.. ولا يريد أن يصلحنى ومصيبتى أنى أحبه برغم نذالته.

أقول هذا وأنا خجلى من نفسى.. ولكن ماذا أفعل فى قلبى، أفكر أن أشكوه لأخذ ولدى ولكنى لا أجد الجرأة على هذه الخطوة.

ولا أتصور أنى أتقدم لمقاضاته فى محكمة.. كيف أفعل هذا وأنا أحبه.

أرجوك لا تلمنى فقد أخذت من اللوم والتأنيب والتهزىء
والضرب ما فيه الكفاية وما فوق الكفاية.

لم يرحم أحد عذابي ولم يشعر أحد بأني مجروحة وإنما لطمنى
كل واحد بكلمة زادت جروحي.
أنا أعرف أنه لا يحبني.. وأنه لم يكن يحبني، وإنما كان يحب
نفسه.

وقد ساعدته في أن يتمادى في أنانيته.. ثم أصبحت ضحية
أنانيته في النهاية.. ولكن ماذا أفعل وقد حدث كل ما حدث
وانتهى الأمر.. ولم يعد بإمكاننا أن نغير الماضى.

«....»

* * *

نحن لا نستطيع أن نغير الماضى.. ولكننا نستطيع أن نغير
المستقبل.

إن الاستمرار في هذا الزواج سوف يؤدي إلى مزيد من
الأولاد المشردين المعذيين في بيئة كلها خناق.. ومزيد من
التضحيات بدون ثمرة وبدون نتيجة وبدون أمل في هناء أو
استقرار.. والطلاق في النهاية مؤكد.. فلماذا لا يكون الآن.
أنت تحبينه.. أنا عارف.. ولكن الزواج ليس فراش غرام..
الزواج مسئولية ولياقة وواجبات.

والزواج حق لمن يقدر عليه.. وليس حقاً لكل طالب ساقط صايع.

حبي وموتى فى الحب على كيفك.. ولكن الزواج له مؤهلات ليس أولها الحب.. وإنما أولها القدرة على فتح بيت ورعاية أسرة وتحمل واجب والاضطلاع بمسئولية.

وإذا كان كل التهزىء واللوم والتفريع والعذاب إلى شفتيه لم يفتح عينيك على هذه الحقيقة.. فإن هذا له معنى واحد.. أنك فى حاجة إلى مزيد من التهزىء.

إن الواقع لن يرحمك، فلماذا تريدنى أن أكذب عليك. لماذا تريدنى أن أتخالف عليك مع الزمان ومع زوجك حتى نقضى عليك باسم الحب.. وأى حب.. إننا لسنا أحراراً فى أن نسمى أمراضنا حباً.

وما بك مرض، وليس حباً..

حينما نعشق الفشل والتفاهة (وزوجك حسب كلامك طفل وعيل) فنحن مرضى ولسنا مغرمين.. حينما نحب الفقر والفشل فنحن ناقصو عقل وناقصو عاطفة.

ولا معنى لأن تتركبى هذه السلسلة من الأخطاء ثم تقولى لى أرجوك ارحم عذابى ولا تلمنى.. ارحمى نفسك أنت أولاً واحفظى نفسك من الانزلاق إلى مزيد من الأخطاء.

أما إذا كانت نيتك أن تشتغلى وتعالى البيه.. وتاكل على

دماغك.. وتستمتعي باللطمت والشتائم والطرْد كل يوم.. فهذا
وضع آخر.. وأعتقد في هذه الحالة أنه لم يكن هناك داع لكل هذا
الخطاب الطويل الذي سطرته.. ما دمت قد أحببت قسمتك
ومصيرك إلى هذا المدى.

أنت سوفاج

٢٥ سنة موظف جامعى بالإسكندرية، عرفت بين زملائي بحسن الخلق والشخصية التى يحبها الجميع.

تقدمت لخطبة فتاة رشحها لى بعض أقاربى.. قالوا لى إنها من عائلة محافظة وإنها عاشت عمرها فى الصعيد بين قنا وأسيوط، وأنها فوق ذلك مثقفة تعلمت فى اللبسيه فرنسيه وتخرجت من كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية.. وأهلها كمان ناس مبسوطين ومستورين.

ورأيتها وأعجبتنى شكلا.

لم يعد هناك ما يدعو للتردد.

تقدمت لخطبتها.

وكان يوم الخطبة يوماً من أيام حياق السعيدة..

ثم شيئاً فشيئاً بدأت تنكشف لى مشكلة عويصة لا حل لها. فالعروسة الدلوعة ولو أنها تعيش فى مصر.. ولو أنها أكلت مش الصعيد، إلا أنها تعيش بجسمها فقط بيننا.. أما روحها فهى

في حالة تخليق دائم ترفرف بين باريس ونيويورك وفيينا ولوكسمبورج وإكس ليبان.. ذوقها فرنساوى وأخلاقها أمريكاني، لا تسمع أم كلثوم وإنما تسمع الفيس بريسلى، ويغنى عليها من داليدا، لا تستطعم «الملوخية» ولكن «المايونيز».. لا تشرب الشاي في الصباح وإنما «الكافيه أوليه»، لا تتحدث إلا عن الزيارات القليلة التي ذهبت فيها مع أهلها لقضاء الصيف في الخارج.. في فرنسا أو النمسا أو سويسرا.. ترقص الدوجو دوجو.. البوجى بوجى.. والهولا هولا.. إلى آخر هذا الشيكابم الذى لا أفهم فيه حرفاً.. تنطق الراء «غين».. وأنت مش «سبوغ»، قاعد فاتح «الغاديو» على أم كلثوم، ياي بتشرب ملوخية إيه «القغف ده»، دى حاجة زى الغيالة.. (الريالة) سوفاج، يا تانت تعالى شوفى.. (تانت اسمها سكينه ولايسة طرحة).

إنت إيه ده بتمسك السكر (بتنطقه السوكخ) بإيدك.. إيه ده، إنت اتعلمت فين. إنت بلدى أوى.. فيه ملقاط مخصوص علشان «السوكخ».. إيه ده، إنت «فاتيجان» أوى.. (فاتيجان فى القاموس يعنى متعب).

والقاموس هو الشريك الثالث الذى لم يعد لى غنى عنه.. فحديثها كله فرانكو أراب.. بين كل كلمة وكلمة عربى (عغبى). عشرات الكلمات أمثال، مانيفيك.. شارمونت. أمور..

جا غدان.. حاغون.. فرير.. مشوار (دى معناها منديل) مش
المشوار بتاعنا.

دما شربات، بتاكل عقلى من جوه.

وعندما تقول مون اموغ (يعنى يا حبيبى).. ركبى بتسيب،
باموت فيها لكن مفيش أمل، مفيش تفاهم، مفيش مستقبل..
مفيش حاجة واحدة بحبها هى بتحبها.

وأنا باستمرار فلاح انيرون (يعنى جاهل).

وأنا رجل محافظ مش ممكن أفكر أرقص معاها فى مكان عام
ولا خاص.. هى ماعندهاش مانع ترقص مع أصحابى..
وأنا بأكل الفول والعدس والعيش الملدن وأحبس بالشاى..
وهى عاوزة توست.. وأومليت.. والاكوك.. وروستو (من أنواع
اللحم المشوى ربنا يوعذك).

البنطلون (البتالون) الهيلانكا المحزق لبسها العادى فى البيت
طول النهار.. وتسريحة شعر فرنسواز ساجان، هى تسريحتها
المختارة (يعنى تسيب شعرها فوضى على قورتها).

تقرأ الموند وبارى ماتش والسوار، ولا تفتح مجلة عربية
ولا كتاباً عربياً.. تتكلم عن مصر كأنها سائحة وليست مصرية
مولودة نى أسبوط فى حضن الجبل.. حاتجننى.

كل يوم أقتنع وأزداد اقتناعاً أن حياتنا معاً مستحيلة. وكل يوم
أحبها أكثر وأعبدتها أكثر.

هل أقامر بسعادي وأقتل عقلي ومبادئى وأطاول عواطفى
وأترزوها (أنا مسيحي والجواز عندنا رباط أبدي).
حالى بقت قطران (قطغان على رأى الست).

س.
إسكندرية

* * *

أهغب بجلدك يا آموغ.
الحب ده حابوديك طوكغ.

اختطاف..

أنا من بلد الحضارات والحرية لدرجة الفوضى، أنا من لبنان، ولكن قصتي بعيدة عن الحضارة والحرية كل البعد، وأمل في اعترافي هذا إن لم أصل إلى نتيجة أن أكون قد نفست عن قليل مما بنفسى الطافحة بالعلقم.

ولتدرك ما أعنى أعود لثلاث سنوات مضت حين أعلنت خطوبتي لشاب من نفس بلدي يقولون إنه عندما رآني لم يبق حب في الدنيا، لأنه منحني كل ما في الدنيا من حب.. وكلف أخواته أن يراقبني، فجاء التقرير عن سرق مما جعله يستमित ليحقق أمنيته بخطوبتي.. وكنت لغاية ذلك الوقت لم أفكر بالزواج، ولكن أهلي وأهله أفتعنوني بأن أجرب، وبأن فترة الخطبة للتعارف والتفاهم كفيلة بإقناعي.

وأعلنت الخطبة.. ولكن بعد الشهر الأول اكتشفت أنه ليس بالضرورة أن يتفاهم وينسجم شخصان يقول الناس عن كل منها الصفات الحميدة. وبما أن الزواج شركة يجب أن يكون طرفاها راضيين منسجمين وهذا ما لم يحدث من طرفي فقد قررت أن

أفصم الخطبة ولا أفكر بالزواج مدة طويلة.. فرجوت أبى أن ينهى الأمور بسلام، ولكن الشاب المثقف المتعلم فى أمريكا رفض أن يستمع وقال: «سأعتبر أننى لم أسمع شيئاً، وسأعزف كيف أجعلها تحببى».

ومضت السنوات الثلاث وأنا فى محاولات يائسة، وكلما تقدمت خطوة وتباعدا أرسل وجهاء عائلته لأبى ليسأله عما يكرهنى فيه، فلا يستطيع أبى ذكر صفات محددة وتعود (شعرة معاوية لمكانها). وأنا لا أستطيع أن أرفع صوتى أمام الرجال لأنهم سيعتبرون رفض شاب مثله لن يكون إلا بسبب رجل آخر، وهذا غير وارد.

ولكننى صرحت للخطيب نفسه بأننى لن أتزوجه. فأجاب بأنه أهون عليه أن يقتلنى أو يقتل أحد أفراد العائلة (إخوتى) الذين أحبهم من أن يتخلى عنى، ويكفينى أنه يحببى وسيجعل كل إمكانياته لإسعادى.

لحد هنا والمسألة عادية ممكن أن تحدث فى كل زمان ومكان. أما ما حدث بعدها فهو ما يكاد يفقدنى صوابى.

كنت ذاهبة للسوق مع صديقة لى، وإذا بسيارة خطيبى الذى رددت له خاتمه وهداياه تقف قريباً، وإذا به يتوجه بالكلام لصديقتى: «هل تسمحين لى بمحادثة خطيبتى بمسألة هامة».. ولأنه لم يسبق لى أن خرجت معه وحدى خلال الخطبة الرسمية لمدة

ثلاث سنوات فقد تشبثت بصديقي، ولكن موقفها أمام نظراته أصبح حرجاً فانسحبت على أن تنتظرنى بعيداً.

(أشعر الآن بالحقد والكراهية والكرامة الإنسانية المهانة تتزاحم لتصور نفسها بكلمات من قلمي، ولكننى سأحاول كتابة الحوادث المجردة لأننى أعتقد أن قلمي أعجز من أن يعبر عن شعورى).

وهنا سحبنى من يدى إلى السيارة بمنتهى القرصنة وانطلق بى هارباً خارج المدينة إلى ضاحية قريبة حيث أعد من أهله وبعض أقربائه الذين اعتبروا رفضى إهانة للعائلة الكريمة شهود زواج.. وهددنى بأننى إذا فتحت فمى بكلمة أو قلت ما يخالف أقواله أمام الكاهن فسيشير لأحد المأجورين فيذهب لقتل شقيقى الأكبر (اقتلنى أنا ولا تمس شعرة من رأسه بسوء)، وكنت فى دوامة بل دوامات وتعطل عقلى عن التفكير وتبلد.

وهناك قال للكاهن إننى أحبه وهو يحبنى وأن أبى يعارض الزواج وأنا فوق العشرين.

وتم الزواج.. لا، لم يكن زواجاً بل تم الاغتصاب بتحريض من أهله آل.. لا لن أظلم الحيوانات المسكينة بتشبيههم بها.. وكذلك وعدت أن أكتب بلا عواطف.. هل يمكنك تصور أو تصوير شعورى آنذاك.

لا أظن بالرغم مما أعرفه من بلاغتك.

أما أهلى فلا يمكن تقدير صدمتهم عندما ذهب أحد الرجال
الأشاوش (الذين زفّعوا رأسهم لأن الولية المفوعة لم تستطع أن
تنال من كرامتهم ورجولتهم برفض قريبهم)، وأخبر أهلى أن
زواجنا تم وأنا سافرنا لأحد الأقطار العربية الشقيقة لقضاء
شهر العسل. فى حين كنت قعيدة البيت مع أهله الحرس جريحة
الكرامة لا أدرى ماذا أفعل.

والآن ليس المهم كيف تصرف أهلى أو أهله. بل المهم كيف
تصرف الشخص الذى يريدنى أن أشاركه الحياة السعيدة وليس
الشقاء.

هل يمكن لرجل بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان أن يهين
رجولته بالتراعى على امرأة لا تريده، وأن يهين كرامتها وشرقا
ويدعى بأنه يجبها.

إننى أحس بنار تحرقنى وغشيان يمزقنى كلما أراه، فرؤيته تقترب
بالرعب والاعتصاب والأنوثة الجريحة فتطمس على عيني فلا أرى
أى صفة حميدة فيه.. ولكنه يقول إن الزمن سيمحو هذه المشاعر
الحاقدة وسأخبه كما يحببى.

أحياناً أحاول أن ألغى شعورى وكيانى وتفكيرى وإنسانيتى
كلها وأعيش كآلة لأن دينى يمنع الطلاق، ولا اعتبارات عديدة
أظنك تدركها بالرغم من عدم كتابة التفاصيل.

لا أدرى ماذا أفعل فأنا برغم مرور شهور كثيرة مازلت فى

دائمة، فهو مسكين بأهله الذين كانوا يذكرونى بنار محبته وأشعاره
وبأنتى سوف أفقده رجولته وكرامته إذا رفضته.. هذا مع العلم
أننى لم أذكر شيئاً عنه حتى لأعز الصديقات ولم أكن أذكر أننى
سأتركه، وإذا عرف أحد من الناس أننى أنا التى كانت ستتخلى
عنه. فقد عرف عن طريق الوسطاء الذين كان يرسلهم.. وأهله
الذين دفعوه للتصرف بهذه الطريقة، وحتى هم الذين حثوه على
الاغتصاب قبل أن يعلم أهلى بحادث الاختطاف حتى
لا يستطيعوا التصرف.

كم أرغب لو أعبر عن شعورى كما أحسه، ولكن ليس هذا
وقته فقد بقيت دقائق ويعود «السيد» إلى الفندق الذى نزل فيه
فى بلد عربى شقيق قدمنا له منذ مدة وأخشى أن ينعنى من إرسال
هذه الرسالة إذا رآها.

وفى النهاية أظن أننى ضحية وسأظل ضحية شعورى المرهف
الذى جرحه الحادث، وإلا فما رأيك؟

لو أن رسالتك كانت مؤرخة فى القرون الوسطى لكان أمرها
طبيعياً، ففى العصور المظلمة القديمة كان الرجل يعبر عن حبه
للمرأة باختطافها والهرب بها على ظهر حصان. هكذا كان حال
شمشون زمان.. وكانت دليلاً لا تشعر أنها مست قلب الرجل إلا
إذا سارع باختطافها.

كان الاختطاف لغة رومانتكية يتخاطب بها العشاق.

والغريب أنى فى زيارتى للقبائل فى جنوب السودان وجدت بعض القبائل مازالت تمارس اختطافاً صورياً فى كل زواج، كجزء من الشعائر التقليدية لعقد القران، فيقوم العريس على رأس شلة من أصحابه باختطاف العروس فى يوم متفق عليه بين الطرفين.

ويحمل العريس عروسه بين الزفة والتهليل وهى تصرخ وتولول الحقونى.. الحقونى.. انقذونى من هذا الرجل.. أنا لا أريد أن أتزوجه.. أعيدونى إلى بيت أبى.. الرحمة.. النجدة.. أنا أكره هذا الرجل، يا ناس يا خلق هو.. (طبعاً كلام كده وكده من وراء القلب)، وتنتهى التمثيلية بقضاء العروس للأسبوع الأول من شهر العسل معتكفة فى كوخها تسوق كل صنوف الدلال والثقل على عريسها.. وفى آخر الأسبوع يصلحها عريسها بأن يهدى إليها بقرة.. وبذلك تبدأ الحياة الزوجية الطبيعية.

وهذه التمثيلية تكشف عن اللذة الغريزية التى يشعر بها الطرفان من عملية الاختطاف.

وأعتقد أن ما حدث لك لم يحدث بقصد جرح كرامتك وإهانة أنوثتك.. وإنما هو بقية من هذه الغرائز البدائية واللذة الشمشونية فى الاختطاف.. وهى لذة كانت تشارك فيها دليلة وتستمتع بها كما يستمتع بها الرجل وكانت تعتبرها تشريفاً لها ولأنوثتها لا جرحاً لها.

أذكر منذ سنوات في لقاء مع سائحة أمريكية وكانت مليونيرة،
أنى سألتها عن الحلم الذى تمناه.. وتصورت أنها ستقول لى إنها
تحلم بامتلاك جزيرة فى هاواى.. ولكنها قالت ببساطة، أتنى أن
يخطبنى عربى جميل وهرب بى على ظهر حصانه.

إن هذا الحلم القديم لم يمت إذن.

إنه مازال يعيش فى عقول بعض النساء.. كما إنه مازال يعيش
فى عقول بعض الرجال.

ورجلك لم يكن معتدياً.. وإنما كان عاشقاً.. صورت له أحلامه
وأحلام عائلته من القبضات.. أنه بخططك سوف يبدو فى نظرك
ونظر أصحابه أكثر رجولة وأكثر حباً.

وأنا طبعاً أوافقك على أن هذه الطريقة الهمجية انتهى زمانها
ولم تعد تليق بامرأة عصرية ورجل عصى.

ولكن ما دام الفأس قد وقع فى الرأس على رأى العوام..
وما دمنّا أصبحنا أمام واقع، الطلاق فيه يضر أكثر مما ينفع..
فلماذا لا تنظرين إلى المسألة بطريقة أكثر تفاؤلاً.. وتطرحين
عنك هذا الإحساس بالكرامة المهيئة.. (وهو على أى حال
إحساس خاطئ كما ذكرت لك).. وتبدئين علاقتك مع زوجك
بتسامح وبقلب مفتوح.

ومن يدرى.. فقد تثبت لك الأيام أن زوجك فارس فى حبه
وعشرته كما كان فارساً فى زواجه.. وقد تكشف لك الأيام عن

الزيجة التي بدأت بمنظر سينمائي إنها زيجة هائلة ناجحة..

إنك لن تخسرى بهذه التجربة أكثر مما خسرت.

أعتقد أنه لا مانع من تجربة.

زوجى لا يغازلنى

أنا سيدة فى الثالثة والعشرين من عمرى، زوجى رجل فى الأربعين، تزوجنا منذ ست سنوات وأنجبنا طفلين.. بنت فى الخامسة وولد فى الثالثة والنصف، زوجى لا يحمل أى مؤهل دراسى، كل المؤهلات التى جعلته زوجًا لى هى ورشة ميكانيكية وسيارة أجرة من موديل حديث يدران عليه دخلا حوالى ١٩٠ جنيهاً فى الشهر.

غير أنه يمتلك غير هذه المؤهلات مؤهلا أكبر، فهو يملك أمًا مسيطرة مفترسة لها لسان عقرب وهو يعبدها ويقدها، ويمتلك أبًا ضعيف الشخصية سلبته الأم كل مقومات الحياة من شخصية وصحة وشباب، فهو ليس أكثر من حيوان أبكم تأمره فيأتمر وتنهيه فينتهى، فقد كان فى شبابه عاملا يدويًا فى أحد المصانع وتقاعد الآن بحكم السن طبعًا وليس له أى معاش.. ويملك زوجى أيضًا اثنين من الاخوة، واحدًا فى كلية الطب له فيها ثمانى سنوات وهذه سنة البكالوريوس التى لا أتوقع له الفوز فيها إلا بالأقدمية.. والاخ الثانى فى كلية الهندسة وهذه أول سنة ومازال

المشوار طويلاً أمامه ويملك أيضاً المصيبة الكبرى.. أختاً مطلقة لها خمسة أولاد، اثنان منهم في الثانوية العامة وطبعاً سيلتحقون بالجامعة في العام القادم، ولها ولد في السنة الأولى الثانوية، ولها ولد آخر لا يزال في المرحلة الابتدائية.. وهذا الجيش المكون من عشرة أفراد يأكلون الزلط ليس لهم أى عائل غير زوجي المحترم فالست أخته خاتمة وماضية أنها ما تاخذش من مطلقها نفقة لكى لا يطالبها بالبلاوى بتوعها.

سيدى.. لعلك تسأل الآن وما هى مشكلتى.. أن هذا الجيش الهائل هو مشكلتى.. إن مصاريفهم تبتلع أكثر من ثلاثة أرباع دخل زوجى.

وكان يمكن أن أحتمل لو أن زوجى بنى آدم، ولكن للأسف أنا بمنتهى الصراحة متزوجة من حيوان لا هم له إلا العمل لكى يستطيع أن يفى بطلبات هذا الجيش.

تصور يا سيدى أنه يخرج في التاسعة صباحاً فلا يعود إلا في الحادية عشرة مساءً.. أربع عشرة ساعة في اليوم أقضيها في الفراغ والضياح والثروة مع الجيران في كلام فارغ.. وأخيراً يعود في منتصف الليل محطماً مرهقاً ليلقى في فمه بيضع لقيمات لا يعرف لها طعماً، ثم يذهب لينام كالقتيل.

تصور يا سيدى أنه لم يبد إعجابه يوماً بما أصنعه له كل يوم من أكل وحلوى وخلافه! تصور ولا تحسب أنى أبالغ، إنى لم

أسمع في حياتي إلى الآن كلمة حب واحدة حتى ولا في أيام الخطبة.. كل ما أعرفه عن الحب أقرؤه في القصص والمجلات، فأنا لم أجربه في حياتي قط فقد تزوجت وأنا في السابعة عشرة، وبالرغم من أني كنت في المدرسة الثانوية قبل الزواج إلا أنه لم تتح لي فرصة الاختلاط في يوم من الأيام، فعائلتي محافظة جداً، والحب في عرفها عار يا سيدى أن زوجي لا يعرف أن يتكلم في شيء في الفترات القصيرة التي يقضيها في المنزل غير السباب بالفاظ بذيئة فهو لا يكف عن سب أبى وأمى بدون أى سب سوى أنه رجل معقد عنده شعور عنيف بالنقص. فعائلتي على النقيض من عائلته.. أبى رجل لم يبلغ بعد الثالثة والأربعين ذو شخصية فذة ووالده رجل عديم الشخصية وهو رجل موسر يملك مصنعاً ومحلاً لبيع أدوات الرياضة.. أنا أعرف أنه يقارن دائماً في خياله بين والدى ووالده، ولكن ما ذنبى إذا كان الله قد خلق أبى وأباه على طرفي نقيض.

أما معاملته لى فلا أستطيع أن أصفها يا سيدى فقد عشت طوال الست سنوات الماضية في معركة عنيفة وحرب أعصاب لا تنتهى، فأنا أحارب لكى أستطيع أن أحفظ به. وعائلته في الناحية الأخرى تحارب حرباً أعنف لكى تسترده، فهو في نظرهم دجاجة تبيض ذهباً فعندما زواجه كانوا فاهمين أن الحكاية مش حَتطول ولما طولت فهم لا يكفون عن تسليطه على ضربى وإهانتى. أما هو فهو يطيعهم طاعة عمياء وهو أيضاً يخاف إن

عاملتى معاملة طيبة انقلب وأصبح مثل أمه المتوحشة، ويصير هو كأيبه لا حول له ولا قوة ولذلك فهو حريص على أن يثبت وجوده بمناسبة وبدون مناسبة. أضف إلى هذا يا سيدى أنه بخيل. إنه يعتقد أنى ليس لى مطالب أكثر من الأكل والشرب فيبقى دائماً ملىء بأنواع عديدة منها، ولكنه يعذبى ولايتوانى عن ضربى عندما أطلب بضعة جنيهات لأشترى بعض لوازمى الخاصة مثل الملابس وغيرها وتكون النتيجة أن مصاريفى هذه يتحملها أبى راضياً وبروح طيبة. ولكنى أكون فى غاية الخجل.

وقد تقول يا سيدى ولماذا قبلت الزواج منه، والحقيقة أننى وأسرتى كنا نعلم كل شىء عن ظروفه، ولكن أبى لم يكن له هم إلا أن يرانى سعيدة، وأنا كنت أيامها جاهلة مثل معظم البنات فى سن السابعة عشرة كانت أحلامى تنحصر فى أن ألبس الحلقة الذهبية الجميلة التى أفضل عليها الآن حلقة حديدية فى سجن النساء.. وأحلم بالطرحة البيضاء وباليمنى ما لبستها قط إلى اليوم.

والآن، ياسيدى وقد حكيت لك عن مساوئه ولو أنى لن أوفيها حقها مهما كتبت فسأتكلم عن الحسنة الوحيدة فيه، إنه يعبد أولادنا وهم يعبدونه بشكل جنونى، إنه لا يتوانى فى تلبية طلباتهم مهما كانت وقد ألحقهم بحضانة أرقى المدارس وهو فى منتهى الحنان بالنسبة لهم.

والآن ياسيدى لى سؤالان سوف أعلق مصير حياتى كلها على ضوء الإجابة عليهما.

- ١ - هل أمومتى وحبى لأولادى وحرصى على مستقبلهم يجب أن تكون السبب الوحيد فى بقائى مع هذا الرجل الغبى الذى أكرهه من أعماق أعماقى وتمضية بقية عمرى معه؟
 - ٢ - أيهما أفضل: أن يتربى أولادى فى بيت واحد مع أبيهم الذى يحبونه فى هذا الجو المشحون دائماً بالسباب والضرب منه وبالبكاء المستمر منى، أم يتربون بعيداً عنه فى جو أفضل؟
- سيدى لو أعطيتنى إجابة واضحة على هذين السؤالين فأنا أكون مدينة لك بحياتى كيفما ستكون فأنا لن أخالف لك رأياً مهما كان.

٢٣
القاهرة

تقولين بلسانك إنك تصنعين كل يوم من الحلوى والطعام أصنافاً وأن بيتك ملىء بألوان عديدة من الأكل لا ينقصك منها شىء وتقولين إن زوجك يعبد أولاده، وأولاده يعبدونه.. وتقولين إنه ألحق أولاده جميعاً بحضانة أرقى المدارس، وإنه فى منتهى الحنان بالنسبة لهم لا يتوانى عن أن يحقق لهم مطلباً.

ومعنى هذا واضح جداً.. إنه لم يعط أهله ملياً إلا بعد كفاية

بيته، وإنه لم يقصر في حق بيته وإن ما ينفقه على أهله المحتاجين هو من فائض خيره.. هو على العكس يبدو سخياً كريماً.

أما عن الحب.. فأيهما أدل على الحب في نظرك.. أن يعطى الرجل زوجته قبلة وضمة وكلمتين «فبركة جرايد» في أذنها.. أو أن يعطيها من ذات نفسه ومن عرقه وشقاه وتعبه دون أن يتكلم.

إن الفيلم الأمريكي الذى يدخل فيه الزوج فيأخذ زوجته بالحضن ويغمر وجهها بالقبلات ويقول لها وحشاني.. يقال خمسة دقائق ما شفتكيش.. والروايات الغرامية التى تصف الزواج بأنه مطارحة فراش وغزل متواصل وهوى مشبوب.. هذه الصور الفنية الكاذبة والرائجة فى نفس الوقت أتلقت عقول البنات والسيدات بما تروجه من أفكار خاطئة تتملق بها الخيالات المراهقة.

والواقع غير هذا تماماً.. الزواج ليس مطارحة فراش لأنه ليس لقاء ليلة فى ماخور وإنما هو عشرة عمر.. الزواج عمل من أجل معاش أحسن وبناء يبنى فيه الاثنان أسرة ومستقبلاً.. والحب فى الزواج يكون دليلاً أن يعطى كل من الزوجين من ذاته ومن عرقه ومن شقاه فى هذا البناء المزدوج، وألف قبلة وألف كلمة غرام لا تساوى قطرة عرق واحدة من أجل أن يكون فى البيت حلوى.. وما أسهل أن يسرح الرجل بزوجه بكلمتين معسولتين، وما أصعب أن يشقى ويتعب ويعرق من أجلها.

فكرى مرة أخرى فأنت ظلمت زوجك.

ولعله يفكر هو الآخر مرة أخرى فيحاول أن يكون رقيقاً..
يعطى برقة وحنان وابتسامة.. ولا يشوه عطاءه السخي بالبوز
الكشر والطباع الجافية.. فالجفاء ليس رجولة كما يعتقد أغلب
الأزواج عندنا وإنما هو حق ليس بعده حق.

المليونير

برغم أن الأمر محرج ومربك فإنه مضحك. فلم يكن يخطر ببالى أنى أصبح هذه الأحدثنة، وأن حياىى الطيبة ستتحوّل إلى سيرة فى الجرائد، ولكن عذابى فاض بى ولا بد أن أتكلّم. كنت مدرسة بإحدى المدارس الخاصة ولم أكن أحل شهادة تربوية تؤهلنى للعمل بمدارس الحكومة وبرغم أن مرتبى كان ضئيلا فإن حاجة أهلى كانت تجبرنى على هذا العمل غير المجزى. ثم تعرفت عليه.

مدرس بمدارس المرحلة الأولى.

كان منظوياً وهادئاً ومنزويّاً.. وكانت كل تصرفاته وحركاته تنير الإشفاق.

وعندما بدأت علاقتنا تنمو أوضح لى سبب انطوائه وعذابه. فأهله من كبار الأغنياء بالصعيد يمتلكون مئات الأفدنة غير الفيلات والعمارات وحسابات البنوك والأسهم والسندات والتليفونات الخاصة والسيارات والأراضى البور والأراضى المهربة. وهو يكره المال ويكره الغنى والأغنياء.

وأعجبني فيه زهده عن كل المظاهر واعتماده على نفسه
واكتفاؤه بمرتبته البسيط، وكفاحه وحده دون معونة من أحد من
أهله المعقدين «على حسب رأيه هو».

ولن أطيل عليك.

تمت الخطبة.

ثم عقد القران.. ثم..

ثم سافرت إلى بلدتهم لأول مرة.. إحدى قرى مركز ديروط..
وبدأت تتضح أمامي معالم المأساة.

اكتشفت أن حبيبي وزوجي وشريك حياتي والرجل الذي
تركت عملي من أجله «دون كيشوت»، يعيش في الأوهام.. وكل
كلامه فشر في فشر.

فهو يتوهم أنه يملك وأن لديه فدادين وأراضى منهوية
وعمارات مسروقة.. وأن المباحث العسكرية تسعى لكشف أرض
هربها.

وهو في الحقيقة والواقع رجل عادي، أهله ناس فقراء فيهم
الطبيون وفيهم اللصوص.. وهم جميعاً على فقرهم ولصوصيتهم
يحتقرونه ويكرهونه ولا يميلون إلى مجرد السلام عليه.

ولكن كل يوم يمضي اكتشف الأعاجيب والروائع من أمره.
فهو مصر على كذبه.. أحياناً يتوهم أنه مخترع كبير خطير
الشأن ويتصرف على هذا الأساس، لدرجة أنه يجلس ليقص على

الغرباء من أصدقائه كيف أنه أطلق صاروخاً بمفرده، وكيف أنه كلف بمراقبة منطقة ديروط الشريف.. وأحياناً أخرى يتوهم أنه مكلف بمهمة سرية لا يجب أن يفصح عنها، ويظل يستثير الآخرين ليسألوا عن طبيعة هذه المهمة.

أحياناً يجلس مع الغرباء ليقص عليهم تفاصيل قيامه بإصلاح قطعة أرض تكلفت آلاف الجنيهات مما أثر على رصيده في البنوك.. واستبد به الهوس في إحدى المرات فطلب من فتاة صغيرة أن تحضر إليه في أمر خاص.. وفي أثناء خلوتها صرخت الفتاة.. وكانت فضيحة انتهت في نقطة البوليس.. ولقد قام رجال الشرطة بالواجب خير قيام.. ومازالت آثار هذا الواجب بصمات موجودة على وجهه.

حاولت أن أمنعه عن هذه التصرفات.

حاولت أن أفهمه إن الفقر ليس عيباً ولكن العيب هو هذه التصرفات المخجلة المثيرة للسخرية.

ولكني فشلت.

حاول ابن عمه أن يوضح له حياته وحياة العائلة كلها وسخرية الناس بهم بسبب تصرفاته ولكنه فشل.

ومنذ دقائق أفهمنى.. أفهمنى أنا زوجته.. بأنه ربما يزرع هذا العام ستين فداناً من القمح.. برغم أن ملكيته لا تزيد عن نصف فدان.

أحس أنه سيضيع وأشفق عليه وأحاول أن أصدقه ولكن
محاولاتي دائماً تبوء بالفشل.
ثم.. ألا يوجد حل آخر غير الطلاق.

المخلصة الحائرة

س أ.

إن الحل ليس الطلاق أبداً.

الحل عند الطبيب وفي المستشفى المتخصص.. فهذه حالة
عقلية في حاجة إلى عناية طبيب عقلى أو نفسى.. ودورك هو
الوقوف بجانبه في هذه المرحلة العصيبة، وليس التفكير في
الطلاق منه.. فهو مريض.. وله حق المريض وليس وزر المخطئ.

المطلقة

هل يستطيع الإنسان أن يعيش بعيداً عن هذا المجتمع وتنحصر حياته في أن يأكل ويشرب وينام وينتظر يوم وفاته.. أعتقد أنها تصبح حياة جوفاء ليس لها معنى ولا هدف تشبه إلى حد كبير حياة الحيوانات.

إنه لن يحتمل الحياة بهذه الطريقة مدة طويلة وفي النهاية إما أن يموت أو ينفجر أو تختل قواه العقلية، وهذا ما أردت أن أكتب لك فيه قبل أن تصبني إحدى هذه الحالات.

وسوف أختصر لك القصة فأقول لك إنى فتاة مطلقة.

وحياة المطلقة عندنا مشكلة.. ليست مشكلة خاصة ولكنها مشكلة عامة.

إنها دائماً موضع همس من الجميع.. من الأهل والأصدقاء والأقارب.. حتى من يعرفون ظروف طلاقها لا يرحمونها بنظراتهم وألسنتهم، يستقبلونها ويشيعونها بمصمصات من شفاههم.. وكأنها مجرمة أو مشبوهة.

لا أحد يغتفر للمطلقة أنها طلقت.

والألغن من ذلك أنها تصبح موضع طمع من كل رجل.. كل رجل يعتبرها فرصة وصيدة.. ووسيلة سهلة للإمتاع بدون مسئوليات.. وليلة طريفة يذهب بعدها كل واحد إلى حاله.. فليس من المتوقع أن تطالب المطلقة صاحبها بزواج.. ولا حق لها في ذلك فهي مطلقة.

وهكذا تكثر حولها الذئاب يتقربون إليها في البداية بزعم الشفقة والعطف.. ثم يظهرون سخطهم على هذا الزوج الأعمى الذى لم يقدر المواهب.. ثم يدعون الحب.. والحنان.. والغرام الملتهب الذى يمنع النوم عن الجفون.. ثم تنتهى الأنشودة الرقيقة بالهدف النهائى. وهو دائماً ليلة رخيصة مضمونة بعيداً عن العيون فى شقة مغلقة بالضبة والمفتاح.

هذه هى المشكلة بصفة عامة.. وسأسرد لك بعض التفاصيل لعلك تستطيع أن تهدينى برأى.

كنت فى بداية حياتى فتاة متفائلة.. مرحة.. طموحة.. متفوقة فى دراستى. ولكن ليس لى رأى بحكم تسلط أبى المتزمت المحافظ فى تربيته.

وهكذا أكملت تعليمى الجامعى، وانتهت حياتى يوم أن تخرجت فقد رسم لى أبى بقية الطريق.. وكان لابد أن أتزوج من الشخص الذى اختاره لى.

حاولت المعارضة ولكن إصرار والدى ووقوف الجميع ضدى

انتهى بي إلى الإستسلام والإذعان للأمر الواقع.
والظاهر أنه كان هناك ضغط مماثل على الزوج لأنه كان يحب
فتاة أخرى.. وكان على أن أواجه حياة شاقة.
والواقع أنها كانت حياة شاقة على كلينا.. ومالبثت أن
أصبحت جحيماً.. ولا تهم التفاصيل.. فقد انتهت الحياة الزوجية
الفاشلة وعدت إلى أهلى وحصلت على الطلاق.. وتزوج هو في
الحال من صديقته القديمة.

وهنا بدأت المشاكل.. وكان على أن أواجهها.
أول صدمة واجهتني عندما ذهبت لتغيير بطاقتى الشخصية
لتجديدها.

وكان التغيير هو أن أشطب كلمة متزوجة وأكتب مطلقة.
وسلمت الطلب للموظف المختص فقرأ البيانات.. ثم طلب
منى الانتظار حتى ينتهى مما فى يده، ثم قدم لى كرسيًا لأستريح،
فقلت فى نفسى.. ابن حلال شاهدنى أقف وحدى فى طابور كله
رجال فأراد أن يريحنى.

وبعد فترة طلبت منه أن ينتهى بسرعة.. فقال.. ولماذا هذا
التسرع سأنتهى من عملى فى الثانية.. ويمكننا الخروج معاً،
تصور!

موظف هلفوت يعاملنى كفتاة كباريه لمجرد أنى مطلقة.
وطبعاً شتمته وأخذت أوراقى بسرعة والدموع فى عيني.

وأخذت أتساءل في الطريق.. هل كل مطلقة تصبح موضع طمع من الرجال.

وبدأت أكره الناس وأتجنب الجلوس في المجتمعات.. وأتجنب الأهل والأصدقاء والأقارب، حتى النادي الذى كنت أقضى فيه أوقات فراغى في الرياضة حرمته على نفسى.

وكان الجميع يعرفوننى بروحى المرحه التى لم أكن أخص بها أحداً، ومع ذلك بدأ يتودد لى صديق خيل إليه أنى أخصه بهذا اللطف وبدأ يلاحقنى بإعجابه.. وفى إحدى المرات وهو يوصلنى إلى منزلى كشف عن نيته وهدفه.. وكانت النتيجة أن هجرت النادي وتركت الرياضة التى أحبها علماً بأنى أستطيع أن أحمى نفسى.. ولكنى أكره الفكرة نفسها.. وأتصور هذه العيون التى تحمق فى جسمى فأضيق بجسمى ونفسى وبالدىنا.

عشت بعد ذلك حياة منعزلة منطوية.. أقضى اليوم فى العمل وبعد الظهر فى حجرتى أقرأ وأطالع الكتب وأسهر أمام التلفزيون.

وهكذا مر علىّ عامان وأنا على هذا المنوال.. وبدأ الملل يزحف إلى نفسى.. وأصبحت لا أهتم بمظهرى وسئمت القراءة. لا جديد فى حياتى يجعل لها هدفاً أو طعماً.

وحتى هذه الحياة الرتيبة المملة لم تخل من المنغصات.. أرى نظرات الشفقة فى عيون أهلى فأضيق بنفسى وبالييت.. السلوى

الوحيدة أراها في إخواني الصغار الذين أ بذل لهم رعايتي.
حبي الوحيد الذي غمرني صغيرة وكبر معي.. فقدته.
كان حبا نزيها بعيدا عن الأغراض.

بذل كل ما في وسعي للزواج بي.. ورفض والدي.. وكان رفضه
غير قابل للجدال.

عرض علي الزواج برغم إرادة والدي ولكنني لم أوافق خوفاً
وضعفاً.. وأخيراً فوجئ بزواجي وافترقنا عامين.
وعندما علم بطلاقي عاد إليّ وكسب ثقتي.. واعتقدت أن
مشاكلي قد انتهت وأن الحياة ستبتسم لي من جديد وسأنعم
بالسعادة التي حرمت منها سنتين.

ولكن تصور.. لقد رفض أهله فكرة زواجه بي لأني «مطلقة»
وهم الذين يعلمون تمام العلم قصة حبنا.. وقصة زواجي الخائب
الذي لم يدم سوى خمسة شهور.

ولكن.. أين ذهبت شخصيته هو ليقول لي هذا الكلام.. وهل
هو في احتياج لأخذ رأيهم لولا أنه هو نفسه غير مقتنع بالعودة
إليّ والزواج بي لأني مطلقة.

إنه يريد أن يبرر التراجع أمام نفسه ويجد لنفسه عذراً..
ثم يتكلم عن الحب الذي لم يمت في قلبه.. وعواطفه المتعلقة
بي.. إلخ.. إلخ.. إلى آخر هذه العبارات المحفوظة.

وفهمت في النهاية أنه يريد أن يبادلني الحب فقط.. بلا مسؤوليات.. بلا مشاكل.. لا يادكتور مصطفى.. أنا لا أتصور أبداً أن أنزلق إلى هذا المستوى فأعاشر رجلاً للحب فقط. أنا لم أكن يوماً لعبة يلهو بها رجل ثم يرميها بعد أن يزهدا. لا.. إن لي كرامة أدافع عنها بكل الوسائل.. ولو حبست نفسي في غرفة مغلقة.

لقد رأيت زوجات يتسترن وراء الزواج ويبحن لأنفسهن علاقات متعددة بحجة أنهن غير سعيدات في زواجهن.. هذا لأن المجتمع يعطى احترامه للمرأة المتزوجة مهما فعلت.

وأنا لا أقبل بالمرة وضعا كهذا. إنى قلقه ثائرة.. أبكى لأنفه الأسباب. أصبحت حساسة للغاية.. تجرحني أثفه كلمة.. وأخشى أن يتبرم بي أهلى.. كما أخشى الوحدة. ألا يوجد مكان في مجتمعنا لامرأة لا يحميها رجل. لم أعد أستطيع الذهاب إلى السينما وحدى.. لكثرة العيون التي تحملق في.. أصبحت كل المتع محرمة على. تجنبت المجتمعات وأغلقت بابي.. فإذا بالوحدة أقسى على من كل المجتمعات.. عقلى يعذبني، قلبي يعذبني. كيف تستمر الحياة مع امرأة مثلى.

أريد منك نصيحة.. علماً بأنى لست على استعداد للدخول في
أية تجربة.

«...»

* * *

رسالتك صادقة جداً بدرجة مؤثرة.
ولكن مشكلتك ليست يائسة بالدرجة التي تتصورينها..
أنت تتصورين أن أخلاقك التي لا تقبل أى علاقة حب بدون
زواج.. تتصورين أن هذه الأخلاق سوف تحرمك من تحقيق حب
شريف مع رجل يكون شريك حياتك وعمرك.. لأن كل الرجال
في تصورك طلاب متعة مثل موظف البطاقات الشخصية إياه!!!
وهذا تصور غير صحيح.
فالكثير من الرجال يبحثون عن أخلاق مثل أخلاقك
وشخصية مثل شخصيتك.
وعزلتك وانقطاعك عن ارتياد المجتمعات والنادى أكبر جناية
تجنيها على نفسك.
فوسيلتك الوحيدة للعثور على رجلك، هي التعرف على
المجتمعات.. والاختلاط الطبيعي في ظروف صحية.
دعى سوء الظن وابدئى الحياة.
أنا أتخيلك من رسالتك امرأة ناضجة مكتملة العقل ذكية
وحساسة وفاضلة.
أنت مطلب عزيز يتمناه كل الرجال.

الحب والموت

لا أستطيع أن أحكى لك حياىى كلها.. فهى تحتاج إلى مجلدات.

منذ كنت فى السابعة من عمرى حرمت من التحرك من الفراش من اللعب والضحك والشيكلاته والأكل الذى أحبه. لم أكن أعرف السبب.. كنت أتألم وأتعذب.. إخوتى يلعبون ويضحكون وأنا طريحة الفراش.

أبى رجل غنى ومركزه مرموق وأمى سيدة متعلمة.. وكل شىء أتمناه فى متناول يدى ولكنى لا أطوله.. صحتك يا فاتن.. عشان صحتك يا حبيبتى.. لما تخفى يا حبيبتى.. خليكى نائمة يا حبيبتى حياىى سفوف وأقراص وحقن ومراهم ولزقات.

والأطفال حولى يلعبون ويمرحون ويأكلون كل ما تشتهيهم نفوسهم وأنا نائمة مثل عروسة لعبة يسبلون لها عيونها فى فراشها.

عرفت أن عندى روماتيزم فى القلب.

لم تكن الحالة خطيرة.. ولكن أنت تعلم أن الشفاء مستحيل من هذا المرض اللعين.

أصبحت أكره الدواء.. وأكره العطف.. فهو عطف يذكرني بمرضى على الدوام.

أبى يعطينى من الحنان فوق طاقتي.. وأمى أكثر.. ولكنى أريد أن أحيا كأى طفلة فى هذه السن بدون محظورات.. بدون قيود. عملت عملية وأنا فى الثالثة عشرة، ونجحت العملية واشتغل صمام من الثلاثة صمامات الفاسدة.

وفى الخامسة عشر عملت عملية أخرى لم تنجح كل النجاح. ولكن حالتى كانت قد تحسنت كثيراً وبدأت أعيش ولكن بإحساس أن أيامى معدودة، وأنه عاجلاً أو آجلاً سوف تعود الصمامات إلى سالف حالها ويمد لى الموت ذراعيه.. وأنا فى إجازة ربما تكون شهوياً وربما أسابيع، فسجة محدودة ألعب فيها.. ثم يعود المرض اللعين فيضعنى فى فراشى من جديد.

وكان طبيعياً أن أتزوج من أول خطيب يتقدم لى، فأنا أريد أن أعيش.. وكان طبيعياً أن أحبه حب عبادة، فهو فرصتى الوحيدة لأدخل دنيا وأرى دنيا.

كان ضابطاً.. وكان يعرف كل شىء عن مرضى. ولم أجد النعيم الذى كنت أتصوره، بل عشت فى جحيم ألعن

من الموت. فأنا بحكم مرضى لا أستطيع أن ألبى كل رغبات زوجى الجنسية فهذا خطر على حياتى.. وهو بصحته وشبابه لا يقوى على تحمل هذا الوضع.

وهكذا انتهت الحالة به إلى إدمان الخمر والمخدرات ومصاحبة النسوة الساقطات.. وكنت أرى هذا بعينى وأتعذب، ولكنى أنا السبب، فقد قبلت الزواج برغم معارضة أهلى وبرغم تحذير طبيبى المعالج.

حاولت بكل الطرق إصلاحه دون فائدة.
انحدرت حالته أسوأ فأصبح يأخذ حقن المورفين.
عشت شهوياً طويلة أتمنى طفلاً.

ثم حدث بعد هذا أن سافر فى مهمة حربية.. حمدت ربنا أنه سيعيش فى جو نظيف بعيداً عن إخوان السوء.. واكتشفت بعد ذلك أنى حامل فتضاعفت فرحتى.

أخيراً سيكون لى ابن.

سوف أموت، ولكن سيكون لى ابن يقول «ورحة ماما».
وسأكون ذكرى غالية باقية عند إنسان عزيز.

وبعثت إلى سالم أقول له إنى حامل.. فرح ولكن أرسل يقول لى: إذا كان خطراً على حياتك لازم تسقطى نفسك.. ولم يهمنى برغم علمى بأننى لا بد سأموت عند ولادتى.

وقبل الولادة سمعت أن سالم مات نتيجة انفجار ذخيرة حية
أثناء أحد التدريبات.

وأقول لك الحقيقة فرحت فيه.. فهو قد حطمني وحطم أنوثتي
وكرامتي.. وكان دائماً يقول لى متى أستريح منك ومن مرضك.
وكان يخوننى أمام عيني.

وغرقت فى شرب السجائر «أكثر من ٤٠ سيجارة فى اليوم»
ولم أعد أهتم بشئ..

لا يهم أن أموت.. فعندى ابنى الآن وعندى سبعون قداناً من
أحسن الأرض ومعاش ٨٠ جنيهاً وفيلا وعربية.. وقد عملت
أيضاً بوليصة تأمين بـ ٣٠ ألف جنيه.. وسوف يعيش ابنى إذن
عيشة ملوك ولن يحتاج لأحد.. وسوف يذكرنى طول عمره
بالخير.

وولدت فى الإسكندرية.. كان معى فى حجرة العمليات دكتور
القلب وطبيب أمراض النساء.

ولم أشعر بشئ.. فقد خدرونى قبل الولادة.

ولم أمت.. تصور.. لم أمت.

وجاء طارق إلى الحياة.

كل شئ خطر. لا يجب أن أخرج.. لا يجب أن أسهر.
وأغدقت عليه من الحنان والحب والرعاية مالا يحلم به طفل.

وطبعاً بدأ الأطباء يضيّقون علىّ بتعليماتهم.. كل شيء ممنوع، لا يجب أن أكل.

ولكنى كنت تحولت تماماً إلى امرأة جديدة بعد أن رأيت معجزة ولادتي أمام عيني.. ورأيت ابني ورأيت نفسى وأقوم من ولادتي سليمة جن جنونى.

رحت آخذ الحياة كلها بالحضن.. ورحت أعيش بملء القلب والعين.. أرملة مرحلة بكل ما فى هذه الكلمات من معان.. انتقل مثل الفراشة كنت أعلم أن عمرى قصير وأن أيام سعادتي محدودة، فرحت أطيّر من زهرة إلى زهرة فى محاولة لنسيان الماضى الكئيب وآلامه.

هذا مهندس، وهذا محام، وهذا ضابط.

بالطبع كنت أعلم أن لا أحد من هؤلاء الرجال الذين أصحابهم يحبونى بصدق.. إنما هى تقضية وقت.. وكنت أعاملهم بنفس طريقتهم.. ولهذا لم أفرط فى نفسى.. كنت آخذ ولا أعطي، يكفى أن أقضى ساعة أضحك فيها.. ولو كانت ضحكات زائفة. ولم أعد أهتم.. ماذا أكل وماذا أشرب.. إنها أيام وتعدى فلماذا الندب على حظى التعس، لماذا أضعيها فى النحيب والبكاء. أبى يقول لى.. دراستك يا فاتن.. مستقبلك يا فاتن.. وأنا أصرخ، لمن أذاكر، لكى أدفن شهادتي معى. ابني أخذته أمى تربيته وهو الآن عمره عام.

الدنيا كلها أصبحت ملكي.. ولكن الموت ينتظرنى.
وفى هذا الوقت حدث الحادث الذى غير مجرى حياتى.
منذ ثلاثة شهور قابلته.
رجل يختلف عن كل الرجال الذين عرفتهم.. إن عواطفه
نحوى ليست نزوة، وإنما مشاعر عميقة صادقة.
وهو لا يعرف شيئاً عن مرضى، وإنما يريد أمامه إنسانة كاملة
الأنوثة.. حلوة.. وأنا أحبه.. أعبدته.
ولكن بعد فوات الأوان.. لقد سقط المطر على الزرع بعد أن
جف، فقد بدأت النوبات القلبية تعاودنى.. الاختناق والرعدة
والإغماء.
ذهبت إلى الطبيب وأنا أبكى، وقال الطبيب إنه لا بد من
عملية، والأمل من العملية ضعيف، ولكن لا يوجد حل آخر.
وليس أمامى اختيار.. إما الموت وإما عملية غير مضمونة
الفائدة، وقد تعجل العملية بموتى وتقضى على كل آمالى.
حياتى تهرب منى وأنا فى أشد اللحظات شغفاً بها وتمسكاً بها
أريد أن أعيش.
أنا أحب.. قل لى كلمة.

سعاد

إن مشكلتك ليست الحب.

ما الحب إلا فصل من فصول متعددة في رواية أخرجها الموت، إن الموت هو الذى ظل يلهو بك وبعقلك كما تلهو الخيوط بالدمية الأراجوز.. الخوف من الموت منذ طفولتك هو الذى خلق لك هذه الحالة النفسية المستمرة من «الرثاء للنفس».. فأنت دائماً ترثين لنفسك وتعذرين نفسك وتعيشين فى عذابك وحدك طول الوقت.. حتى حينما لا يكون هناك ألم فأنت تعللين شعورك بالخوف من ألم وشيك وبلاء يقترب.

هذه الحالة المستمرة من الرثاء للنفس حجبت عنك رؤية عذاب الآخرين ومشاركتهم.. زوجك الذى انحدر بسببك من الخمر إلى المخدرات إلى المورفين إلى عشرة الساقطات.. إلى القبر.. لم يفز منك بكلمة بعد موته وهو الذى مات شهيداً.

وإنما تقولين فى برود عجيب، لقد فرحت فيه.. لقد حطم أنوثتى.. وحطم كرامتى.. لقد خانتى.. وفى برود أعجب تبدئين فى إحصاء ميراثك.. سبعين فداناً من أجود الأرض ومعاش شهرى ٨٠ جنيهاً وعزبة وفيللاً.. ولقد نجوت من الولادة.. وهأنذا على قيد الحياة فمرحباً بالحياة.. ومن ذراع رجل إلى ذراع رجل إلى ذراع رجل.

إن لحظة واحدة من الصحة جعلتك تفعلين كل هذا.. إن زوجك معذور إذن وهو ملؤه شباب وحيوية أن يفعل ما يفعله..

وأنت المرأة وهو الرجل.. ولكنك لم تدركي هذا لأنك لم تعيشي في
أزمته أبدًا.. وإنما كنت طول الوقت تعيشين في نفسك.. رثاء
مستمر لحالتك.

وفي النهاية يسقط المطر ويأتى الخير بعد فوات الأوان على حد
قولك.. يأتى الرجل الصادق الشهم الذى يحبك بكل قلبه، ولكنك
لا تعاملينه بصدق، وتخفين عنه مرضك كعهبك دائمًا أخذ
ولا عطاء.

فى كل شىء أخذ ولا عطاء.. فأنت مسكينة.. هكذا يقول لك
رثاؤك لنفسك.. يحاصرك الموت والعذاب.. أنت معذورة.. لو قلت
له ربما تفقدينه.. وأنت لا يجب أن تفقدى شيئًا.. ولكن الموت
يترصدنا جميعًا.. والمرض قضاؤنا.. وهذا ليس عذرًا فى
ألا نتصرف بصدق.. فلا عذر للكذب أبدًا.

وإذا كنت جديرة بالاشفاق فهناك من هو أجدر.. الرجل
الذى يحبك وقد يتزوجك ويكون مصيره مصير الأول.

أنا أعلم أنك تعذبت وتألمت.. ولكن كنت أحب أن يسمو بك
الآلم إلى إدراك آلام الآخرين.. لا أن يحبسك أملك طول الوقت
فى حالة محدودة من الرثاء للنفس.

وإذا كان الموت قادمًا فلن ينقذك منه أية كلمة أقولها.
فلنعش بصدق، ولنمت بصدق، هذا هو شعارى دائمًا.. ولنكف
عن الرثاء لأنفسنا، فإن هذا الرثاء يحجب عنا آلام الآخرين،

وكم من مريضة بالروماتيزم ملقاة على رصيف القصر العيني ليس
عندها عربة ولا فيلا ولا معاش ثمانين جنيهاً ولا حبيب
ملهوف القلب.. هل فكرت مرة في مثل هذه المريضة.
لقد آثرت القسوة.. لأنى أعلم أنك ستعيشين برغم مخاوفك
وسوف تتزوجين من حبيبك.

والأمل الوحيد فى أن تنجحى فى حياتك المقبلة هو أن تكفى
عن الرثاء لنفسك.. وتعيشى فى شركة سوية مع زميلك الجديد فى
الحياة.

وهذه الجراحة النفسية ستكون ضرورية مثل الجراحة
الجسدية التى ستجرينها.

حدث في قطار الليل

بدأت حكايتي يوم اثنين ديسمبر سنة ١٩٦٤ في الدرجة الأولى في ديزل الإسكندرية الذى يقوم من مصر في المساء.. حينها التقيت بفتاة رقيقة جميلة كانت مسافرة معى في نفس الديوان.. ولم يكن في الديوان سوانا فأخذنا نقطع الوقت في الحديث.

قالت لى في بساطة عجيبة إنها ذاهبة إلى صديق في الإسكندرية ثرى من بلد عربى شقيق.

وحينما سألتها إن كانت تحبه قالت ضاحكة: إنه أكبر منها بثلاثين سنة.

- مشوار عمل؟! -

احمر وجهها وسكتت.. ثم قالت في اضطراب - إنه عمل بالنسبة لها.. أما بالنسبة له فهو انبساط.

وأحسست أن المعنى في الاستفسار والاستفهام سوف يكون جارحاً وسوف يكون تدخلا منى فيما لا يعنينى (وإن كان في الواقع أصبح يعنينى جداً).

ومراعاة للياقة قفلت الموضوع.

واكتسى وجهها بالحزن العميق.

ثم قالت بابتسامة شاحبة وهي تنكس عينيها في الأرض خجلاً:

- أنا في الواقع لم أجد أى عمل آخر أعيش منه.

وصمتت لحظة ثم عادت تقول فى أسى:

- أبى طلق أُمى وأنا صغيرة وتزوج بأخرى.. وأخرجتنى

الزوجة الجديدة من المدرسة ثم طردتنى من البيت.. وعشت مع أُمى.. وكنا لا نجد القوت فى بعض الليالى.. ولم تكن النفقة التى يعطيها لنا الأب تكفى لإطعام كلب. وكان لابد أن أعمل. وكنت جميلة وصغيرة.

وكنت أصدق ما يقال لى. وكنت أجد كل يوم من يقول لى أحبك.. أتزوجك.. سوف أجعل الدنيا كلها ملكك. وكنت أصدق. وكانت غلطة.. فهناك أشياء لا يجب أن نصدقها أبداً.. أشياء لا يجب أن نطيعها أبداً.

ولكن الواحد لا يتعلم بدون ثمن.

والثمن كان غالباً جذاً.

وبقية القصة لا شك عادية.. ومعروفة.

وسكتت.

آثرت ألا أجرحها بأسئلتى.

ثم عادت تتكلم في شروء:

جاءت علىّ أوقات فقدت فيها الثقة بكل شيء.. كرهت
نفسى، وكرهت الرجال.. وكرهت الحياة.. وأحسست أن الله
نسبني، وأن نفسى هانت علىّ وعلى الناس.

مرضت ولم أكن أجِدْ ثمن الدواء.

أوشكت على الموت.

تعذبت.. خاصمنى النوم.

اقتربت من حافة الجنون.

ثم أنزل الله علىّ السكينة.

ووهبني أنجح دواء.. عدم المبالاة.. وعدم الاهتمام.

نعم.. لم أعد أعبأ بشيء..

ولم أعد أهتم بشيء..

ولم أعد أبالي بما يقوله الناس عني.

ولم أعد أبالي بما أفعله.

ووجدت الراحة في موت عواطفى.

ووجدت الحل في أن أعيش حياتى يوماً بيوم ولحظة بلحظة.

والعلاقة التى كنت أشمئز منها أصبحت عادة.. لا تسبب لى

ألماً.. كما أنها لا تسبب لى لذة.

أنا أنظر لها على أنها عمل.. مجرد عمل أعيش منه.

وأنا لا أطلب من الرجل أن يقول لى أحبك.. لأنى فى الواقع
لا أحب.

إنها دقائق عمل آخذ بعدها أجرى. وبعد هذا يمضى كل منا
فى طريقه.. دون أن يعرف أى منا اسم الآخر.
وسكنت.

ثم عادت تقول فى نبرة حزينة:
- أنا أعرف أنى أنكلم فى بساطة وبلا حياء فى مواضع هائلة
ولكنها فى الحقيقة لم تعد هائلة فى نظرى.

ألم أقل لك أنها أصبحت عملاً.. مجرد عمل..
أنا أعرف أنك لم تعد تنظر إلىّ كما كنت تنظر إلىّ فى الأول.
ولكنى أشعر الآن بالراحة.. فقد قلت الصدق.
إن الحياة فى كذب متواصل.. شىء لا يطاق.
وأنت لم تجرب.. أن تكذب كل يوم.
وفى الحقيقة مكثت برهة أنظر إليها كالمصدم.
كان مظهرها لا يدل على هذه المأساة.
وكان فى عينيها صفاء وطيبة قلب.
وفى وجهها الأبيض براءة طفلة جميلة.
ولن أطيل عليك.

فقد نزلنا معاً فى محطة الإسكندرية.

وأخذتها معي.. وقضينا شهر الإجازة معاً.
وأحтар لو حاولت أن أصفها لك.. فهي غاية في خفة الدم،
وهي مسلية.. وعشرية جداً.. وشديدة الذكاء.. وباختصار
شخصية.

أحببتها جداً.

وتعودت أن أراها كل يوم.

وحيثما عدنا في آخر الشهر إلى القاهرة.. بدأت أتحرق عنها
وتأكد لي أن ما قالتة صحيح.. وأنها لم تكذب في كلمة.
شعرت بأنها إنسانة ظلمتها الأيام.. وأنها كانت ضحية
ظروفها.

أحسست أن ماضيها لم يكن ذنباً بقدر ما كان عذاباً لها.
كانت تقول لي.. لو أنها وجدت القوت الضروري والرجل
الذي يحبها ويحميها لما فكرت أن تسلك هذا الطريق.

واختصر لك القصة أكثر فأقول إنني أجرت شقة وفرشتها.
واستمرت علاقتنا.

ولاحظت أنها ابتعدت تماماً عن طريقها الأول الذي كانت
تسلكه وكانت لا تطلب مني شيئاً.. وكنت أنا الذي أبحث كل
مرة عما ينقصها.

راقبتها بشدة ساعات الليل والنهار، فلم آخذ عليها شيئاً زاد

حبي لها.. ومع ذلك لم تراودنى فكرة الزواج بها أبدًا.
قالت لى مرة إنها ليس لديها مانع أن أتزوج بشرط أن أبقىها
وأن تستمر علاقتنا فقد أحببتى.

ولا مانع عندها من أن أكون متزوجًا من أخرى.. وأن أصرف
على بيتين (وكانت تعلم أن مستوى دخلى يسمح بالصرف على
بيتين).

إلى هنا يا سيدى والقصة تسير عادية.
ولكنها فاجأتنى منذ أيام بأنها حامل.
وقالت لى إنها تحت أمرى.. إن أردت أن أبقى عليه فهي
موافقة وإن أردت أن أجهضها فهي على أتم استعداد.. وقالت
ذلك بكل صراحة وصدق.

ولكن.. أنا.
شعرت أن الأرض تدور بى.
أىكون إجهاضًا؟
وما ذنب الطفل البرىء.. الذى أقتله.
ومن الذى فعلها.

إنه أنا.. وليست هى وحدها.
أتركها.. وكيف؟
أتزوجها؟ مستحيل!
كيف أتزوج من كانت يمثل هذا الماضى.

ثم أعود فأقول.. وكيف تتوب بعد أن أصبحت هذه المسألة
عادة عندها.

رأسى يكاد ينفجر.
أحبها بقلبي.. وأنكرها بعقلي.
لا أستطيع البعد عنها.
ولا أستطيع الزواج بها..
لا أستطيع أن أقتل ابني.
ولا أستطيع أن أعترف به.
لا أصدق أن هناك توبة.. ولكنى لا أملك أن أكذبها حينما
تتكلم.

لم أعد أناام..
والجنين يكبر.
ماذا أقول لأبى لو تزوجتها.. وماذا أقول للناس.
والذين يعرفون ماضيها.. أين أهرب منهم.

محمد صادق

لقد بدأت تتكلم بعد فوات الأوان.. بعد أن أحبيت.. وبعد أن
تحول حبك إلى جنين.. وبعد أن تحولت أفعالك إلى واقع، وماضيك
إلى حياة ونبض.
وأخيراً جئت نسألتى إن كان ممكناً أن تشطب على هذا كله،

إن كان ممكناً أن تشطب على جزء من نفسك.

إن كان ممكناً أن ترتكب جريمة.

وهل يمكن أن تتوب.. وهل.. وهل.. وهل.

وأعتقد أن هذه أسئلة فات أوانها.

إنك ارتبطت بها فعلاً.. إنها لم تكذب عليك ولم تضحك عليك من أول لحظة قابلتها.

فأنت إذن لم تكن مخدوعاً.. وأنت تصرفت بكامل عقلك وإرادتك واختيارك.

ولا أرى معنى لهذه التشنجات. فهي زوجتك بالفعل من زمان، ولا توجد مفاجأة في الموضوع.

كل هذه الزوبعة على ورقة مأذون.. وإمضاء!!

ولكنك أعطيتها وتعطيها ما هو أكثر.. حبك واهتمامك وانشغالك وتعلقك وتفضيلك وإيثارك.

أنت زوجها بالفعل.. تصرف على هذا الأساس تستريح.

ولا تنس أن الثقة تخلق الثقة.. أما الجريمة فتخلق الجريمة.

هذا هو القانون الأول في علاقات البشر.

وكرجل مسئول يجب ألا تتنصل من فعلك.

والله يتوب على الثائنين.

هل أتزوج اللص؟

يوم الاثنين الماضى تقدم لى خطيب موظف فى شركة (عن طريق قريب يعرفه معرفة سطحية).

وجاء العريس مع قريبنا.

أول ما لفت نظرى فيه أسلوبه الراقى اللبق فى الحديث.. وظرفه وذلاقة لسانه.. ولبسه الشيك.. بالاختصار أحسست أنه شخصية برغم أنه تنقصه الوسامة.

بادرنى بابتسامة عذبة وقال لى:

- مبروك.. إن شاء الله حاكون عند حسن ظنك.

وتقدم منى فى بساطة وسلمنى كارت باسمه به معلومات عن عمله وأسرته بالصعيد وسنه ومرتبته.

قال إنه متزوج من امرأة تكبره بعشرين عاماً غنية ومتكبرة جداً. ومستبدة وكانت حياته معها متعبة، وأنه طلقها بعد أن أنجب منها ابنة عمرها الآن ست سنوات. أعجبتنى صراحته وبساطته.

وقلت لنفسى.. هذا هو الرجل الذى أبحث عنه.
وعندنا فى البيت انبسطوا منه جدًا وارتاحوا لصراحته
وشخصيته.

وتانى يوم سأل زوج خالتى عنه فى الشركة التى يعمل بها..
وقالوا له نفس المعلومات التى قالها لى بالنص.

ومنذ تلك اللحظة وهو يدق لنا التليفون كل خمس دقائق
يسأل فى قلق.. هيه.. رأيكو إيه.. ورأى العروسة إيه.. أنا عاوز
الرد بسرعة.. أنا مستعجل على عقد القران.. أنا تحت أمركم..
أنا أكون أسعد زوج لفاطمة.. وفاطمة عندى تسوى الدنيا.

كل يوم تليفونات واتصالات وجرى.
وأنا مبسوفة جدًا إن فيه حد مهتم بيه كده وبطريقة جديدة.
نهايته.. بعد أخذ ورد حصلت القسمة وتم كتب كتابى بعد
ثلاثة أيام أى يوم الجمعة.. وكنت عاملة فستان يجنن لهذه المناسبة
ومتكلف نقله.. وكنت آخر شياكة.. وكنت فرحانة جدًا جدًا..
ويقولوا إنى كنت زى القمر وزى بنت ١٨.

وكانت حفلة لطيفة ومعايير وورد وشربات وملبس وكساتا
وزغاريد وصور.. كل صديقاتى حواليه زى الفراشات.
وجاء بعض أقارب العريس وكادوا يلتهمونى بنظراتهم.
وبعد انتهاء الحفلة كنت أسمع تعليقات غريبة من حولى.

واحدة تقول: بالذمة ده عريس.. يا خسارتك فيه.

والثانية تقول: ده يتفع كمسرى.

والثالثة تقول: ناقصه شنطة على ضهره ويبقى بوسطجى.

والرابعة تقول: أصلها مش شايفاه.. أصل القرد فى عين

حبيبته غزال.

والآخر اتضايقت وقلت لهم: اسمعوا، الراجل بشخصيته مش

بشكله.. الراجل بأخلاقه.

وكركرت الضحكات من خلفى على طريقة هاهاهاى.. هىء

هىء.. هىء.. كاه كاه كاه.. وهى فى الشخصية دى.. وايش عرفك

بأخلاقه.

ولكنى لم أبال بتلك الكلمات.. وكنت أشعر أنها حسد وغيره

وكنت طائرة من الفرح.

وفى اليوم التالى ذهبت إلى المدرسة فاستقبلنى الكل بكلمة

مبروك.. مبروك.. مبروك.. من الزميلات والمدرسات والمدرسين

والفراشين.

وحملتنى الزميلات فى مظاهرة وهات يازغاريد.

وكنت فرحانة جدًا كالعروس البكر (للعلم أنا سبق لى

الزواج والطلاق.. البخت.. البخت أصله مايل من يومه).

وجاء العريس لزيارتنا بعد ذلك.. وعلى الكتبة فى البلكونة.

وفى ساعة عصارى.. جلس إلى جوارى يهمس فى أذنى بأعذب
الكلمات.. أنت مش حلوة وبس.. أنت فيك حاجة غريبة.. أنت
أنثى.. أنثى بمعنى الكلمة.. وفى أنوثتك حياة ورقة وعذوبة.. أنا
مش قادر أشبع من وشك الحلو.. أنا ما كنتش عايش.. أنا كنت
ميت لغاية ماشفتك.. أنا لازم أسعدك.. أنا حاخلىكى أسعد
واحدة فى الدنيا.. يا حبيبتي يا حياقي.. يا ملاكى كل حاجة فيكى
حلوة.

كلام عمرى ماسمعتة من حد.. وقبلات.. وعناق، ونظرات
والهة دامعة.

وحديث هامس كالأغاني.

وشعرت بقلبي الذى طال به الحرمان يرتوى ويفرح ويسعد
كما لم يسعد أبدا.. شعرت لأول مرة بأنى امرأة، وأن لى شفتين
جذابتين وصدرًا نافرًا شهياً يتمناه الرجل.. شعرت بأنى جميلة
وفاتنة ورائعة وساحرة. وماذا أقول.. سوف أختصر لك الحكاية
التي انتهت بأسرع مما ابتدأت.

بعد عودتى من المدرسة اليوم (بعد ثلاثة أيام من كتب
الكتاب) رأيت بابا وماما فى انتظارى.
وألقى أبى فى وجهى بالحقيقة القظيعة.

اسمعى يا بنتى احنا بنحبك جدًّا وكنا بنتمنى سعادتك، لكن
حظك طلع كده واحمدى ربنا إنك حاتعرفى الحقيقة قبل فوات

الأوان وقبل ما تجرجرى وراكى دسطة ولاد ويبقى الطلاق مستحيل.

طلاق ايه؟

أيوه لازم يطلقك بكره.. والنهارة قبل بكره.. إنت مش عارفه إنتى اتجوزقى مين.. إنتى اتجوزقى راجل نصاب محتال حرامى له دوسيه فى البوليس.. مراته الأولانية اتصلت بينا وحكت لنا حكايته كلها.

- مستحيل.. ده كذب.. طبعاً هى متغاضة.. ولازم تشنع عليه.
- إحنا افتكركنا كده فى الأول، لكن هى قالت لنا نمر على المحاضر المحررة له فى النيابة والمباحث عن جرائم سرقة مصاغها ومحاضر تزوير بيع أملاكها وأرضها وتبديد.. إلخ.. إلخ.. إلخ واحنا رحنا بنفسنا وشفنا المحاضر دى. ويمكن تتصلى بنفسك بفلان فى (البوليس) وتعرفى منه كل حاجة.

اتصلت فى الحال.. وسمعت الضابط (وهو قريبنا من بعيد) يقول لى وكأنه يعزبنى:

- احمدى ربنا يابتنى أننا عرفنا كل حاجة وكشفنا أمره. ده راجل بطال له دوسيه وأرباب سوابق وبجرم خطير.. أنتى بنت كويسة وغلبانه وربنا أنقذك من الراجل ده.. ده راجل محتال.. حتى إسألبيه، واجهيه بالحقيقة.. وهو مش حايقدر ينكر.
وفعلا واجهته بكل هذه التحريات، واعترف ورأسه فى

الأرض ولكنه قال بصوت متهدج إنه أحبني، وإن حبه لي كان سيغيره إلى إنسان آخر نظيف لأنني أصبحت كل شيء في حياته. وطبعاً الصدمة كانت شديدة جداً على أعصابي.. فهذا هو زوجي الثاني.. والناس حايقوا إياه.. طلاق بعد ثلاثة أيام، فيه إياه.. البنت مش بتعمر في جوازه.. حاتبقى سمعتي زفت لكن مفيش حل.

كان اجماع الكل على أنه لابد من الطلاق فوراً.. ووافق هو ومنذ لحظات اتصل بي بالتليفون وقال لي بصوت باك:

- كده يافاطمة تفرطي فيه بالسهولة دي.. إديني فرصة، اديني فرصة أحاول فيها أبقى إنسان كويس.

- معلش القسمة جت كده.. يمكن تقابل إنسانة غيري تحبها وتعيش سعيد معاها.

- مش ممكن أحب بعدك حد.. مش ممكن أفكر أتجوز بعدك، أنت أول حب وآخر حب في حياتي.. أنت حلم.. حلم سعادة قصير مالحقتش أتني بيه.

وخنقت أصواتنا الدموع.
وماذا أقول لك.

طلاقي اليوم.. وحيي الوليد لم يت.. وصوته في التليفون مازال يجرح قلبي.

وامتحاناتي باقى عليها أسبوع.

ألا يمكن أن يحول الحب الإنسان المجرم إلى إنسان شريف.
فاطمة

الحب يمكن أن يحول الإنسان المجرم إلى إنسان شريف.
ولكن لابد أن تكون هناك بوادر وبشائر لهذا التحول.. ولابد
أن يكون الحب صادقاً وعميقاً ولا ريبة فيه.
وفي حكايتك لا أثر لهذه البشائر والبوادر.

فمن أول لحظة نشعر أننا أمام رجل مستعجل يحاول جاهداً
أن يوقع عقد زواج في ٢٤ ساعة وكأنه يمارس عملية توريط
مربية يريد أن يتمها في أسرع وقت.. فهو يلاحقكم بالتليفونات
كل ٥ دقائق.

وأنت مبهورة باهتمامه.. معجبة بظرفه وذلاقة لسانه..
وشياكته.

وطبعاً الشياكة وذلاقة اللسان والظرف والبلف والكلام المنمق
المزوق هو دائماً عدة الأونطجي والنصاب.

وأظن واضح دلوقتي أنه لم تكن عنده ذرة صراحة.
رجل له دوسيه في البوليس وسجل سوابق سرقة وتبديد
ونشل.

أفكر إذا كانت عنده أقل نية في التوبة والصلاح.. كان لازم

يبدأ حياته الجديدة معك بالكلام بصراحة عن ماضيه وأخطائه.
هذه بشائر التوبة وبوادر العودة إلى طريق الصواب.. ودليل
احترامه لك ولعلاقته بك وارتباطه في شركة طول العمر معك أن
يبدأ معك على نور. (وقد سبق أن نشرنا اعترافاً لسيدة محترمة
بدأت حياتها بالصراحة).

أما كلمات الحب التي ذاب لها فؤادك فيمكنك أن تسمعي
أسطوانات منها في أى سينما بالسيدة زينب في الأفلام القديمة أم
قرش.
والحكاية مش حكاية كلام.

الحكاية حكاية صدق القلب وخلوص النية.

وأنا أبحث عن أى دليل للصدق وخلوص النية فلا أجده.
وطبعاً حكاية الحب الملتهب اللى ينفجر فجأة في ٢٤ ساعة
برضه حكاية مشكوك فيها، وفي النهاية حرمانك الطويل ليس
شفيعاً لك بأن تشربي من أى مستنقع.. فالحياة في عطش أحسن
من شرب ماء النار.

وصدقني، إن الذين يشربون ماء النار يعطشون أكثر.
والطلاق بالرغم من نتائجه السيئة.. أعقل من الاستمرار في
مثل هذا الزواج المريب.. معلش قسمتك جت كده.

والمرّة الجاية حاولي تحكّمي على الرجل بطريقة أخرى غير
الانبهار بذلاقة اللسان والشيّاكة.. حاولي أن تعرفي بفطرة المرأة

وبصيرتها ما وراء الكلمات وما وراء الثياب البراقة. ورب رجل صامت يغلب عليه الحياء، أكثر طيبة وأكثر حباً من رجل «دحلاب» يجيد صياغة الكلام.

والشخصية والرجولة ليست في جمال الوجه كما قلت. ولكنها أيضاً ليست في الكلام وذلاقة اللسان. الرجولة في الصدق والصراحة والإحساس بالمسئولية وتحمل الأعباء ومواجهة الحقيقة حتى ولو كانت مريرة.. الرجولة أمانة وشرف وعمل.. وليست سرقة وتبديداً واحتيالاً.

أطخن طخين في العيلة!

أكتب لك بعد آخر مشاجرة حدثت.. وأصوات الخناق وظلال
الأيدي التي تلوح في الهواء، والقبضات التي تهدد مازالت تحوم
حولي وأنا أكتب.

أنا فتاة في التاسعة عشرة من عمري موظفة بإحدى
الشركات وأخت لثمانية إخوة حرمتهم الحياة من كلمة «بابا»
منذ خمس سنوات وهو تاريخ وفاة عائلتنا الوحيد.

توفي والدي بسكتة قلبية وكانت وفاته كالزلازل الذي هدم
حياتنا وأحالتها إلى كومة من الانقاض والرمال.
بحر حياتنا جف ونور أملنا انطفأ.

لم يبق لجيش اليتامى غير مرتبي الصغير ومرتب أختي
الموظفة.

التجأنا بحق الأخوة إلى أخى ليساعدنا في الحياة ولكنه امتنع
بحجة أن مرتبه لا يكاد يكفي احتياجاته.. وتمادى في العناد
واستقال من عمله بحجة أنه يتقاضى منه ملايم لا تستحق العناء
في سبيلها، والحقيقة أنها لم تكن ملايم كما يتصور ولو أنه اشترك

معنا بجزء ضئيل منها لأمكن لنا أن نعيش مستورين.. لكنه كان
عنيداً ولم يلق قلبه لتوسلاتنا.

سقول لى إن مرتبك ومرتب أحتك يمكن أن يجعلكم تعيشون فى
رغد.. ولكن أبى مات ولم يترك لنا سوى دين كبير لا نزال نسد
فيه من مرتبنا.. وأخى بدأت مطالبه تكثر وبدأ يبتز من أمى
النقود بكل وسيلة.. بالتهديد وبالوعيد والخناق فإن أخبرته بأنها
لا تملك ما يسد أفواه هذا الجيش من اليتامى.. وأنها باعت
مصاغها لآخر قطعة، أنال عليها يشتمها ويسبها ويلعن اليوم
الأسود الذى رآها فيه.. وتصمت أمى لكى تدع الزوبعة تمر.
وبدأ أخى يرسل إخوتى إلى الجيران ليطلبوا منهم النقود
بالسلف ويلقنهم أن يقولوا لكل من يلقونه.. «أمى بتسلم عليك
وبتقول لك والنبي تدينا نص جنيه سلف لبركه».

وتفاجأ والدق بالجيران يدقون الباب ويطالبون بنقودهم التى
استلفتها.. فتقضى ليلها ساهرة تبكى.

جاء بعض أقاربنا ليعتبوا عليه ويحاولوا رده إلى عقله ولكنه
صرخ «أنا ما بهمنيش أطخن طخين فى العيلة».. ثم ترك المنزل
وسافر إلى القاهرة «طفشانا».

وكانت هذه الحادثة كفيفة بأن تسقط أمى طريحة الفراش
مريضة تهذى طول الليل باسمه وإخوتى حولها والدموع فى
عيونهم، وهى تهتف.. فین أنت يا ضنايا.. سامحنى.. ارجع لإخواتك

- اليتامى المحتاجين لرعايتك وحنانك.

وسافر بعض أقاربنا ويحثوا عنه وأقنعوه بالعودة.

وعاد ودموع الندم تسبقه.. وانهاى على يد أمى يقبلها حينما رأى حالها فى غيابه، ولكنه مالبث أن عاد إلى طبيعته.. السهر كل ليلة مع إخوان السوء وشرب السجائر بشراهة والسكر وابتزاز المال بكل وسيلة.. وملاحقة أمى بالتهديد لتدعن لمطالبه.

وفى إحدى المرات تجاوز الحدود فضربها وصفعها، تصور.. يفعل هذا مع أمه المسكينة أم اليتامى المكافحة التى تنهض من الفجر لتغسل له ثيابه وثياب إخوته الصغار وتطهو له طعامه بيديها.

لقد أصبحنا حكاية فى فم الجيران.

وكل من يرانا يتحسر على أسرة كانت تعيش فى ستر وسعادة فى ظل عائلها ثم أصبحت بعد موته تعيش فى نكبات متوالية. لا تقل لى إن الحل أن يترك أخوك المنزل فنحن ووالدتي نحبه من كل قلوبنا ولا نستطيع أن نفترق عنه.

إن أخى - ولتعجب حينما أقول لك - قلبه طيب ومسكين. وفى تلك الحادثة حينما ضرب أمى فوجئت به وأنا أدخل الغرفة يجلس وحيداً (ولم يشعر بوجودى) يبكى بحرقة كالطفل الصغير وهذى ويقول.. إنكم جميعاً تكرهوننى.. كل إخوتي يكرهوننى. حتى أمى لا تعطينى الحنان.. اللهم اجعل قلبى حنوناً عليهم

لأمنحهم الحنان والحب الذى حرموا منه.. «عمرى ما لقيت كلمة حنان من حد يارب.. يارب حنن قلوبهم على».

وخرجت كما دخلت بدون أن يشعر بى.

لقد بدأنا نكرهه لتلك الأعمال التى نراها منه ولكنى أرجع وأقول وربنا يعلم أننا نحبه كثيراً.. فكيف يعتقد غير ذلك. إنى حينما أسير فى الطريق تنهال دموعى من غير ما أشعر كلما فكرت فيه.. وفى وحدتى كل ليلة أصلى من أجله وأدعو له بالهداية والتوفيق.. وفى أحلامى أراه أسعد الناس.. وإخوتى يذهبون إلى الامتحان كل يوم وآثار الدموع فى عيونهم.. وكلهم يحبونه ولا ينامون الليل إذا غاب عنهم.. ولكن أفعاله لا تدع لأحد فرصة لكى يعبر له عن حبه.

إن عقلى يشرد بعيداً ويهتف دائماً فى تعاسة.. أبى قم من قبرك لثرائنا وترى ما صارت إليه حياتنا السعيدة.. قم لترى أسرتك تعيش فى عذاب وشقاء من بعدك.

إنى مؤمنة بقضاء الله.. ولكنى لا أحب أن أقف مكتوفة اليدين أمام ما نزل بنا من بلاء وأريد أن أعيد إلى أخى ثقته بنفسه وإيمانه بنا وبحبنا فنحن بدوننا لا حياة لنا وهو أملنا الباقي بعد أبينا.

ومن توفيق الله أنه وجد عملاً عند مقاول.. وأن أحوالنا يمكن أن تنصلح لو صفت النوايا والقلوب.

وما أحوجنا إلى صفاء النوايا والقلوب.

س السويس

إن النوايا لا تكفى.

وإضمار الحب لا يكفى.. وإنما لابد من إظهاره.

وأخوك يتعذب بفكرة وهمية: إنه مكروه لا أحد يحبه ولا أحد يعطف عليه.. وهى فكرة سوف تزول ولا شك حينها يقرأ فى كلامك ما تكتينه من حب له.. والقلوب الطيبة الأصيلة تحركها المعاملة الطيبة ويشيرها الحنان.

حاولى أن تقتربى من أخيك فى محاولة مخلصة لمعونه وتفهمه لا تلقى إليه بموعظة أو نصيحة.. ولكن قدمى له هدية.. علبة كروت بها مجموعة كروت باسمه وهى لن تكلفك كثيراً.. ولكنها سوف تكون برهان محبة وسوف يردّها لك بأحسن منها.
وهو بالمثل يفهم أن الحب لا يكون بإضمار الحب ولكن بإظهاره فى المعاملة الحسنة وفى الاشتراك المادى فى المعونة والاحتياجات اليومية.

والاشتراك فى الأعباء رجولة.

والله يعطينا بقدر ما يعطى بعضنا بعضاً.

وسوف يفتح عليه باب الرزق إذا أشرك الآخرين في رزقه
وخيراته.

والحاجة تفتق الحيلة.. أما السلف فإنه لا يفتح الباب لأى
خير وإنما على العكس يفتح الباب على الاحتيال.
وإذا كان يريد أن يشعر بأُمومة أمه فلا بد أن يشعر أولاً
بالبُنة الصالحة.

وإذا كان يريد أن يشعر بحب الإخوة فلا بد أن يكون الأخ
المحب أولاً.

العواطف لا تكون بأن نضمرها وإنما بأن نظهرها.. وهو ولى
الأمر.. والقُدوة.. والمثل.. وأنا متفائل.. فهناك رائحة طيبة وأصاله
فى كلامك.. وأخوك إنسان طيب برغم ما بدر منه.

وسوف تنصلح الأحوال حينما تتضافر جهودكم كلكم..
وإن الواحد ليفتخر بأن تكون له أخت مثلك.. عواطفها فى
نضارة عواطفك.. وقلبها فى طيبة قلبك.

وأخوك لن تفوته فرصة هذه المحبة.. ولا يمكن أن يخنقها فى
مهدّها.

الحب والضرب

نشأت في بيئة متدينة محافظة في بلد صغير بالصعيد.
والدى كان موظفًا في شركة بالمركز.
وعقلي كان مقفلا مثل بيتنا المقفلة وقلبي كان هو الآخر
مقفلا.

ولكني اضطرت إلى الخروج من هذه الدائرة وأنا في الثالثة
عشرة حينما دخلت المدرسة الثانوية.. وكان ذلك يستدعى السفر
كل يوم لأذهب إلى المدرسة.

وتعرفت عليها.. كانت أكبر مني بكثير وكانت تتردد على
المدرسة لقضاء الوقت وعرفتني بأخيها الذي كان السبب في كل
المصائب.

كان أخوها هو أول رجل خارج العائلة أضع عيني عليه.
وكان بالنسبة لعقلي المحدود شيئًا باهرًا.
وتصورت أنه فارسي المنتظر ورجل أحلامي.

وتعلقت به.. أحبيته وجننت به وخيل إلى أنه أعظم رجل في

الدنيا.. عقل عيال.. إنت لك حق لما بتقول إن الحب فى هذه السن المبكرة كلام فارغ.. ففى هذه السن لا يكون الحب حباً وإنما يكون خيالاً.

نعم كانت الصورة التى أحببته بها صورة من صنع أوهامى وخيالى.

كنت أحلم بكل خيالى المكبوت.

وكنت أفكر بخبرى المحدودة.. وأتصور أشياء لا وجود لها إلا فى عقلى.

نعم أنا الآن أؤكد لكل بنت أن الحب الأول وخصوصاً فى سنوات المراهقة كلام فارغ.

ولكنى ساعتها لم أكن أعلم أنى أنسج بعواطفى كلاماً فارغاً. كان يخطبنى من أهلى (ومصيبة الحب فى هذه السن حينها ينقلب إلى حقيقة تطالب بمكان لها فى الواقع).

وقال أهلى إنه لا يصلح.

وقلت أنا إنه يصلح.. وبكيت وتشنجت ومزقت شعرى وطبعاً أذعن الأهل فى النهاية.. (وليتهم ضربونى علقة وعلمونى الأدب). وتم الزواج.

ودخلت عش الجنة.

وكالعادة فى مثل هذه الأحوال لم تتحمل عواطفنا الواهمة الامتحان.

وبعد أيام قليلة كان الملل والسأم قد بدأ يبدد الأحلام
ويكشف من دخائل النفوس الحقيقية.. وهو يصحو كل يوم ليستم
بدون مناسبة.

يعنى أبوكى مش بيسأل عنك بلميم.
يعنى أمك مابتدخلش عليك بخيارة فى أيدها.
واتضح بعد الزواج أن كل إirاده ٣٧ جنيهاً لا يحتكم على
سواها.

واتضح أنه كان يتصور أن بابا سوف يرسل لنا كل شهر
خمسین جنيهاً. وأن أمى سوف تملأ البيت بالدجاج والبط والسمن
والأرز وكافة لوازم الخزين.. وأنه سوف يسحب من الوكالة
كما يريد.

فلما لم يجد الوكالة السايبة التى كان يتوقعها.. ظهرت أخلاقه
على حقيقتها.. شتيمة وقلة أدب وضرب.. وضرب إيه، ضرب
محترم (فقد كان يلعب ملاكمة سابقاً).

نهايته أخذت فوق دماغى ولم أخبر أهلى بشيء.. فقد كانت
الشورة شورقى والجلب جلبى.. ولو كنت فتحت فمى لانهالوا
علىّ هم الآخرون باللوم والتقريع.. وحالاقها منين والا منين.
وصبرت.. واستحملت.. وعشت معاه على قد حاله وأنا راضية
وأتمنى رضاه بأى طريقة.

وكل ده ومش عاجب.

وساق هو في طولة اللسان وطولة اليد وطولة الرجل حتى
كسر ذراعى في إحدى المرات، وفاض بي الكيل وانتهزت فرصة
نزوله للشغل وكلمت أبي في التليفون وهددته بالانتحار إذا لم
يأخذني من الجحيم الذى وضعت نفسى فيه.. وبكيت وصرخت.
قلت له إنه ييضربنى وإنه كسر ذراعى وإنه ييهددنى أنه حايتهجوز
على بالشبكة بتاعى (وكان قد أخذها وأخفاها).

وهكذا خرجت من البيت وأنا أقرأ الشهادتين وأقبل يد أبى
ورأس أمى وألعن الحب وجراير الحب.

وحينما تزوجت كنت قد تركت المدرسة.. (وكنت راسبة ثانوية
عامة).. فأعدت قيدي والتحاقى وبذلت كل ما أستطيع من جهد
في المذاكرة (ولك أن تتصور مدى الكفاح الذى كافحته وقد
أصبحت أمًا لطفلة ترضع وتعوى).

وكل يوم مجلس صلح حتى يوم الامتحان وأنا أرفض.
ونجحت والتحقّت بالكلية التى كنت أحلم بها وأصبح مستقبلى
هو كل حياتى.

وفجأة وجدت إعلاناً من المحكمة يطلبنى في بيت الطاعة.
وطبعاً ركبى سابت واستولى على الذعر.

وحكمت له المحكمة بالطاعة وجاء يطلب الصلح بالذوق
وبالتى هى أحسن.

وخوفاً من البهدة وتحت ضغط الجميع وافقت وأمرى إلى الله.

ورجعت وأقمت عند أهله لأن أحواله المادية لا تسمح له
بفتح بيت وقبلت لما وجدت عنده من استعداد لإصلاح معاملته..
وفعلا بقى كويس جدًا لمدة شهر.. وبعد كده رجع لعوايده..
ضرب وشتيمة وأنا أعصابى تلفت.. كل يوم رايحة الكلية.. مفيش
كلية.. مفيش عندى واحدة تروح كلية تتمرقع بين التلامذه..
أحاول أن أدافع عن نفسى يصرخ قائلا: مفيش ولا كلمة.. أنت
خدامة فى البيت مش أفوكاتو.. وطبعًا أمه قالت الكلمتين إلى
ربنا قدرها عليهم.. وأخته كملت على بقيتى.
طيب طلقنى.

مفيش طلاق.. بعينك الطلاق.. أنت تعيشى زى الكلية..
وغضب عنك، وحكم الطاعة على دماغك.
أخذت الدش ولم أرد بكلمة واحدة فقط سقط من عيني إلى
الأبد.

احتقرته وكرهته كما لم أكرهه طول عمرى.
نهايته طفشت تانى لبيت أهلى، وأخذت البنت وعدت إلى
الكلية وقد صممت هذه المرة على الانفصال النهائي بأى ثمن.
ساومنى على الطلاق فى مقابل مبلغ أدفعه يعوضه عن المهر
والشبكة والفضائح (ليه ياناس هو كان متجوز رقاصة، والفضايح
لين؟ له.. والا لى أنا الى حبقى مطلقة وعلى كتفى بنت).
ومين الى يصرخ بأعلى صوته.. عاوز فلوس، هاتى لى

فلوس.. هاتيلي من أبوكى.. من أمك.. من الشارع.. امشى على
كيفك.. بس عاوز فلوس.

أنا لم أتزوج رجلاً.

وهذه المرة لن أعود.. ولو رفع سوط الطاعة على رقبتي.

لن أعيش معه يوماً واحداً.

سوف أكمل دراستي وأتحرر من الذل والعبودية والحاجة إلى

من يستغلني.

أعصابي تلفت.

لا أتصور أن يخرج جرنى جندى بوليس من الكلية إلى بيت

الطاعة لأعيش مع رجل تنقصه كل مقومات الرجولة.

خذ بيدي.. انصحنى.

المعذبة

ص. ع

عودتك إلى الدراسة ونجاحك ودخولك الكلية التي اخترتها

بالرغم من كل هذه الزوابع حولك تدل على شخصية وإرادة

وخصائص نفسية نادرة.

اطردى الخوف واثبتى على موقفك.

وحتى لو طلبك فى الطاعة.. بإمكانك أن تحصل على حكم

بالطلاق منه.. وسوف يقف القاضى فى صفك حينما يعلم بظروفك.

إن خضوعك للظلم مناصرة للظلم ومناصرة للظالم.

وإقيني أن شخصيتك القوية سوف تنجو بك من البلاء الذى

وقعت فيه.

حول الشباشب والمثل العليا

مشكلتى باختصار شديد أنى زوجة فى التاسعة والعشرين،
عصرية متعلمة تعليماً جامعياً، متوازنة إلى حد ما.. لى بيت جميل
أنيق.. زوجى فى الأربعين يشغل منصباً محترماً أكثر منى اتزاناً
وهدوءاً أنجبنا ولداً وبناتاً.

أشرف على نظافة بيتى بنفسى وأهتم بتعليم أولادى وأذاكر لهم
دروسهم.. أسهر على راحة زوجى.. والنتيجة أسرة سعيدة هادئة..
سوف تسألنى.. أين المشكلة؟

المشكلة فى زوجى.. وفى معاملته لى.. فى كل مناقشة بحق وبدون
حق يسفه آرائى ويسخف أفكارى ولا يتركنى حتى أشعر أنى مخطئة
قليلة العقل، وأن حكمه هو الحكم العادل الذى لا يخطئ فإذا
حاولت الدفاع عن نفسى احتد فى كلامه ثم بدأ يشتم ويسب
وينهال على سمعى بأقذع الكلام، وتنتهى المناقشة بخضام وبوز
شبرين وسهر فى الخارج ورفض للطعام وحرق سجائر سيجارة
وراء سيجارة ويظل على خضامه وبوزه حتى أبدأ أنا.. وأنا
بالذات.. فى مصالحته، ومعلش.. أنا غلطانة.. أنا مش فاهمة.. أنا

قليلة العقل.. لازم اتمسح به مثل القطط لأرضى رجولته.. هنا فقط يعود السلام والوثام إلى البيت.

ولكنى أؤمن بأسلوب آخر اسمه الاحترام المتبادل وديمقراطية الرأي وخصوصاً بين زوجين عصريين متعلمين.
وأعتقد أن الخلاف هو المحك الذى تظهر عليه أخلاق الزوجين على حقيقتها.

قلت له هذا ألف مرة.. وكان فى كل مرة يحتد ويشتم.. كنت أضع فى حسابى أنه وحيد والدته.. وأنه متدلع.. ولكن استسلامى له جعل حاله يسوء مرة بعد مرة.. يفقد أعصابه فى أتفه نقاش ويشتم ويسب.

لو أنه قال لى مرة معلش.. وطببطب على.. وأشعرنى بحنانه. كانت المشكلة انتهت.. ولكنه جعل الكبرياء دائماً من حقه والتذلل من نصيبى حتى ولو كان هو المخطئ.. أنا اللى أقول له معلش سامحنى.

وأخيراً أصبح يهددنى بالطلاق.. بمناسبة وبدون مناسبة يقول لى أطلقك بالثلاثة.

الطلاق كلمة كبيرة ما يصحش تطلع منك بالسهولة دى.. لنا طفلين بيسمعوا كلامك.. مش كويس.. صلب العلاقة الزوجية وقداسة الرباط الزوجى يجب أن يظل بعيداً عن هذه المشاحنات اليومية، لأنه مقدس مثل الدين والإيمان.. إذ انهار انتهى بانهاره

الأمان وخرب البيت بدون طلاق وبدون فراق.. ينفجر نائراً
ليقول لى.. إنتى فاكرة نفسك إيه.. انتى حاتقفى تترافعى. انتى
حاتعلمينى الواجب.. إنتى فاكرة نفسك بتفهمنى.. إنتى أكبر
حمارة.. إنتى تخرسى.. إنتى تسمعى كلامى وإنتى ساكتة زى
الكلبة.

لكن أنا مش كلبة ولا حمارة.. أنا بنى آدم.. ومش ممكن حياة
بين بنى آدمين تبقى عبارة عن الأكل والشرب والنوم والخناق
وبس.

حقيقى هو بيدبنى كل فلوسه.. وكل طلباقي بيعجيبها
ما بيهونش عليه طلب يطلبه الأولاد.. أو حاجة أقول له أنا
نفسى فيها.. كل شقاه لنا.. لكن عيبه الوحيد معاملته.

نفسى مرة يقول لى تعالى نتمشى على الكورنيش، مش
عايزاه يأخذنى فى تاكسى ولا يقعدنى فى كازينو.. لكن يتمشى
معايا أيده فى ايدى.. نتكلم كلام حلو ونقزقزلب.. ونقعد على دكة
ناكل ساندويتش.. يوم واحد فى الأسبوع نقضيه فى جنيئة نضحك
ونجدد عواطفنا.

قلت كده مرة.. ثار.. وقال لى إيه شغل العيال ده.. سمعتى
الكلام ده فى أى سينما.

وكلمة منه وكلمة منى انفعل جداً وتهور وشتم.. تصور. وقلع
الشبشب من رجله ونزل على دماغى.. ساعتها والأولاد صرخوا

لا يا بابي.. بلاش يا بابي بلاش.. ودارت الدنيا بي وتبخر كل حب في قلبي وشعرت بنفسى أموت.. منظره وهو واقف هكذا عارى القدم والشبشب في يده.. وسحته مقلوبة.. شىء فظيع. ودعك من التفاصيل.. شىء في قلبي انكسر.. شىء في روحي تحطم.. انهارت مثلى.. والقيم التى عشت بها وتربيت عليها أغلقت فمى.. لم أتكلم.. خرس.

وطبعاً هو أفاق على الشبشب في يده.. وأصابه الذهول.. كيف ضربنى.. وحاول أن يعتذر.. ولم يجد كلاماً يقوله وأنا لم أجد عندي كلاماً أرد به.. وخيم الصمت.. لا كلام ولا سلام.. انصرف عن الطعام كالعادة.. ولكنى هذه المرة لم أهتم.. غطست عامت لا أهمية عندي.. اللى يعمله يعمل.

وتم الصلح التقليدى بواسطة أخته.. لأول مرة يطلب المعونة من الخارج. لو أنه لجأ إلى وطبطب على ساعته وقال لى تنقطع إيدى يمكن كان كل شىء اتصلح. لكن الاعتذار حينها يتأخر عن وقته ويأتى بارداً بلا روح فإنه لا يغنى.

المهم عادت حياتنا.. ولكن ظل ينقصها دائماً شىء.. علاقتى به أصبحت عادية.. ولكن لا علاقات خاصة بتاتاً.. هو يحترم حزنى ولا يحاول أن يأخذ منى شيئاً بالقوة.. ونحن زوجان أمام الناس فقط.

واستمر الحال شهراً.. شهرين.

وكاد قلبي غصب عني يصفو.

كنت أفكر دائماً في الأولاد.. ماذا يكون مصيرهم لو أنهم
كبروا في هذا الجو من التفور والخصام. وتربوا في بيت يفتقر إلى
الحنان.

لكن أسامحه ازاي. حاسوق فيها.
وأنا إنسانة حساسة مرهقة الأعصاب تربيت في بيت يسوده
الوئام والاحترام.. ولى قيم ومثل عليا.
وكل هذا ينتهى إلى الضرب بالشيشب.
هل يمكن أن يحدث هذا في أى بيت فيه ناس متربيين مثقفين
جامعيين.

أنا محتارة.. أعمل إيه.
أنا تحطمت تماماً.. ولكنى أحب بيتى.. ولكن ليس بأى ثمن.
نوسة

* * *

بيني وبينك يا نوسة حكاية الشباشب دى منتشرة أوى في
البيوت المصرية.. وبالذات في بيوت المتربيين والمثقفين
والجامعيين.. والظاهر أنك ما عندكيش فكرة.

لا تظني أنني أضحك.. ولكنى صدقيني الشباشب كعصا موسى
لها عندنا مآرب أخرى وهي أحياناً تنزل على رأس الزوج

وأحياناً على رأس الزوجة.. وأحياناً بالعدل والقسطاس على رأس الاثنين.. وهذا لا يدل أبداً على رخص الزوجات.. بقدر ما يدل على غلاوة الشباشب.. وأنتى عارفة أسامى الدلع التى تطلق على الشباشب.. عارفة شبشب «زنوبة» وشبشب «شادية» وهى أسامى تدل على التدليل والغلاوة.. وصدقنى لا توجد علاقة إطلاقاً بين الشباشب والمثل العليا وأصحاب المثل العليا قد يتقاذفون بالشباشب فى ساعة يتحكم فيها الشيطان بدون أن يحدث أى شىء للمثل العليا أو القيم.

أنت مخطئة تماماً فى الربط بين الشباشب والمبادئ.. طبعاً أنا لا يمكن أن أدافع عن الضرب بالشبشب كأداة لإبداء الرأى فى الحياة الزوجية.. ولكن إذا حدث «وهو يحدث كثيراً فى حياتنا» فليس معناه أن المثل العليا انهارت والقيم انتهت والخير لم يعد له وجود فى الدنيا والحياة أصبحت قطران وجحيم.. والموت أحسن إلى آخر هذه الانفعالات الرومانتيكية المبالغ فيها.. أبداً.. لا يجب أن يزيد تقدير المسألة عن كونها لحظة تهور واندفاع.. وشكراً لله الشبشب كان أقرب شىء إلى اليد.. فهو سلاح مأمون طرى لا ضرر منه.. وهو لا يجرح الكرامة جراحاً قاتلة كما تصورت فالمسألة مسألة تعود.. وقبله على الحدد بعد الشبشب.. وسينما سواريه آخر الليلة وحتة بسبوسة تاكلوها سوا فى الشارع وانتوا راجعين.. وحايبقى ضرب الحبيب زى أكل الزبيب.. المشكلة إذن مش مشكلة شبشب.. وإنما المشكلة فى جفاف زوجك

وفي عنجهيته، وفي غرامه بالعنطرة والشخط والنظر، وفي شعوره بأن كلامه لا مراجعة فيه وأنه على حق مهما فعل.. فالدور عليك دائماً.. وهي عقلية رجال زمان.. عقلية غلط طبعاً ولكن للأسف ما زالت عقلية ٩٠ ٪ من رجالنا (السيد عبد الجواد في بين القصرين)..

وهو قطعاً يحبك ويموت فيك بدليل أنه يعطيك كل فلسه وعرقه وشقاه ويلبى أى طلب من مطالبك.. ولكنه «عقد» زى ما قلت لك.. وهو يتصرف بسلوكية موروثة عن الآباء والأجداد.

والحل الأمثل لتستقيم الحياة في البيوت ويتحقق أكبر قدر من الوفاق أن تتغير هذه العقلية.. ويسود الاحترام المتبادل كما تقولين ولكن إذا تعذر هذا.. وخصوصاً أنها مسألة طباع وتربية وعقلية ربما احتاجت إلى أكثر من جيل لتتطور.. أقول إنه إذا تعذر أن يتغير رجلك بين يوم وليلة وهو متعذر، فعليك أنت أن تكوني الطرف الذكى الذى يعرف كيف يتجنب الريح.. وكيف يلاين ويسايس.. خصوصاً وأن الحب وهو ما يهكم موجود وهو ملء قلب زوجك، ولكن المشكلة أنه لا يجيد التعبير عن حبه. كل ما يبقى إذن هى الشكليات.

فى بيتك الحب والزواج والأولاد.. ولكن فى ثوب خشن بدائى من الشكليات الموروثة.. المشكلة فى صميمها مشكلة ثانوية تحلها السياسة والكياسة والملاينة.

وإذا درست زوجك فسوف تستطيعين الوصول إلى قلبه
وارضائه بسهولة.. بل بأتفه السبل.. امنحيه الشعور بالسيادة ولو
بكلمة فاضية وسوف يطير من الفرح ويصبح أطوع لك من
بناتك بل سوف يضرب نفسه بالشبشب ويقول لك أنا إلى
استحق أخذ من ده.
والحياة فن.

والفن هو أن نجعل الشبشب في خدمة المبادئ.

صراع..

بعد تردد طويل وحيرة بالغة أكتب إليك.

أنا فتاة في الثانية والعشرين أو على الأصح سأبلغها بعد قليل عرفت القلق والعذاب وتأنيب الضمير منذ كنت في الخامسة أو السادسة لا أذكر.. وكان هذا عندما حاول طفل يكبرني حوالى ٥ سنوات أن يمارس معى لعبة الجنس.. وقتها كنت لا أخرج وحدى مطلقاً ولم يكن أبى يسمح لى باللعب فى الشارع فقد كنت ابنة الأسرة المدللة برغم وجود أطفال غيرى.. لكن الأقدار شاءت أن أنزل فى هذا اليوم لأشتري حلوى من أمام المنزل.. وحدث ما حدث فى مكان مظلم بفناء المنزل.. وأنا بالطبع لا أذكر التفاصيل ولكن ما أذكره أنى بكيت كثيراً وتميت لو استطعت إخبار أمى ولكنى كنت خائفة وبت أشعر أنى أصبحت أختلف عن كل الفتيات.

وجاءت المراهقة.. وجاءت معها بنوبات عصبية تتناوب بين حين وآخر. يسخن جسمى وترتعش أطرافى وتتأبى آلام شديدة وأظل فى فراشى كالمحمومة حتى تنتهى النوبة.. وكانت تأتى

النوبة أحياناً وأنا في المدرسة.. وكانت تضئني الآلام المبرحة فأظل أهرز ساقى وكأنى أركب دراجة.. وأصبحت زميلاتى يعرفن عنى تلك العادة ويضحكن على.. وكنت اتعذب.. وكان عذابى يؤدى بى إلى الانطواء والعزلة.

ولكنى ظلمت أقاوم وأكافح.. وبمرور الوقت بدأت أسيطر على تلك النوبات وأتغلب عليها بالإرادة.

وحينما دخلت المدرسة الثانوية كنت قد تغلبت على هذا الداء وبدأت أتححر.. وبدأت أخرج من شخصيتى المنطوية وأتحول إلى فتاة مرحلة تحب الغناء والرقص وتقرأ كثيراً وتنجح باستمرار وبتفوق.. أذكر فى تلك الأيام أنى أحببت طالبة زميلة لى كانت دميمة وبها عاهة وكانت من الأوائل.. وتحول حبى بها إلى هيام وتعلق غير طبيعى كنت أخجل منه.. وبلغ من حبى لها أن حاولت الانتحار حينما رسبت فى مادة خوفاً من أن أبدو أمامها بليدة راسية وكانت تكره كل من يرسب ويتخلف.. وأيامها كنت أغرق عذابى فى الصلاة والتعبد وأقاوم عاطفتى الشاذة وأحارب ضعفى وانحرافى.

وانتهت الأزمة بسلام وانتصرت على نفسى بعد طول جهاد.. وانتقلت إلى السنة الثانية وابتعدت عن صاحبتى ونسيتها.. بل إنى أصبحت أضحك على نفسى وعليها وعلى عواطفى البلهاء.. بعد هذا أذكر أنى بدأت أعجب بممثل مسرحى رأيته مرة واحدة

وكلمته وطبعًا كما حدث مع زميلتي أحسست أني أحب هذا الممثل
وأعبدته وما كادت السنة الدراسية تنتهي حتى نسيته تمامًا ولم أعد
أشعر بوجوده.

وبعد هذا بدأت قصة لي مع جار يسكن بمنزلنا.. كان طالبًا من
بلد عربي ظل يطاردني بالخطابات والأشعار والتوسلات.. ثم
تعرف بالعائلة وبدأ يتردد علينا ليعطينا دروسًا وتوثقت علاقتنا،
ثم خطبني.. وحدث بعد هذا أن ذهبت إلى كليته وسألت عنه
فاكتشفت أنه راسب بشناعة في جميع العلوم.. وأنه يراسب كل
سنة.. وأنه مرفود.. واكتشفت بعد هذا أنه كذاب محترف، وأنه
كذب علينا في كل شيء، وبدأت أشعر أنه سخيف ومدع وفقدت
كل عاطفة نحوه وفسخت الخطبة.. وفي هذا العام رسبت ومرضت
وأجريت لي عملية جراحية وانحدرت نفسي إلى حالة تعيسة من
السوء كنت أقف طويلاً أمام المرأة وألاحظ أن حجم صدرى
ضئيل برغم جسدى الممتلئ وأشعر أن الانوثة تنقصنى، وكنت
أختار أكبر أحجام السوتيانات لألبسها ولا أكتفى بهذا بل أضع
قطعاً من القطن ليزداد حجم صدرى.. وطبعًا لم يكن أحد يلاحظ
هذا.. وكان كل من يرانى يقول عنى آخر أنوثة وآخر جمال..
ولكنى كنت أتعذب وأشعر أن الجميع مخدوعون فى جمالى.. وأنى
لا أساوى شيئاً.. وشمل الاضطراب حياتى.. لدرجة جعلتنى
انحدر إلى حالة من الطيش والحماقة فأغازل أحد أقربائى.. ولد
فاشل مسبب.. وأترك له نفسى يحتضنى ويقبلنى بدون رغبة

وبدون حب لمجرد التسلية ومحاولة لإغراق همومي وآلامي..
وطبعاً كانت حكاية منفرة جداً لدرجة أثارت اشمئزازی
واحتقاری لنفسی.. ولدرجة أنى أفقت تماماً وعدت إلى صوابی
واعتصمت بالله وتبت واستغفرت ولم أعد إلى مثل هذا العمل.
وبعد ذلك دخلت الكلية بقلب كسير ونفس مثقلة وبدأت
أتردد على طبيب أعصاب قال لى علاجى فى النجاح.
وحاولت أن أغرق همومى فى الكتاب.. وأشغل نفسى
بالمذاكرة.

ثم التقيت به.. رجل غير كل من عرفتهم.. معتد بنفسه
لدرجة الغرور.. قوى الشخصية متفوق فى دراسته رزين ناضج
جذاب شائق الحديث.. كان يشجعنى على المذاكرة.. ويبيت فى
نفسى التفاؤل.
وبدأت أحس بعاطفة من نوع جديد.. كنت أشعر بالراحة
وأنا معه.

وفت علاقتنا وتحولت إلى حب عميق متبادل.
ثم حدث مصادفة أن عثر فى أجندة قديمة على سطور كنت قد
كتبتها لحبيبي الأول الذى كنت مخطوبة له.. وكانت سطوراً
تنبض حباً وشاعرية.
وفجأة تحول العاشق الهادئ إلى رجل مجنون غيور يطاردنى
بالأسئلة وتحولت لقاءاتنا إلى محاكمات سخيفة لا تنتهى وفى كل

مرة يطلب منى أن أحلف ألف يمين أنى لم أحب أحداً كما أحبته..
وأن أحداً لم يقبلنى وأن أحداً لم يمسك يدى.. إلخ.. إلخ..
وكنت أشعر بالإشفاق عليه.. وأعذره.. وأحاول أن أترضاه..
وكان فى نوبات جنونه يهجم على محاولاً أن يقبلنى بعنف.. فأرده فى
غلظة.. فيثور ويصفعنى ثم يعود فيعتذر.. ويقول لى.. كيف يكون
هناك حب بدون قبلات.. لا بد أنى لا أحبه، وأنا أعترف بأن
مشاعرى أصبحت متناقضة.. أشعر أحياناً أنه كل حياى، وأحياناً
أخرى أشعر أنى واهمة وأن ظروفى ومتاعبى النفسية هى التى
تجعلنى أعلق به لأشعر بالطمأنينة وأغالب الوحدة والشعور
بالنقص.

أحس فى قرارة نفسى أنه لن يتزوجنى حتى ولو كان يحبنى،
لا أدرى لماذا أحس بهذا.

أصبحت أكره نفسى وأكره حياى.

حول الكتب لا أستطيع أن أفتحها وقد نجحت فى العام
الماضى بتقديرات لا بأس بها برغم كل الظروف.. ولكنى أريد
أن أنجح هذا العام نجاحاً مشرفاً.. أعيش فى عذاب لا حدود له.
ماذا أفعل..؟

الحائرة م. أ
القاهرة

* * *

رسالتك تدل على يقظة عقلية وفطنة نفسية وحساسية شديدة
ونمو في الشخصية حدث عبر صراعات دامية وعقد وأزمات.
وأنت قد توصلت إلى مفاتيح مشكلتك.. فما بينك وبين
صاحبك ليس حباً.. وهو لن يتزوجك مهما بلغ به الوجد فهو ليس
أكثر من وحش جريح جرحه اكتشافه أنه كان الرجل الثانى فى
حياتك، كل ما يسعى إليه هو أن يجرحك كما جرحته ثم يتركك..
كما أن ما تشعرين به ليس حباً إنما هو الوهم الذى تغالين به
ظروفك ومتاعبك النفسية بحثاً وراء الطمأنينة ومغالبة للوحدة
والشعور بالنقص كما قلت.. وهى الدوافع التى ألفت بك فى سبيل
العلاقات التى تورطت فيها علاقة بعد أخرى.

وقد آن الأوان لشخصيتك أن تتكامل وتندمل جروحها
وندوها، وأن لك أن ترفضى هذه الوسائل المريضة. فأنت أقوى
مما تتصورين بكثير.. وحياتك كلها انتصارات على نفسك وعلى
وضعك.

اقطعى علاقتك بالرجل.. ولا تتورطى فى أية علاقة أخرى.
واخلى السوتيان الكبير وألقى بقطع القطن.. وتذكرى أن
الصدر الصغير جميل يوحى بأنوثة مهيبة.. وأن الصدر الكبير على
العكس يجعل المرأة تبدو كالبقرة.

وعقيدتى أنك سوف تغلين على ضعفك وسيكون لك فى يوم
من الأيام شأن عظيم.

نهاية القطة والكتكوتة

كنا خمسة أولاد لأسرة فقيرة.. عائلها رجل عامل يكدح بيده.
وبرغم ذلك فقد بذل ذلك الأب المكافح الطبيب كل جهده
وربانا نحن الثلاثة الذكور في الجامعة حتى تخرج أكبرنا الطبيب..
والأخت الصغرى أدخلها المدرسة الثانوية والأخت الكبرى
زوجها.. وكانت نتيجة هذا الكفاح المر والتضحية المستمرة أن
مرض بأعصابه.. فأصبح يتهيج ويثور لأقل سبب.. ثم حاول أن
يجد العلاج في الخضوع لتصاريف الدنيا.. وزى ما ترسى دق لها..
فهذا على الأقل أفضل من الجنون.. وهكذا انتهى أمر قيادة
البيت إلى يد الأم الجاهلة.. وليس الأمر أمر الجهل وحده.. وإنما
هو جهل وسيطرة وسوء إدارة وسوء تقدير وسوء تربية.
وكانت ضحية هذه السلطة الجديدة الغبية هي البنت الصغرى
فقد احتضنتها الأم ودلتها.. كل ما تطلبه يجاب في الحال.. بنتي
الحلوة الكتكوتة.. القطة.. وهى قطة بالفعل وحلوة بالفعل وهذا
جعل الضرر مضاعفاً.. كل يومها تقضيه أمام المرأة تسبب
شعرها وتستعرض نفسها بالفستان المحرق.. إيه القوام الغزلاى

ده.. والنبي لأخليكى تجنى شيان الحثة كلهم.. ياترى فين الرجاله
بيجوا يشوفوا.. أقل من ألف جنيه مأخدش مهر فيكى
الحلاوة دى اتخلقت عشان العربيات والألماطات والفيلاب
والحراير.. يا أرض احفظى ما عليكى.. حصوة فى عين اللى
ما يضيعشى عمره عليكى.

والبنت عينها فتحت.. بقت تحش الحمام تغيب فيه بالساعة
والاتنين، وتطلع من الحمام تتخايل.. وتقف قدام المراية وتقلع
وتحسس على وسطها وصدرها.. وتتسمر فى الشباك.. وتمنمختر فى
الرايحة والحاية.. وتغنى.. بلاش تبوسنى فى عنيه دى البوسة فى
العين تفرق ونقوم وننام على حب فى حب.. ومن سحر عيونك
ياه.. (تنطقها ياح).. وهى تغمز وتلمز مثل صباح.. والأم تصفق
وتأخذها بالحضن.. وكتكوتى.. وقمورى.. ونحن الرجال نصرخ
احتجاجاً على هذه الخلاعة.. والأم تصرخ فينا وتمسك الشيشب
لكل من يرفع صوته فى القطة الكتكوتة.. وأبونا تعبان وضع
صوابه فى الشق وترك الدنيا للديان وأصبح رجلاً محطماً لا حول
له ولا قوة.. والمصروف أعطاه للست والبيت تركه للست تفعل
فيه ما تشاء.. والراجل معذور، عمل اللى يقدر عليه واتهد حيله.

والمصروف يجرى من ايد الست لايد البنت.. واللبس
والوجهة وزجاجات.. ولونيا للبنت الكتكوتة.. والكتكوتة
ترجع من المدرسة ترمى الكتب على طول ذراعها وتتحزم
وترقص عشرة بلدى، وتحت الشجر يا وهيبة.. ياما كلنا برتقال..

وترعش وسطها ولا كاريوكا في زمانها.. والأم تصفق على
الواحدة.. وأنا حتجنن لكن حاعمل إيه.. حاضريها ولا حاضرب
أمى.. ولا حاضرب نفسى بالرصاص.

وبعدين الحكاية زادت.

والبنت اللى كانت بترجع في مواعيد المدرسة بقت ترجع
متأخرة بالساعة والاتنين.. وكنت فين يا بنت.. وتطلع الأم تبجح
فيها. وأنت مالك يا ولد.. انجر خش جوه شوف شغلك ذاكر لك
كلمتين بدل ما تعمل راجل علينا.. طيب حاضر انجربنا.

والحكاية كل يوم بتزيد.. والبنت ابتدت تمشى مع الولاد
الصايعين في الحقة.. كل يوم أشوفها مع واحد.. وأجى انكلم تطلع
الأم تكذبني وتدافع وتقاوح.. وأخبت ما في الأمر أنى كنت أشعر
أن هذه الأم تجد لذة داخلية كلما شعرت أن ابنتها سحرت رجلاً..
وأنها أصبحت معشوقة الكل، وكأنها هى التى تتلقى الإعجاب
لا ابنتها.. (أمى بهذه المناسبة دميعة لم يقل لها أحد كلمة إعجاب
في حياتها ولم يكن لها ضحية غير أبى الغلبان وعيلتنا المنكوبة).
وكنت أتصور أحياناً أنها لو كان باستطاعتها لجلبت لابنتها
الرجال.. وجلست تتصنت إلى ما يدور بينها وبينهم من وراء
الجدران.

كان ما يجرى أمامى شيئاً فظيئاً.. كنت أمام أم مريضة وأب
انتهى.. وبنت سايبة، وكان أوان العلاج قد فات.

كنت وقتئذ باليكالوريوس بإحدى كليات جامعة القاهرة..
عقلي مشغول بين المذاكرة ومراقبة البنت.. والبنت كانت أيامها
بلغت الثانوية العامة، وبقت طول بعرض بصدر، والسمعة قدامها
ووراءها، والعربيات بتركن جنب باب المدرسة.. وتوصلها للبيت
مرة ضابط، ومرة كويتي، ومرة ولد مسبب وارث.. مظاهر النعمة
بدأت تبان.. قزاز بارفان القزازة بعشرة جنيه.. بلوزات مكتوب
عليها ماركات من باريس.. وأطقم داخلية: كلسونات
وسوتيانات، فضيحة.. بتلبسهم لمين.. وجابتهم منين.. وشنا بقى
لون الهباب قدام الناس.

الظاهر أن كل هذه الحركات لم تكف القطة الكتكوتة..
فبدأت فى مصيبة جديدة.. كانت تنتظر حتى ننام كلنا، وتسلسل
خارجة، وكان لها فى هذه الأثناء صديق سعودى.. وصديق أردنى..
وصديق كويتى.. تصور.

ثم بدأت ألاحظ جلسات سرية طويلة بين البنت والأم تدور
فيها الوسوسة.. وكانت البنت تبدولى شاحبة متغيرة مرتبكة.. ثم
فهمنى أن الأم تدبر خطة سريعة لتزوج ابنتها أى جوازة والسلام،
وأن اختيارها وقع على شاب غلبان خجول وطيب.
. وتقدم الغلبان وتمت الجوازة.

وحمدت ربنا.

وأشهد أنها أخلصت لزوجها مدة عام ثم بدت تعود إلى

نشاطها.. صديقها السعودى كان قد توفى فى حادثة.. فبدأت تمشى مع أبيه.. تصور.. راجل فى سن جدها.. ورجل آخر من دين غير دينها تسافر له الاسكندرية كل أسبوع بحجة أنها ذاهبة لأخيها ثم تبيت طبعاً عنده.. وثالث يدعو زوجها إلى الاوبرج وعمر الخيام وصحارى سبتى كل ليلة ليسهر معها طبعاً لا معه.. وغيره وغيره، وكلهم يشتركون فى صفة واحدة.. أنهم أغنياء عندهم فلوس وعرييات.. ليس الحب ما تجرى خلفه.. ولكن المتع الترفيفية.. الفسح والرقص والعرييات والسهرات والفساتين. وأعجب ما فى الأمر حينما تأتى سيرة هذه العلاقات الحقيرة أمام الأم، أشعر أنها تقرض أسنانها من اللذة.. وكأنها تغيظنا وتكاد تقول.. شايفين بنتى.. الرجالة بيتكفوا وراها ازاي، وتلمع عيناها وكأن الحيوان داخلها يشفى جوعه ونهمه إلى شىء خبيث.

أما موقف بقية العائلة.. الأخت الكبرى المتزوجة تعيش لأولادها وبيتها وتبتعد بنفسها عن هذه المشاكل.. والأخ الأكبر الطبيب اصبح سلبى التفكير بعد أن تزوج.. لا يحاول أن يتدخل فى شىء.. وتقلصت علاقته بنا إلى مجرد المجاملات والسلامات والترحيب الزائف.. الأخ الثانى يعيش فى حيرة وألم وتمزق، وقد ابتعد عنا أخيراً فى محاولة للهروب.. أبى فقد القدرة على أن يسوس نفسه وانهار تماماً.

أنا وقد تخرجت الآن وتوظفت أعيش أشلاء حياة.. احتقر

نفسى، واحترق أُمى.. واحترق أختى.. واحترق الدنيا كلها.
لا أعرف كيف اتصرف..

كيف أردع هذه الأخت الضالة وأعيدها إلى صوابها.
كيف أنقذ ما تبقى من الحياء؟
بماذا تنصحنى؟

ج. محمد

* * *

لقد فات وقت الردع.. ولم يتبق هناك حياء لتنقذه.. وانتقل
واجب التأديب من يدك.. لتقوم به الدنيا بنفسها.

الدنيا هى التى سوف تعطى لأختك الدرس.. وسيكون درساً
مريراً قاسياً، وسيكون مقنعاً أكثر من أى نصيحة تفكر فيها.
إن خيوط المأساة قد تعقدت.. ولم يعد هناك مجال لإصلاح،
ويبدو أنها تسير بسرعة إلى نهايتها.

إن أختك لم تشعر أبداً أن الاحترام والكرامة والعفة والشرف
يمكن أن تكون لها قيمة مادية.. ولكن فى الحقيقة هى فى النهاية
تثبت دائماً أنها ذات قيمة مادية أبقي من العربيات والأماطات.
إن المقامر قد يكسب فى لحظة واحدة ما أكسبه أنا وأنت فى
كل عمرنا، ولكنه سوف يخسره فى اللعبة التالية وفى اللعبة الثالثة
سوف يقترض ليلعب.. وفى اللعبة السادسة سوف يطلق على
نفسه الرصاص أو يدخل السجن.

أما أنت فتكسب قليلاً كل يوم.. ولكن هذا القليل يعيش
ويتراكم وتكسب معه أصدقاء وإخواناً.. وتكسب معه الثقة
والتقدير وحسن السمعة.. وفي النهاية تصنع من كل هذا نجاحك
المادى وثروتك التى تشتري بها عربة.. وهى عربة حلال.
إن الأخلاق لها قيمة مادية بالفعل.. قيمة مؤجلة لكنها أكيدة،
أما الكسب الرخيص فإنه يأتى ومعه وسائل إنفاقه.. ويأتى ومعه
وسائل القضاء عليه.. أختك لا تفهم هذا.. ولكنها سوف تفهم
قريباً.

أما أنت.. فنصيحى لك أن تنقذ نفسك.. لا أختك.. انس
الموضوع.. وإذا كانت إقامتك فى البيت تجعلك مطارداً
بالاشاعات، فاترك البيت واستقل بحياتك، على أن تظل على
اتصال دائم وتعاطف ودود مع أهلك فى شيخوخته.. فأنت ضحية
أختك.. ولكن أبأك ضحية الكل.. ضحية تفانيه فى تربيتك أنت
أيضاً.

تذكر أن كلا منا يحمل طائرته فى عنقه.

مؤسسة البهايم المتحدة

سنى ٢٢ سنة، عامل أحمل مؤهلاً صناعياً متوسطاً واشتغل فى إحدى الشركات بأجر شهرى ١٦ جنيهاً.

حياى تتلخص فى عمل متواصل يبدأ فى الصباح حتى المساء. باستثناء ساعة التقط فيها أنفاسى وابتلع ساندويتش فول، ثم أعاد العمل حتى آخر الوردية.. ومن الشركة إلى البيت إلى المقهى حيث ألب الترد على أقاصيص الحب والمغامرات التى يحكيها زملاء الحى.. حتى منتصف الليل. فأذهب إلى فراشى.. ويكون آخر ما يدور فى خيالى قبل النوم صور شباب الحى، كل واحد فى أحضانه واحدة.. وأنا أتقلب على فراش مهجور على حجر الحرمان بلا حب.. بلا أمل.. لا أعرف للمتعة طعماً ولا أسمع عن اللذة إلا فى الروايات.

كان لابد أن فكر فى الزواج وأن أتطلع إلى الزواج، وبالموارد الضئيلة التى أحصل عليها لم يكن هناك أمل إلا إذا تفضل على واحد من أهل الخير فى العيلة ودفع المهر.

اتجهت إلى أبى فرفض.. وخالى رفض.. وكل واحد اتجهت

إليه تجهم في وجهي أو ضحكك وصرفني ساخرًا.. حتى الواحدة التي فكرت أن أخطبها، وكانت طالبة في سنة أولى تجارة ثانوية رفضت، وقالت إنها لن تتزوج إلا بعد أن تتم دراستها.

وضاقت الدنيا أمام وجهي وقررت أن أترك الأهل والبيت وأبتعد عن الحى كله وأسكن وحدى.

واخترت مسكنًا قريبًا من عملى فى حى الإبراهيمية.. وهو بيت تملكه أرملة فى الخامسة والأربعين.

ولم أحاول أن أختلط بالوسط الجديد الذى انتقلت إليه.. ولم أكن التقى بالمرأة صاحبة البيت إلا يوم أول الشهر لأعطيها الإيجار. ولكنها كانت البادئة فى مبادرتى بالكلام.. وكانت تعرض خدماتها فى كل مناسبة.. وكانت تأخذ منى المفتاح لتنظيف الشقة. وحينما كان يفرغ ما عندى من جاز وسكر وشاى كانت تمدنى بكل ما أحتاجه من عندها وترفض أن تأخذ مليًا.. وكانت أحيانًا تدخل المطبخ لتعد لى غدائى وأحيانًا تدخل الحمام فتجد قطعة من ثيابى فتسرع فى غسلها.. ويتواجدنا معًا فى الحمام مع رفع الكلفة والألفة كانت تغازلنى بالغمزة واللمزة وبالكلمة التى لها معنيان.

وتحالفت علىّ الخلوة وسنوات الحرمان والمراقة.. وصورتها لى كأجل امرأة فى الدنيا.

وما لبثت أن أصبحت عبدها وطوع بنائها ورهن إشارتها.

أحببتها بجنون.. وكنت أدللها كأنها طفلى.. هى العجوز
الدميمة بنت الـ ٤٥ خريفاً.. وغرقت فى عشقها لأذنى.
ولأول مرة كنت أصحو فى الساعة الثانية عشرة ظهراً لأجد
نفسى بين ذراعيها.. وطبعاً أصحو من النوم أتام تانى على رأى
المثل.

وبدأت أتغيب من عملى.

وتعددت مرات غيابى.. وأنذرت مرتين بالفصل.

وصارحتها بالحكاية.. وقلت لها كفاية بقى.. ابعدى عنى خلينى
أكل عيش، ولكنها قالت لى وهى تضحك.. ولا يهملك.. إيه الشغل
بتاعك ده اللي فالقى بيه.. سيبك منه.. أنا عندى فلوس كثير،
اتجوزنى وأنا اشغلك وكلى فى جمع إيراد التلات بيوت التى أملكها
بمرتب يوازى مرتبك فى المصنع أربع مرات وزيادة.. ومن يومها
بدأت أفكر.

ولكن كيف أفكر، وهى لا تترك لى عقلاً أفكر به.

والعرض مغر بينى وبينك.. والمنصب الجديد مش بطل..
والحمد لله على المؤهلات.. صحيح هى بالنسبة لى عجوز
كركوبة.. لكن هذه الحكاية أصبحت بحكم التعود لا ألحظها
إلا حينما يذكرنى بها الغرباء الذين يلاحظون علاقتنا.

وأحياناً أشعر بالحيرة من أمر نفسى، كيف أبيع نفسى لمثل
هذه العلاقة الحيوانية.. ولكنى ضعيف.. جداً.

وطبعًا لا أحد يكره الراحة.. والكسل أحلى من العمل..
وتصور عامل بيتشغل بـ ١٦ جنيه لم يعرف الحب ولا الحنان، ولم
يذق متعة ولا أمل له في الزواج بمرتبه الكحيان.. وكيف يمكن أن
يعول أسرة في الظروف الحالية بستة عشر جنيهًا في الشهر يبقى
إيه لازمة البطر.

وكيف أرفس نعمة جاءت تسعى إلى باب بيتي..
وهي عجوز دمية، ولكن في سواد الليل يستوى الجمال
والدمامة وتشابه كل نساء الأرض.
أنا تعبت من التفكير.. ربحني وقول لى، أتجوزها.. أو
ما أتجوزهاش.. عاوز كلام اقتنع به.. مش مواعظ.

عبد الحميد

* * *

لو أنك ذكرت لى في سطر واحد كلمة أن هناك ما جذبك في
هذه المرأة غير المسألة الحيوانية.. كلمة واحدة عن جاذبية
شخصيتها أو روحها أو أخلاقها أو عقلها؟

في أحسن العائلات يتزوج ابن العشرين بنت الأربعين أو
العكس ويحفظ لنا التاريخ حالات تفاوت فيها السن بين الزوجين
تفاوتًا كبيرًا ونجح الزواج.. ولكن دائمًا كان هناك شيء غير
العلاقة الحيوانية هو الذى جعل الزواج رباطًا باقياً ناجحًا.
ولكنك لم تذكر لى خلة واحدة أحببتها في صاحبك غير

الحيوان الذى فيها.. وقد تعارفتما فى الحمام.. والمؤهلات التى ستوظفك على أساسها وهى مؤهلات منجلة جدًا يشترك معك فيها الحمار بل ويتفوق عليك.

وأول ما يفتر فى الزواج دائئًا هو العلاقة الحيوانية لأنها تصبح ميسرة جدًا ومتكررة مما يؤدى إلى الشبع ثم الملل ثم الفشل التام فى الزواج، إذا لم يكن فى الاثنين ما يحب سوى هذه الحكاية لأنها تصبح حكاية انتهت.

وأنت كلامك عن صاحبك أنها الكركوبة العجوز الدميمة بنت الـ ٤٥ خريفًا.. فهى إذن شئ كريه.. لولا ظروف حرمانك ومراهقتك.. لما نظرت إليها.

إن المسألة واضحة ولا تحتاج إلى تفكير.

إن العلاقة بينكما أدت دورها وانتهت.. وتفكيرك فى الزواج لا يحدث بإغراء من أنوثتها.. ولكن بإغراء فلوسها.. ليس عرض العمل.. ولكن عرض البطالة التى تعرضه عليك.. وإغراء الصياغة والتعطل والتكسب من عرقها ومن بيوتها.. وهو الذى يزغلل عينك.

وهو عرض غير مضمون.. فقد ترفدك من هذه الوكالة إذا وجدت حمارًا غيرك يقوم بالوظيفة، وهى لا بد واجدة.. فما أكثر الذين يسارعون إلى الكسل الذى هو أحلى من العمل.

والمنصب لن يكون مريحًا بالدرجة التى تتصورها.. قد يكون

مريئاً من الناحية المادية.. ولكن سوف يكون متعباً من الناحية النفسية.

إحساسك بأن هناك امرأة اشترتك. إنك تعيش على مالها وعرقها.. وإنك لا تملك سريرك الذى تنام عليه ولا كرسيك الذى تقعد عليه، ولا تملك شيئاً فى بيتك إلا صرة هدومك. كل شيء ملك الست.

والست هى المدير وأنت الفراش. حاتتعب.. صدقنى.. وإيه النهاية.. إيه الضمان فى الوظيفة. وأنت عايش من غير إرادة ومن غير إمارة.. لابس راجل بس ثم لا ضمان إلا مزاج الست ورضاها.. يوم حاتزهدك حاتلاقى نفسك فى الشارع ووراك صرة هدومك. وامرأة جاوزت سن اليأس لن يكون لها أطفال.. حاتعيش بوزك فى بوزها.

ساعتها حاتفتكر أيام الشركة وحاتحس أنها كانت جنة.. وأن حياتك بعرق جبينك أجهل وألذ من حياتك فى مؤسسة البهائم المتحدة اللى ربطت نفسك فيها زى الطور. ده رأى.. وأنت حر.

ليلة الزفاف

أنا شاب سنى ٢٥ سنة من أسرة ريفية أسكن فى مدينة قريبة من بلدنى حيث أعمل فى إحدى المصالح الحكومية.. شغفت فى صباى بالرياضة ومارستها وحققت فيها بطولات عدة.

كثيراً ما تحدثت مع بعض أصدقائى حول الزواج ومشاكله وما يلاقيه الرجل فيه خاصة الليلة الأولى حيث يعجز الكثيرون عن القيام بها وكانت لهذه الأحاديث أثرها فى حياتى وتفكيرى، فكنت أبتعد عن التفكير فى الزواج خشية الفشل الذى ألاقه فى ليلة الزفاف.

وظلت أمدى تلح علىّ وتزىن لى الزواج من ابنة خالى، والواقع أنى كنت أحب ابنة خالى وأتمنى الزواج ثم أعود فأتهيب الليلة الأولى فى نفسى.. وأكره الزواج وسيرته.

ولكن الحياة وسنتها أقوى منا ومن تهيبنا كما تعلم.. والبنت استوت.. وبقت قمر ليلة اربعتاشر.. وأصبحت عيونها تتكلم.. ولغة العيون أقوى من لغة الوسواس.

وهكذا حدث المحذور.. ووافقت.. ولا أعرف كيف وافقت ولكنه النصيب.

وظللت أعيش في رعب منذ قرأنا الفاتحة.. وأحلم كل ليلة حلمًا واحدًا لا يتغير.. إن الباب يغلق على أنا وزوجتي في الليلة الرهيبة.. وأن رجولتي تخذلني.. وأن وجهي يصبح في سواد الهباب.. وظللت أسوف في كتب الكتاب.. وأؤجل فيه ما أستطيع وانتحل المعاذير.

ولكن المعاذير كانت إلى نهاية.. ولم أجد ما أقوله.. وتم كتب الكتاب. وجاءت ليلة الامتحان.

ومهما أوتيت من قوة الوصف فلن أستطيع أن أصف لك عذابي.. والأهوال التي عشت فيها.

كانت رؤية منظر العروس وقد أعدوها لي يخلخ مفاصلى ويشيع الرهبة في كيافى.

سؤال واحد ظل يلح على.

ماذا سأفعل إذا فشلت.

ماذا سأقول؟

وكيف أتصرف.

هل أنتحر، أم أموت خجلًا.. أم أذوب من إحساسى بالهوان.

وصف لى أحدهم وصفة بلدية، حبوباً ومرهماً.. وشراباً فيه
بعض أعشاب مقوية.

ابتلعت الحبوب.. وجرعت الشراب وكان مرأً كالعلقم.. لبست
حجاباً قال لى أحد المشايخ انه موصوف للحالة التى أخشى منها..
وقال إن فيه كلاماً مبروكا يجلب الوفاق والمحبة ويمنع الربط.
كنت أرتجف رجفًا.

ولو وصفوا لى بتر ذراعى لتواتبنى القدرة لبترتها راضياً..
ولفرط خوفى.. كانت لحظة اللقاء الحاسمة شيئاً كالهول
بالنسبة لى.

وكانت عروسى فى زفافها جميلة كالبدر.. وكان جماها عذاباً
زادنى ارتباكاً على ارتباك.. وكانت نظراتها الحلوة تنزل كالكراباج
على وجهى.. فأنكس بصرى إلى الأرض ولا أقوى على رفعه إلى
وجهها.

ومرت الليلة كأسوأ ما تكون الليالى السوداء المشثومة..
وانهرت إلى جوارها فى خذلان أسبع فى عرقى وأخفى وجهى فى
الجدار.

وصممت منذ تلك الليلة ألا أكرر المحاولة.

ولألتمس لنفسى المعاذير أمام الناس.. طلبت من رئيسى فى
الوظيفة نقل لوردية الليل حتى أنجنب هذا الموقف وأقضى الليل
بعيداً عن البلاء وأسبابه.

ومرت أيام قليلة بالنسبة لى دهوراً وأجيالاً وقرونا من القلق
والياس والألم والندم والحسرة والحيرة أمام المستقبل وما يخفيه..
وأشد ما كان يؤلمنى هو معرفتى ويقينى بأنى طبيعى.. وأن الخوف
والارتباك هما الجانى الحقيقى والسبب الخفى للأساقى.

وفوجئت بعد الأيام القليلة بأمى تفتحنى فى الموضوع.
إذن فقد صارحتها زوجتى بالحقيقة.

وبعد قليل لا بد أن ينتشر الكلام وتتسع دائرة الفضيحة ويعلم
الجميع وأصبح مهزلة.

وشعرت أنى أموت من الهم والكمد.. ولكنى غالبت نفسى
وطمأنت أمى بأنى سوف أحقق لها رغبتها.

وفاتحت صديقاً عزيزاً فى مصيبتى فشجعنى وأكد لى أنه مر بهذه
المرحلة وأنه الآن سعيد وموفق مع زوجته وله طفلان فتشجعت
وعاودت المحاولة وأنا فى قرارة نفسى فزع يائس أقاسى الويل.
وطبعاً فشلت مرة أخرى.. وأخرى.

وعشت فى تفكير أسود.. أنتقل من كابوس إلى كابوس..
المخرج الوحيد الباقى هو أن انتحر واستريح.
الموت هو راحتى.

وحدثت فى هذه الاثناء المفاجأة التى نزلت على كالصاعقة..
قالت لى زوجتى ذات صباح أنها حامل..

حامل؟؟!

وئمن.

وتظاهرت بالفرح الأبله.. والشك يشتعل في أحشائي..
وعيناي تلتفتان في كل وجه دخل أو خرج من البيت.
كل رجل زارنا أصبح في نظري هو النذل الخائن الذى فعلها،
وكل بعيد أو قريب تردد علينا أصبح هو الأب الحقيقى لهذا
الجنين غير الشرعى.

وهو لا شك يعرف ذلك وينظر إلىّ في سخرية.
وتغيرت معاملتى لزوجتى فأصبحت أثور في وجهها لأنفه
الأسباب وأتقى لو أقوم من نومى فأجدها ميتة.. وأضر بها وأتقى
أن تجهض ما فى أحشائها.
وطبعاً لم أصارح زوجتى بشكوكى، ولم أصارح أحداً سواك
لأنى أردت أن أضع الحقيقة كلها أمامك.

والآن ما رأيك.. هل أنتحر.. أم أطلقها وأخلص نفسى
وأخلصها.

وهل أنا مريض بالوهم.. أم مجنون.. أم مخدوع؟

«....»

* * *

أولاً: أحب أن أطمئنك بأن الجنين الذى تفكر فى قتله
واجهاضه هو ابن شرعى.. وانه منك.. وأنت أبوه.. وأن الحمل

يمكن أن يحدث من الخارج.. وأن هذه الحادثة لها سوابق طبية كثيرة.

وأن مشكلتك هي أصلاً مشكلتك مع نفسك.
وأنك أخطأت التصرف من البداية.

ومن العيوب الشائعة في بلدنا.. التقليد المتعارف عليه بتحديد ليلة الدخلة، وهذا يجعل منها ليلة امتحان ينتظر نتيجتها جميع الأطراف ويؤدي إلى توترات نفسية شديدة عند العروسين.. وهي توترات قد تؤدي إلى الفشل بالرغم من القدرة الطبيعية عند الزواج.

وما يحدث هو نتيجة الخوف عادة كما يهرب دم التلميذ وتهرب الأجوبة من دماغه ساعة جلوسه أمام ورقة الأجوبة في اللحظة الفاصلة.

وعلاج هذه المضاعفات السيئة يكون بالإقلاع عن تقاليد ليلة الدخلة.. واعتبارها ليلة غير محددة الميعاد.. فبعد كتب الكتاب تصبح الزوجة من حق الزوج على أن تكون المعاشرة الزوجية رهناً بظروفها.. وهذا يخالط الزوج زوجته بدون مشروع سابق ونية سابقة عند الزوجة أو الزوج بعمل شيء.. وهذا يزول الخوف بزوال الترقب والانتظار.. ويعتبر الاثنان الليالى الأولى مجرد محاولات لرفع الكلفة.. وهي محاولات سوف تنسم بطبيعتها

بالبراءة.. وتكون الوسيلة التدريجية لتهيئة الجو في النهاية بروح من الود الكافي.

أما تقاليد ليلة الدخلة.. وانتظار الأقارب المندبل الملوث بدم البكارة على الباب.. وتوتر أعصاب الزوج.. ورعب الزوجة، فإن كل هذا ينتهى إلى حالة من الوحشية والقسوة هى أشبه بالاغتصاب منها بالتراضى.. وهذا يؤدى بدوره إلى تعقد الزوجة طول حياتها من العلاقات الزوجية.

كل هذا الكلام خاص بما يجب أن يكون وبما يجب أن يحدث. أما فى مشكلتك وبعد أن حدث ما حدث.. فاعتقدى أنك بإمكانك أن تنجح فى أن تكون زوجاً موفقاً.. هذا بشرط أن تطرح من ذهنك حكاية الحمل غير الشرعى والخيانة المزعومة.. وتتصرف كابن ناس، وتعالج خوفك بمعرفة طبيب نفسى. وبعد هذا تبدأ حياتك الزوجية من (أ، ب) الصداقة إلى الحب إلى العلاقة الكاملة فى تدرج طبيعى خال من التعجل والتوتر والعصية.

باى باى يا شيرى

سنى ٦٣ عامًا.. بلغت سن المعاش منذ سنوات وتوفيت زوجتى وتناوبت على العلل والأمراض من سكر إلى ضغط دم إلى تصلب شرايين.. هذا بالإضافة إلى وحدة وشيخوخة وبطالة. شعرت بالعزلة والغربة وتعاسة السن.

اقترحت ابنتى أن أعيش معها.. وشجعتنى على هذا الاقتراح أنها تسكن بمفردها وأن زوجها يعمل أغلب شهور السنة في الخارج.

رحبت بى وأكرمتنى فوق ما كنت أتصور.. لكن سرعان ما ظهر لى سبب هذا الإكرام.. فإذا به إكرام مثل إكرامنا للبقر.. نطعمه لنأخذ منه اللبن والزبد.. كانت تقلد المرحومة أمها تمامًا فتأخذ المعاش أول الشهر في نظير اللقيمات التى تقدمها لى.. أما ما أحججه من دخان وشاى وقهوة فهى كماليات لا لزوم لها ويحسن أن أكف عنها.. وإذا كان عاجبك.

عجبني.. وصبرت عسى أن يأتى الفرج.
وأخيرًا جاء الفرج.. وباليته ما جاء.

صحت ذات ليلة على صراخ الأطفال.. وتفقدت أمهم فلم أجدها.. سألت نفسي: أين يمكن أن تكون قد ذهبت في هذه الساعة المتأخرة من الليل، ولم أجد جواباً.

جلست مع الأطفال ألاعبهم بالرغم من تعبى ومرضى حتى بلغت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، حينما سمعت صوت عربة تقف أمام الباب وصوت رجل يقول.. باى باى.. مع السلامة يا شيرى، والباب يفتح وتدخل الهانم وترنح وتغنى ورائحة الخمر تفوح منها.

سألتها: كنت فين يا هانم؟

ردت علىّ في تبجح: إنت مالك.. إنت جاي هنا شاويش علىّ. مش محمد ربنا إني مستحملك ع البلاوى إالى عندك. نظراً للبلاوى إالى عندى سكت.

ولكن الفضائح تكررت.

كل ليلة تخرج الهانم بالليل لتعود في الفجر، وتوصلها كاديلاك.. أو شيفروليه.. أو فيات ١١٠٠ حسب التساهيل. وفي كل مرة تدخل في زفة من الضحكات المخمورة.. فإذا فتحت فمى لعنت أجدادى.. وأنت جاي هنا عشان تحبس دمي. أنا حرة.. خد الملايم بتوعك واتفضل. أنت كل ليلة حاتفتح لى محضر.. أنت كل ليلة حاتقعد لى زى قرد قطع.. أنا مش عاوزه نكد.. إالى مش عاجبه عيشتنا يورينا عرض أكتافه.

وأخيراً حدثت الكارثة.

ظهرت عليها أعراض الحمل.

ماذا تقول لزوجها.. وقد سافر من شهر.

كنت أقلق طول الليل لا يأتيني نوم بسبب فصيحتها.. وكانت تنام في الغرفة بجوارى لا يمحها شيء، وفي الصباح أراها بوجهها الصفيق تقول لى إنها سوف تنجب ثلاثة أيام وأن على أن أراعى الأطفال حتى تتخلص من هذه الداهية.. وتشير إلى بطنها.

أشرفت على الموت بسبب الإجهاض.. وكان يخيل إلىّ وهى في محنتها أنها تابت إلى الله.. وأنها عاهدته ألا ترجع إلى سيرتها.

ولكنها ما كادت تتماثل للشفاء حتى عادت إلى سالف تبجحها وصفافتها واستهتارها.. وسهرها كل ليلة.. وعودتها مخمورة تترنح.

وأنا أعيش الآن في حيرة وتعاسة لا حد لها.

ماذا يكون موقفى من الزوج إذا عرف مصائبها.. بأى وجه أنظر إليه.. علماً بأنه يعرف عنى أنى مستقيم متدين أقيم الفرض بفرضه.. يئست تماماً ونفدت جميع حيلى.

لم ينفع معها توجيه ولا نصح ولا إرشاد ولا تهديد.
أخشى أن أخبر زوجها فيطلقها ويشرد الأولاد.. وما ذنبهم.

وطبعاً لو طلقت فسوف تتماذى فى سىرها.. وبهذا تنعكس الآفة.. فأفسدها من حيث أريد أن أصلحها.

كمال أنسى

واضح أنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً.
لقد فات الوقت الذى كنت تستطيع فيه أن تفعل شيئاً.. كان هذا ممكناً وهى طفلة.. أن تنشئها على الإحساس بالكرامة وتربيتها على احترام جسدها.

ولكن الآن.. وهذه نتيجة تربيتك.
وبعد أن أصبحت أما وربة بيت وزوجة.. لها رجل مسئول عنها.. انتهى دورك.

الحل الوحيد أن تترك البيت وتقيم وحدك.. ولا شك أن السكر والضغط وتصلب الشرايين أرحم من منظر الهانم وهى تنزل كل يوم من عربة.. وبأى بأى.. يا شيرى.. مع السلامة.
إلى آخر المنظر الذى ينقط.

وإذا شعرت فى وحدتك بالحزن.. فهذا أضعف الإيمان.. فيجب أن تحزن، فهى صنع يديك فى النهاية.
ومن العدالة أن تتعذب وتحزن ما دامت صناعة يديك بهذا السوء.

خانات مزدوجة

أنا شابة متزوجة من عشر سنوات.. جميلة بدون غرور..
وجالى جابيلي الكافية زى ما بيقولوا، وسوف تعرف التفاصيل
فيما بعد.. المهم دعنى أقدم لك صورة تساعدك على فهمى عشان
تقوللى كلمتين أحطهم حلقة فى ودانى..

تصور مثلا أن من تكلمك بهذه اللهجة الاستفزازية وهذه
اللغة العربية السكلانس هى خريجة مدارس الراهبات.. ومتقفة
ثقافة رفيعة.. تسمع الموسيقى.. وتتقن اللغات.. وتهوى الرسم ولها
لوحات يقول عنها البعض إن فيها فن..

نهايته، أختصر وأقول إنه كانت لى قصة حب قصيرة.. وإن
حبيبى تقدم لخطبتى.. ولكن خطبتنا ما لبثت أن فشلت بسبب
مرض خطيبى بأعصابه.

وقد كنت متمسكة به لآخر لحظة، لكن أهلى ضغطوا علىّ
لأتركه وظلوا يطاردوننى بكلامهم.. كيف تعيشين حياتك مع
مجنون.. إنه قد يشفى ولكن سوف يعاوده جنونه.. قد يخنقك
وأنت فى الفراش.. قد ينتحر ويخلف مأساة.. قد يترك فى رقبتك
أطفالا معاتيه مثله.

وهكذا فسخت الخطبة وانتهى عهدي بالحب والسعادة لأكون
بعد ذلك زوجة لأول من تقدم لى.

رجل فاسد الأخلاق ربما بسبب البيئة التى يحتك بها فى عمله
«لكن وأنا مالى».

بخيل «جلدة» يتشاجر معى لكى نسير مسافة لا تقل عن
خمسة كيلو مترات ليوفر تذكرتين أوتوبيس «ويحدث هذا فى أيام
الخطبة وشهر العسل».

أسلوبه فى الكلام مكشوف وجارح وغير مهذب.. وردوده
جافة.

ولولا الطفلان الملاكان البريثان اللذان أنجبتها منه
لما تحملت الحياة معه ساعة واحدة. حاولت إصلاحه وأحطته
بالرعاية والحنان والاهتمام ولكنه كان يصدنى وكأنى ارتكب جريمة
ضده.

ولما أعطانى الله طفلى الأول وجدت كل طاقتى من الحب
والحنان تتحول لا شعورياً من الأب إلى ابنه.

وكنت أعجب كيف لا يحرك الطفل قلبه وعاطفته.. أهو
متحجر العاطفة إلى هذا الحد.. هل تزوجت صنماً؟!

وآخر المصائب منذ سنتين.. خاتنى مع إحدى الجارات ثم مع
أقارب.. وخادومات.. وفى أماكن عامة.. تصورا!

وحجته فى ذلك.. أنى أهمله وأنشغل عنه.

انشغل عنه بأولاده وبيته.. هل هى جريمة؟؟
ويبدو أن ما تعلمت من واجبات الأمومة كان شيئاً غير
معترف به فى قاموسه.. فالزوجة رفيقة فراش أولاً، قبل أن تكون
أمًا، وست بيت.

وصبرت.. وصبرت.. واشتكى منى صبرى.. ثم يئست ثم
بدأت أفعل مثله.

سوف تقول امرأة بلا مبادئ.. أعرف ما يطوف بذهنك..
ولكنك لم تجرب أن تكون امرأة وتعيش مع رجل لا يحتمل.
كان لابد أن أفعل أى شىء.. لاحتل حياتى.

إنى غير مقتنعة بما أفعل ولكنى أموت من اليأس.. أنا فى عداد
المنتحرين. وحياة البيت تحولت إلى إهانة وضرب وسب وفضائع
أمام الناس.

ومتنفسى الوحيد هو تلك العاطفة التى بدأت تنمو بينى وبين
مدرس اللغة الفرنسية الذى يدرس لأولادى.

وهى علاقة لعلمك ما زالت بريئة.. ولكنى لا أخفى عليك
ما يطوف بعقلى.. فقد أصبحت لا أعابأ بشىء وكل الكلمات
الطنانة كالأخلاق والشرف أصبحت غير ذات موضوع فى
نظرى.

أنا أعيش فى جحيم.. ولا أعرف لنفسى مخرجًا.

الطلاق يرفضه.. والحياة بالمعروف مستحيلة.
ماذا أفعل؟

القارئة المعذبة

« . . . »

* * *

إن الانتقام لا يمكن أن يكون حلاً..
أنت كمن عضها الكلب فأسرعت خلفه لتعضه.. وبذلك
انحدرت وأصبحت كلباً مثله وسقطت حجتها ومبرراتها ودعواها.
زوجك يخونك.. أنت تخونين زوجك.. لن يعود لك حق في أن
ترفعي عينك في عينه.. وأكثر من هذا سوف تسقطين في عين عشيقك
الذي أعطيت له نفسك كزوجة خائنة.. ولو أنه لن يواجهك
بهذا.. ولكنها الحقيقة سوف تطل من عينيه، وسوف تدمر
سعادتك.. خسائر.. خسائر.. على طول الخط وتخريب يؤدي إلى
مزيد من التخريب.. إلى مزيد من الدمار، وفي النهاية تظهر
الحقيقة.. فلا شيء يمكن إخفاؤه وتفقدن آخر قلعة لك.. أولادك.
أنت تهدمين نفسك باسم البحث عن حل.
عيشي كما عشت العشر سنوات «كنت فين طول السنين
دي».

أو أطلبى الطلاق بالمحكمة.
أما غير ذلك فهو نذاله.

اللص الشريف

إني أشعر بالحنجى وأنا أروى لك ما أرويه.. ولكنها مشكلة
أعيتنى وهى توشك أن تنتهى بى إلى الدمار ولا مهرب من أن
أحكى لك كل شىء بكل صراحة.

أنا شاب عمرى ثلاثون عامًا.. للأسف حاصل على
الليسانس من إحدى الكليات.. أقول للأسف لما ستعرفه عنى
فيا بعد.

ولست فقط جامعياً ولكنى مثقف أيضاً أقرأ بنهم كل ما يقع
تحت يدى.. وأشغل وظيفة محترمة من عائلة كبيرة وأعيش بمفردى
فى القاهرة بعيداً عن أهلى المقيمين فى الإسكندرية.

وإن جاز لى أن امتدح نفسى فأنا كريم إلى حد السفه..
متسامح وأتعاطف مع الناس بسرعة طيب القلب أتمتع بسمعة
حسنة إلا أنى لا أستحق شيئاً من هذه السمعة الحسنة. فأنا
باختصار لص.. لص محترف ومع سبق الإصرار والتدبير والتفكير
دائماً.. ولكنى أعتبر نفسى لصاً شريفاً.

وقصتى مع السرقة تبدأ من الصغر فقد كنت وأنا تلميذ أهوى

سرقة الأقلام من زملائي وكنت إذا ما ذهبت لشراء شيء من البقال أغالطه وأدعى كذباً أفى أعطيته النقود.

وكبرت.. وكبرت معى هذه العادة.. وفي الجامعة كنت أسرق الكتب من المكتبة وبقدر الإمكان لا أشتري أى كتاب. إلى أن تخرجت منذ ثلاثة أعوام ونصف.. والآن أنا أعتبر نفسى مريضاً بداء السرقة إن صح أن نسمى السرقة داءً وإن صح أن يكون اللصوص أمثالى مرضى.

وكعادة اللصوص مظهرى محترم جداً وشيك.. ولكنى أستغل هذا المظهر فى أشياء أخرى بعيدة كل البعد عن الواجهة أو مغازلة النساء.. فأنا أدخل المطاعم الفاخرة وأكل وأنصرف دون أن أدفع الحساب.. وأدخل المحلات الراقية وأغافل البائع واضع شيئاً فى جيبى أو فى حقيبتى التى لا تفارق يدي.. قد لا أسرق شيئاً أنا أحتاج إليه.. بل إني كثيراً ما أسرق أشياء لأهديها لأصدقائى. بل ما هو أدهى أنى أحياناً أسرق أشياء لا أعرف كنهها إلا فى المنزل.

أهوى الزحام فى المحلات وأدخل قاصداً أن أسرق شيئاً. وأحياناً يكون ذهنى منصرفاً تماماً عن فكرة السرقة، ولكن بطريقة لا شعورية أجد يدي تمتد إلى أشياء أسقطها فى جيبى فى غفلة من البائع.

وأنا جرىء إلى أبعد الحدود.. وأرتاد أفخم الأماكن.

ومع هذا فقد حدث لى أن ضبطت متلبساً وأخذت نصيبى من الضرب والأقلام والشلايت، ولكن لحسن الحظ انتهى الموضوع بهذه العلة، ثم تركنى صاحب المطعم والجرسونات لأعود إلى بيتى.

ويومها رجعت وأنا أحداق أن المسألة لم تتطور إلى بوليس وأن أحدا من معارفى أو أصدقائى لم ير فى هذا الموقف. كم يلد لى أن أحصل على أى شىء خطفًا.. يحدث أن أقف لأشترى علبة سجائر أو لأتكلم فى التليفون فأغافل أصحاب الأكشاك والتقط قطعة من الحلوى أو اللبان فأضعها فى فمى. لا أَدفع أبداً ثمن تذكرة أتوبيس.

بل إنى كنت أحياناً أدخل دور السينما الدرجة الأولى بدون تذكرة، وتعرضت مرة للحرج بأن جاء صاحب المقعد ومعه المختص الذى سألنى عن التذكرة فلم أرتبك وقلت له مع زميلى الذى ذهب إلى التواليت ثم انصرفت دون أن يشعر بى أحد.

ومواقف كثيرة.. كثيرة.. أقص لك منها هذا الموقف: كنت مرة فى القطار المتجه إلى الإسكندرية وفى أحد دواوين الدرجة الأولى وليس معى فى الديوان إلا فتاة وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث دون أن يعرف أحدنا الآخر.. وقرب طنطا أغمضت الفتاة عينيها وأخذتها سنة من النوم.. وقلت لنفسى إنى أستطيع أن آخذ حقيبتها وأنزل فى طنطا.. وفى أقل من نصف دقيقة كنت

أنفذ الفكرة وكنت أقفز من القطار قبل طنطا بقليل.. وسوف تدهش إذا عرفت أنى أهديت كل ملابسى وهى تساوى أكثر من ثلاثمائة جنيه إلى فتاة ساقطة كانت تتردد علىّ ولم تكن تطمع أبداً فى أن تملك قطعة واحدة منها.

عندى من الأقلام وزجاجات العطر والنظارات والكرافات والديابيس، والأحزمة والشرابات والولاعات، بل وأجهزة الترانزستور ما يكفى لفتح محل خردوات كلها لطش لم أدفع فيها ملياً - هذا غير المنافع غير العينية كالأكل والشرب مجاناً فى المطاعم والبارات.

ولا تتصور أن كلاماً تقوله سيجعلنى أقلع عن عادتى هذه، وأنى أسميها عادة تجاوزاً ولكن هى فى الحقيقة مرض.. ولن يكون كلامك أشد وقعاً من الضرب الذى تعرضت له فى أكثر من موقف.

ولهذا فأنا أريد كلاماً خلاف النصح فأنا كما قلت لك لص شريف.. كما أنى أسرق بحوافز لا إرادية.. أرى يدي تمتد من تلقاء نفسها فتلطش كل ما تراه.

بقى أن تعرف أنى إذا تحدثت فى الدين فأنا أبهر السامعين كما أنى أعرف الله حق المعرفة.

وهو إلى الآن يكرمنى ويستر علىّ ودائماً أطمع فى كرمه وستره.. ولكن ما دفعنى للكتابة إليك هو الخوف.

الخوف من أن يلقي بي في التخشبية.. وحينئذ لن أخسر
سمعتي فحسب وإنما سوف أتسبب لأهلى فى عار أبدى.
وسوف تتمزق الصورة التى كونوها لأنفسهم عنى.
فبالله ما هى الوسيلة التى أعالج بها نفسى.
أنا أهلك مسئولية ضياع مستقبلى إذا لم تسعفى بحل ولك
الأجر عند الله.

اللى الشريف

ع. م

أولا أنا أريد أن أعرف من أين لك بالشرف المزعوم.. وبأى
مناسبة أسبغت على نفسك لقب اللص الشريف.

نحن نعلم من التاريخ والروايات أن اللص الشريف هو
الذى يأخذ من الأغنياء ويعطى الفقراء، ولا يبقى لنفسه ملياً فى
جيبه، ولهذا يسمى نفسه لُصّاً شريقاً لأنه مجرد واسطة خير
لا يعمل لمصلحته، وكل ما يعيبه أنه ميكيا فيلى اختار لغاياته
الشريفة وسيلة غير شريفة، أما سيادتكم فإنك تسرق وتأكل وكل
ما تمتد إليه يدك إلى فمك وبطنك وجيبك وما يزيد عن حاجتك
توزعه على الساقطات وليس على شحاذى السيدة زينب.. ثم
أنت تفعل كل هذا بدون دوافع من جوع أو حاجة، وحكاية
السرقة اللاشعورية اللا إرادية التى بدون تدبير وبدون تفكير

هى تبكيشة. بدليل ما رويته من سرقتك لزملة القطار، وكيف أنك فكرت ودبرت ونفذت كل شيء فى نصف دقيقة.

السرقه ليست عملا فسيولوجيا تلقائيا مثل النبض أو دق القلب لتقول لنا إنها تحدث تلقائيا وبلا شعور.. وإنما هى عملية معقدة تشترك فيها اليد والذكاء والتدبير والخيال والإرادة.. ويجب أن تفهم تماما أنك حرامى أصيل.. عديم الشرف تماما.

وبالطبع لن يكون كلامى أشد عليك من الأقلام التى طوردت بها كالكلاب التى تسرق العظم من دكاكين الجزارين.. فقد أخذت كفايتك ولم ترتدع.

وهم يقولون فى علم النفس إن مثل هذه الحالة التى تشكو منها يمكن أن تنشأ بسبب عقدة فى الطفولة، ويمكن أن تكون لها دوافع وحوافز فى العقل الباطن.

وسوف أكون حسن الظن وأقول لك أذهب إلى طبيب نفسانى وحل نفسك.

والحقيقة أن نصف ما يدعيه علم النفس هو تبكيش أمريكانى، والحرامى هو حرامى وهو يسرق بعين مفتوحتين وليس بالتنويم المغناطيسى.. ولكنها موضة القرن العشرين أن يقتل القاتل ويقول عندى جنون القتل، ويسرق السارق ويقول عندى جنون السرقة، وقد جاء فرويد ليعطى للزانى والقاتل واللص مبررات علمية وجيهة.. وقد انحسرت الآن هذه الموجة الفرويدية وأصبح

كثير من مسلمات فرويد مشكوكاً فيها وأصبحنا نناقش هذا
التصور العلمى الذى يستهين بالعقل الواعى ويضع الإنسان
بعقله الواعى وارادته الواعية فى ربة الحوافز الباطنية الدفينة وفى
يد ذلك الشبح الخفى الذى اسمه العقل الباطن يفعل ما يفعل،
ثم يقول هى حوافز باطنية وعقدة وكومبلكس.

ولكنى سوف أكون طبيباً جداً.. وأقول كما يقول أولاد البلد،
خلينا مع الكذاب لحد باب الدار. وسوف أعطيك فرصة وأعطى
فرويد فرصتين.. وأقول لك اذهب إلى طبيب نفسى، وإن أردت
فطبيين ليستخرجا العقدة المزعومة ويحلا الفيونكة الباطنية التى
تدفعك إلى سرقة الشرابات والأقلام الأمريكانى واللبان إيكاً،
فإذا لم يتم الشفاء على يد فرويد وحزبه فهو سيتم حتماً على يد
بوليس السيدة والأسفلت والتخشبية.

وفى التخشبية سوف تفيق تماماً وبين أيدي زبانية جهنم الذين
هم عسكر المباحث وخفراء الداورية وسوف تعلم تماماً أن الله
حق وأنه يهمل ولا يهمل.

خمس دقائق

أشعر أن القلم والورق والألفاظ المكتوبة كلها حواجز وأقنعة وألوان من الافتعال لا أستطيع أن أظهر بها أبداً على حقيقتي.

كنت أحب أن أرفع الكلفة وأثرثر معك بكل ما في نفسي، ولكني لا أجد ذلك أبداً إلا في الكتب وفي الصفحات ووراء السطور، ولا مفر إذن من أن أجلس إلى الورق أحاول أن أعادته بما في نفسي لعله يحمل إليك شيئاً من حيرتي وعذابي.

أنا فتاة.. عندي حوالي ١٩ سنة، في الثانوية العامة.. مشهورة بأني سبور.. أنزل البحر، وألبس الميني جيب وأخالط الأولاد والصبيان من صغري.. وفي البيت يعطونني الحرية لأفعل ما أريد.. ولكن أبداً لم يحدث أن خرجت مرة عن الحدود.. أصلي بانتظام ولا يفوتني فرض، وأراقب الله في كل أفعالي.

كان البنات زميلاتي يتحدثن عن مغامراتهن مع الأولاد.. وأقف أنا لأعظهن وأظل أتكلم في حماس حتى تنزل لي اللوز دون جدوى.

وأعود إلى البيت.. وفي الليل ومع الوحدة تتيقظ نفسي
لتجاذبني الحديث.

هل أنا موضة قديمة؟.. هل أنا من مخلفات عصر انتهى؟
لماذا أبدو دائماً غريبة بين زميلاتي؟
هل مفروض أن يكون لكل بنت ولد ينفرد بها؟
ألا تسمى الحياة حياة بدون هذه الأفعال.. هل العفة والشرف
كلمات عفى عليها الدهر؟

هل تمضى أيام شبابي وصباي وتضيع في المواعظ.. ثم أندم في
المستقبل وأعيش في الحسرة لأنني لم أستمتع بها كما يجب أن تفعل
كل البنات.

أصارك أن نفسي تراودني بما يفعل هؤلاء البنات وأتمنى
لو فعلت مثلهن.. وكففت عن هذه المحاضرات الحنبلية.. ولكنها
بمجرد أمانى.

أتمنى ولا أقدر.. شيء في نفسي ينعنى.
وأعيش في تعفف واستقامة وطهارة.. ولكن الملل يقتلني.
أنا زهقانة.. زهقانة من نفسي ومن عيشتي.

لا تقل لى عيشتى على كيفك وافعلى كما. تفعل زميلاتك البنات
فأنا لا أقدر، ولا تقل لى استمرى على مثالياتك واستقامتك..

فأنا زهقت، ولا تخاطبني بلغة الدين.. كلمنى بلغة عصر القمر
الصناعى والذرة.
واقنعنى بالشئ الذى اسمه الفضيلة.

٢٠٤ ع.

الإبراهيمية - الإسكندرية

لن أكلّمك بلغة الدين. وأكثر من هذا سوف أوافق معك أن
إشباع الشهوة ربما كان لذيذاً لمدة خمس دقائق.

ولكن الحياة ليست أبداً هذه الدقائق الخمس ولو كان اهتمام
الإنسان هو هذه المتعة العاجلة، لظل قرداً يقفز على الشجر أو
بهيمة تسرح فى الحقل.. ولما اخترع الكهرباء والتليفزيون
والصاروخ.. ولما عرف كيف يصعد إلى القمر.

إن إنسانية الإنسان تبدأ من اللحظة التى يضبط فيها شهوته
ويتحكم فيها فيقودها بدلاً من أن تقوده.

وخضوع الإنسان لصراخ أعضائه ليس حرية ولا تحرراً،
وإنما عبودية وذل وانسحاق ليس بعده انسحاق.

وضبط الإنسان لشهوته وتأجيل إشباعها لحين العثور على
شريك حياة وبيت يعمره الحب.. هذا التنظيم هو طريق الحرية
الصحيح، طريق السلامة تماماً كما هو الحال فى نظام المرور الذى
يجهز العربات خلف العلامات الحمراء فيضمن بذلك السلامة

وسرعة السير للجميع.. إنه طريق الإفلات من قبضة العبوديات الحيوانية وتكريس الحياة لخدمة العلم والتقدم والأهداف الإنسانية المتعددة.

وواضح جدًا أن معاكسات الشوارع والتردد على الشقق ليست هي الوسائل التي ينمو بها الحب ليؤدي إلى الزواج ولا سن المراهقة هي السن التي تؤمن فيها العواطف على الاختيار الواعي السليم لشريك العمر.

ولا مفر من أن تكون مرحلة المراهقة هي مرحلة صراع.. لأنه من خلال هذا الصراع والمغالبة تنمو الإرادة وتتكون الشخصية ويعرف الإنسان من الحيوان.. ويصعد الإنسان إلى القمر ليبحث ويستكشف.

وبنت الـ ١٩ التي تتسلل إلى شقة مع صاحبها بدلا من الذهاب إلى المدرسة، هي في الحقيقة لا تمارس الحياة.. وإنما القرد في داخلها هو الذي يمارس الحياة، لقد هبطت بنفسها إلى مجرد أداة فاقدة للحرية والاختيار في يد القرد الهائج بداخلها، وتحولت إلى خدمته وتلبية رغباته.

إن الشرف ليس مجرد أوامر ونواه، إنه القيد الذي نضعه على محالب الحيوان بداخلنا لنعيش حياة أكثر إنسانية، إنه قيد فيه حریتنا وتحررنا.

لقد قلت هذا في اعترافات سابقة أكثر من مرة وهأنذا أعود

فأقوله وأقوله.. ولو أنك سرت في طريق صاحباتك البنات فسوف تصلني بعد شهور اعترافات من نوع آخر تبدأ بالبكاء، والصراخ، وكيف الطريق إلى الخلاص.. «لقد ظهر الزوج المناسب ولكن بعد فوات الأوان».

«أنا زوجة سعيدة ولكن الماضي يطاردني، هناك من يملك صوراً وخطابات عن علاقة قديمة وهو يهدني بإرسالها لزوجي»
«لقد انزلت إلى نهاية تعسة.. فقد أحببت من لا أستطيع أن أتزوجه.. وتزوجت من لا أستطيع أن أحبه».

«اكتشف ابني بطريق الصدفة أن أباه ليس هو أبوه الحقيقي»
وهكذا أيتها القارئة العزيزة م. ع. من الإبراهيمية بالإسكندرية سوف تكتشفين بعد فوات الأوان.. أن الشرف كلمة حقيقية ذات مدلول وليست موضحة قديمة.. وأن قواعد الأخلاق لم توضع للناس عبثاً.. وأن أوامر الدين لها حكمتها، وأن متعة لحظات لا تستحق كل هذا البؤس.. وأن في الحياة آلاف المتع أكثر بقاء وأكثر عمقاً، كمتعة العلم ومتعة الفن.. ومتعة الصدق مع النفس، وأن الحياة تست كلها ذلك المتر في مترين الذي اسمه الفراش.

لماذا نعيش؟

منذ سنوات كانت نظرتي إلى الحياة نظرة كلها حب وتفاؤل
كنت أحب عملي.. كنت أحب زملائي.. أصدقائي.. إخوتي،
إخواني.. أبي.. أمي.. وكل ماله صلة بالحياة أحولى.. الطبيعة في
جميع صورها.. الربيع والخريف والشتاء حتى سقوط الأوراق
وعرى الشجر وهطول المطر ودوى الرعد.. حتى الصحارى
القاحلة.. الليل المدهم.. والبحر الهادر.

كنت كلما التقيت بإنسان تضاعف حبي للحياة.
كنت أرى الجمال في كل شيء.. وأرى الطبيعة في كل قلب،
والصفاء في كل وجه.. والسعادة في كل خطوة أخطوها.
كنت ناجحاً سعيداً أتدفق أملاً وشباباً وطموحاً حتى حدثت
المأساة.

سقطت مريضاً وأنا في قمة نجاحي.. ودخلت المصحة مصدوراً
على شفا الموت.

وجاء شقيقي لزيارتي في المصحة فأصيب في حادث سيارة
ووضعت ساقه في الجبس.

وفي نفس الأسبوع سقط الأسانسير عندما كان أخى الثانى
يقوم بإصلاحه بالدور السادس بمبنى القصر العينى الجديد.
وفي نفس الشهر كان خالى متجهاً إلى القرية لحضور فرح
فأصيب فى حادث تصادم وبترت ساقه.. ودخل زوج شقيقى
المستشفى ليجرى عملية جراحية لحالة إنزلاق غضروفى، فحدث
خطأ بالعملية أدى إلى عجز كلى عن الحركة وانتهى به إلى حالة
شلل لا علاج لها.

والآن أنا فى طريقى للشفاء من داء الصدر.
ولكن فى طريقى إلى مرض أبشع ألف مرة من داء الصدر..
لقد فقدت قدرتى على الابتسام واسودت الدنيا فى وجهى واصطبغ
كل شئ أراه بلون حزين يائس.

كرهت الدنيا.

لم أعد أرى أمام عيني إلا العجزة والمشلولين وذوى العاهات،
لم أعد التقى فى محيط الأسرة إلا بالكسيح والأعرج والمبتور
الساق.

لم أعد أسمع إلا الأنين..

ولم أعد التقى إلا بعبارات التعزية والمواساة.

أفكر فى الهجرة والسفر والهروب إلى أى مكان.

ولكن أى مكان فى هذه الدنيا البغيضة يخلو من العذاب
والأنين.

أنها دنيا قبيحة.

القدر والاعتقال والألم يترصد في كل ركن فيها.
ووراء هذه البحار الممتدة - هناك مالا عين رأت ومالا أذن
سمعت من صنوف الألم والعذاب.
الموت أمامنا.

والموت وراءنا.

والشيخوخة تنتظرنا.. والأمراض تلهث خلفنا.
ولا أمل.

الإنسان يولد ليموت.. ولكن بين ميلاده وموته يصنع حضارة.
وأروع ما في الإنسان أنه استطاع أن يتحدى الصواعق
والزلازل وكوارث الطبيعة.. استطاع أن يروض كواسر الوحش
ويستأنس جوارح الطير.. استطاع أن يهزم المرض ويتحدى
الشيخوخة وينتصر على الموت.

إن وفيات الأطفال كانت قبل استخدام أساليب الطب
الوقائي تصل إلى أكثر من ستين في المائة، وهي الآن في البلاد
المتحضرة أقل من خمسة في المائة. وهذا انتصار حقيقى على
الموت.

الإنسان هزم جاذبية الأرض وخرج من إسارها لينطلق إلى
الفضاء.

وإذا نظرت إلى إنسان يتألم ويغالب الألم سوف تعجب به أكثر
وتشعر بجماله الذى يفوق جمال كل ما فى الطبيعة من مناظر.
كان يجب عليك أن تزداد أملاً وأنت ترى الموت والعذاب من
حولك وترى الإنسان يكافح عذابه فى إصرار ويعلو على آلامه فى
بطولة وجمال ويبتسم ويضحك ويسعد برغم كل شيء.
أليست هذه القمة الإنسانية أجمل من كل قمم أفرست
المعجمة بالجليد.. إن الجمال لن ينتهى من الدنيا ما دام فيها
إنسان يفكر.. انظر فى الإنسان وأنت تستعيد شجاعتك
وابتسامتك.

أنا أطحن أضراسى

لن تجد فى هذه المشكلة قصة حب ولا طفلاً غير شرعى
ولا مركب نقص ولا مركب عظمة.. ولا قارئاً مصاباً بعاهة أو
مرض مستعص.. ولكنك سوف تجد مشكلة تبدو فى ظاهرها
عادية.. ومع ذلك فهى مشكلة عويصة وخطيرة وضحاياها
بالالوف وبالملايين.

ولأختصر فأقول.. أنا طالب بالسنة الثالثة الصناعية دبلوم
نقش.. فرد فى أسرة من خمسة إخوة وأخوات وأب وأم وبيت،
ميسور الحال فيه راديو وتليفزيون وكتب ومجلات وشبابيك
وبلكونات تطل على الجهات الأربع.

سوف تسألنى، وأين المشكلة؟

المشكلة فى هذه الوفرة فى وسائل الإغراء والتسلية..
قل لى بالله كيف أذاكر فى كتاب عقيم جاف سخيف عن
المعادن والأملاح.. وأم كلثوم تلعلع بصوتها من الراديو على بعد
متر واحد من أذنى.. وخدنى لحنائك خدنى عن الوجود وابعدى..
بعيد.. بعيد وحدينا.

فإذا رفعت عيني سنتيمترا واحداً من الكتاب داعب عيني
منظر الحاوى، والمتعة على بعد خطوات من الباب المفتوح..
فإذا مشيت هذه الخطوة تصيدت عيني عشر مجلات مختلفة
مفتوحة على صور غارية مغرية وصدور وسيقان ومقالات ملتهبة
وإعلانات سينما ومسرح وستيريو.

فإذا عدت استغفر الله وارفع عيني رأيت شادية اللذيذة
الطعمة وفيلماً لذيذاً قد بدأ فى التليفزيون.

فإذا أغلقت عيني سمعت صياح إخوانى فى الغرفة المجاورة
وهم يلعبون الكوتشينة.. وبصرة.. الولد يقش.. والفورة فاضل
عليها عشرة.. شد حيلك تاكل ملبن.

وأنا غلبان محروق فى صفحة من كتاب مدعوق عن المعادن
والمنجنيز والمولبدنم والتتالوم.. إلخ.. إلخ.

وأنا بشر لى عيان ولى ذوق.. ولى عقل متفتح وحواس سليمة
تعرف طعم البقلاوة.. وطعم شادية.. ولذة غناء أم كلثوم ومتعة
لعب الكوتشينة.. وجاذبية نجمك المفضل.. ومجلة حواء.. وقصص
أرسين لويين.. وأفشيات رواية هند رستم..

وإذا استطعت أن أهزم هذا الطوفان من المغريات وانتزعت
نفسى لأقف وفى يدي كتابى فى البلكونة اصطادتنى عشرات
العيون الكحيلة فى بلكونات الجيران واشتغلت الابتسامات
والنظرات على ودنه.. فإذا استعذت من الشيطان ونكست رأسى

إلى الأرض ورحت انظر في الشارع رأيت ما هو أدهى.. مساقط
رأسية لكل أنواع التسريجات الخارجة من الكوافير تحتنا.. ومعها
مالذ وطاب من الجابونيز والديكولتيه والرقاب العاجية والمخصور
الملقوفة.. وآه يا عيني.. ومدعوق المنجنيز والمولبدنم والتنتالوم
وامتحان الفترة.

وأنا عندي إرادة والله العظيم.. وأنا أقاوم كل هذه المغريات
وأذاكر بدليل أنى أنجح.. وأنى نجحت إلى الآن بدون رسوب مرة
واحدة.. ولكن.. على حساب أعصابي.. فأنا أكز على أسناني
وأطحن أضراسي وأغلق الباب والشباك وأغلق عيني وأذني
وحواسي الخمس وأذاكر.. ولكن أعصابي.. تتلف يوماً بعد يوم..
وللطاقة البشرية حدود.. ولا بد من حل.

وأريد أن أقول إن الحياة المدنية أصبحت الآن شديدة الإغراء
حافلة بكل ما يشد الانتباه.. وبالنسبة لطلبة في سن المراهقة
أصبح التركيز الذهني شاقاً إن لم يكن مستحيلاً. ولا بد من وسيلة
لتمكيننا من أداء واجبنا.

المعذب

ي. أ. ش

كلامك صادق.. وهو يؤكد وجود مشكلة خطيرة بالفعل.. وفي
تقارير وإحصاءات وزارة التعليم في إنجلترا تأكيد لهبوط

مستوى التلاميذ وهبوط نسبة النجاح بسبب هذه المغريات..
وهذا يحدث في إنجلترا فما بال عندنا..

والحل يجب أن يبدأ من العائلة.

على البيت أن يكفل الهدوء والتفرغ والتركيز الذهني لكل العاملين فيه.. التليفزيون له وقت محدود كل يوم ثم يغلق بالنسبة لجميع من في البيت.. الراديو يراعى أن يكون صوته هماً.. أو يسمعه من يشاء بسماعات أذن خاصة.

البيت ليس مقهى للكويتية والطاولة والتحشيش لكنه مكان عمل وملاذ راحة وتفكير وتأمل.

الصور العارية في المجلات، يجب أن يتناولها مقص رئيس التحرير فهذا واجب إنساني.. علينا أن نترفق بهذا الجيل.. ولا نلهب ظهره بكرابيح الإغراء إذا أردنا أن نجعل منه جيلا منتجا.

ولكن تبقى هناك حقيقة أخرى هي إرادتك.. لا بد أن تطحن
أضراسك وتكز على أسنانك.. فالتحصيل شاق.. وصوت شادية في
كل العصور كان ألد من المذاكرة.

ونحن أيضا كنا نسمع أم كلثوم تغنى.. التوم يداعب عيون حبیبی.. ویاما أمر الفراق.. ونحن نذاکر فی نظریات إقلیدس وفی أدب البحتری.. وکل واحد یأخذ دوره من الغلب یا عزیزی المעذب (ی. أ. ش).

رشوة...

تزوجت من بنت خالى منذ ٨ سنوات.. ولى منها ثلاثة أطفال..
وأعترف لك أن هذا الزواج تم برغم أنفها، وبعد محاولات منى
كثيرة.. ومطاردة وإلحاح متواصل وإغراء بكافة السبل.. فقد
كنت أحبها.. ومازلت أحبها وأعبد.. لجمالها ورقتها وأنوثتها.
وقضيت السنوات الأولى من الزواج فى سعادة غامرة. كنت
أنفق عليها ببذخ.. أشتري لها الملابس الفاخرة وأخذها فى
سهرات ونزهات كل ليلة.. ومع هذا كنت أحس دائماً أنها غير
راضية، وكان هذا يدفعنى إلى إغرائها أكثر بالمزيد من البذخ.
إلى أن صدر ضدى حكم بالسجن ثلاث سنوات بتهمة
الرشوة، ودخلت السجن لأعيش فى حلم متواصل.. كنت أحلم
بها كل ليلة وأكتب اسمها على الجدران.. أنحت اسمها
بأظافرى.. وأعد الأيام والساعات والدقائق فى انتظار الخروج
لألقاها.. وأعود إليها.. وأناديها فى ظلام الوحدة والقيء.. ومهانة
السجن.

وخرجت.. لأجدها تغيرت تماماً.. فهى دواماً فى بكاء مستمر..

ترفض أن تجتمع بي مهما حاولت.. وتصدني بشدة وبوحشية..
وعناد.

وفي ليلة سوداء اعترفت لي أنها تحب رجلاً آخر.. وطلبت
الطلاق مني وأبدت استعدادها للتنازل عن جميع حقوقها ما عدا
الأولاد.. وأقسمت أنها لم تخن في غيابي أبداً.. وقالت إنها تحب
ذلك الرجل وتعبده ولا تستطيع الحياة بعيداً عنه.. علماً بأنه فقير
لا يملك ربع ما أملك.

وجن جنوني.
ولكن لم أستطع أن أفعل شيئاً.
لم أستطع أن أنفذ إلى قلبها بأي وسيلة من وسائل الإغراء..
كان قلبها قد أغلق نهائياً وإلى الأبد.. في وجهي.
وكان الدق على قلبها كالدق على باب تابوت.
لا أمل..
ماذا أفعل.
أطلقها؟؟

وكيف أعيش بدونها.
أحتفظ بها برغم أنفها؟!.. وكيف أعيش معها وهي في حالة
سرحان وبكاء باستمرار؟.
كيف أعيش معها وأنا أعلم أن قلبها يكتوى بحب رجل آخر

غيرى.. أنا الذى ضحيت من أجلها.. وأنفقت عليها دم قلبى.
ما الحل؟..

«.....»

واضح أن أمارات الفشل كانت ظاهرة لك من البداية.. فهى
لم تكن تحبك.. وهى تزوجتك برغم أنفها.
وحينما ظهر لك فشلك فى انصرافها عنك.. حاولت أن تفرقها
بأموالك فلما نفذت أموالك بدأت تسرق من أموال الآخرين فى
فيض من الرشاوى.

كنت ترتشى.. ثم تحاول بدورك أن ترشوها.
فشل.

ثم إمعان فى الفشل.

والسجن كان نتيجة طبيعية لهذه الحلقة المفرغة من الأخطاء..
وما حدث لها وأنت مسجون.. نتيجة طبيعية أيضًا.. فهى لم
تكن تحبك.. وأنت فى السجن كنت فى نظرها أكثر من مجرد زوج
غير محبوب.. كنت رجلا سقط اجتماعيًا.

الهوة بينكما اتسعت.

ولم يكن بينكما ود مفقود لتحاول أن تسترجعه.

أنت تحاول أن تصنع شيئاً من لا شىء..

أنا أكره الطلاق.. ولكن ما بينكما من البداية كان شيئاً
كالطلاق.. وما تعيشان فيه الآن هو شيء أسوأ بكثير من
الطلاق..

وأعتقد أن واجبك أن تطلقها.

هذا هو ما تقضى به الكرامة.

وأى محاولة أخرى منك للاحتفاظ بها برغم أنفها تكون محض
أنانية أشبه بالاغتصاب.

أما الأولاد.. فإن حياتهم تحت سقف الكراهية.. جريمة أخرى
لا تقل عن جريمة الطلاق وخراب البيت.

هل أنا رجل؟

سوف أغالب التردد وأعترف لك بكل شيء..
وسوف أبدأ معك من البداية المألوفة.

أنا شاب في السابعة عشرة من عمري طالب بالسنة الثانية الثانوية.. أبى وأمى وإخوتي مع حبهم لى إلا أنهم يشكون دائماً من أفى نحس.. وأن مقدمى إليهم كان مقدم شؤم وفقر وبؤس.. وكما يقولون.. غادرهم الخير منذ جئتهم.. كانت لهم الأغنام والأبقار والأرض.. ثم لم يعد لهم من ذلك الخير الوفير إلا أقل من القليل.

أمى تقول التشريد والمصائب نزلت بها منذ مجيئى.. لم أكد أبلغ السنة الأولى من عمري حتى كان أبى قد تزوج بأخرى وطلقها ثم طردنا من البيت وسافر أخى الكبير إلى بنغازى وتدرج فى التجارة حتى أصبح تاجراً مرموقاً.. أما أنا وأمى فقد لجأنا إلى بيت صغير نملكه.

وكنتم أحب أمى كثيراً.. ولم أكن أرى أبى إلا نادراً.. أحياناً مرة واحدة فى العام برغم أنه لم يكن يبعد عنا كثيراً.

وكانت أمى تحب أبى.. كان اسمه منقوشا على ذراعها.. وكان أبى يحبها فيما مضى ويشيد بجهودها فى تربيتها.
وكنت أشعر نحو أبى بالاحترام كلما جمعنا مجلس، ولكن لم أكن اشتاق إليه.. مهما طالت بنا الفقرة.
المهم.. لا أريد أن أسترسل فى تفاصيل لاقيمة لها:
عشت سننى حياى الأولى مع أمى أنام فى حضنها.. وأفترش فراشها وأتغطى بلحافها وأتوسد ذراعها وأسند رأسى إلى صدرها الحنون.

وكانت سنوات دراستى الابتدائية كلها سنوات انطواء وعزلة أكاد أعيش منعزلا عن المجتمع مع أمى بلا زمالة أو صداقة أو شلة أأعب معها.

وتوطدت فى نفسى بسبب ذلك كراهية للدنيا والناس ونفور من الاختلاط.. وكان هذا النفور يزداد كلما نظرت إلى ملابسى فرأيتها بالية قديمة.. كان خجلى من فقرى وسوء حالى يجعلنى ازداد نفورا من الاجتماع بأى إنسان.. والحقيقة أن الخجل كان عقبة كئودا طوال حياى.

كنت أفقد النطق ويحمر أنفى حتى يلذعنى وتحمّر وجنتاى ويقشعر بدنى من قمة رأسى إلى أخمص قدمى ويتصبب العرق بارداً على جسدى كلما طلب منى الأستاذ أن أقف وأجيب على أى سؤال حتى ولو كنت أحفظ إجابة هذا السؤال عن ظهر قلب.

أنا الآن أعيش مع أخى الكبير الذى ينفق علىّ.. وأنا طالب ثانوى بالقسم العلمى.. أشعر برغبة فى الاستقلال والإنفاق على نفسى من عرق جبينى.. ولكن الخجل يمنعنى كلما فكرت فى طرق باب العمل.
إنه الخجل دائماً.

وأخر مرة كان الخجل سبباً فى كارثة نفسية لحقت بى.. ومازلت أعيش فى كابوسها.

كان ذلك فى ذات ليلة حينها سمعت الزملاء يتكلمون.. كل واحد يتفاخر بتجربته الجنسية.. وأن له باعاً فى تلك الشئون. ولم أجد أنا ما أقوله.. فسكت خجلانا من نفسى.

وكان أصغر واحد فى الشلة يقول إنه يدخن ويشرب الخمر ويعاشر النساء، وإنه جرب كل شىء فى الدنيا.. وإن الرجل لا يكون رجلاً إلا إذا خاض كل تجربة.

وفى تلك الليلة لم أنم.. واختمرت فى ذهنى فكرة القيام بزيارة لمحال الدعارة.

وفى اليوم المشنوم نزلت إلى الشارع أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وقلبى يدق بمخاوف لا آخر لها.

وحينها وقفت أطرق الباب.. راودتنى الرغبة فى الهرب والفرار بنفسى.. فكرت أن البوليس ربما يداهم البيت المشبوه كما يحدث فى الأفلام.. وفكرت انى ربما أصابتنى السكته القلبية من شدة

الانفعال، وفي تلك اللحظة فتحت العاهرة الباب فقطعت على حبال مخاوفي.. كانت جميلة وكانت ملامحها تبدو لى بريئة كلامح ملاك طاهر شريف.

وتأملت وجهها الطيب وسرح فكرى بعيداً عن المهمة التى جئت من أجلها.. ورحت أفكر فى مبلغ قسوة هذه الحياة التى دفعت بهذا الوجه الطيب إلى الحضيض، وقدرت أن السبب قد يكون بدافع ظروف عائلية تعيسة أرغمت هذه الفتاة على أن تنحدر هذا المنحدر، وراودنى الخاطر فى أن أدعو الفتاة إلى العودة إلى حياة الفضيلة والرشاد والبحث عن طريق حلال لكسب العيش.. ولكنها قطعت هذا الخاطر بهزة من ساقتها تستحثنى فيها على الفراغ من المهمة.. ولكن أية مهمة..! لقد تنبتهت على نفسى وقد فقدت القدرة تماماً على إتيان أى شىء.

وخرجت تودعنى سخرية العاهرة وضحكاتها لأواجه الحياة بمشكلة جديدة فى شكل سؤال راح يحل على ذهنى كل لحظة.. هل أنا رجل؟

وإذا كنت رجلاً فلماذا لم أتصرف كما يتصرف كل الرجال فى هذه المناسبات؟

وبدا يركبنى إحساس بالعار وبالنقص ويأنى لست طبيعياً.
وماقيمة الحياة إذا لم أكن رجلاً؟
وكيف أستطيع أن أتزوج.. وكيف أفتح بيتاً.. وأصبح أباً؟

وبدأت الدوامة السوداء.
وفي كل يوم تتسع الدوامة لتبتلعني.
ولا أعرف ماذا أفعل.

م. برغشى
توكره - بنغازى

* * *

لاشك أنك رجل.. وإنسان طبيعى مائة فى المائة.. وماحدث لك
لم يكن شذوذاً.. وإنما نتيجة طبيعية لأنك تعاطفت مع المرأة..
وتصورتها فى صورة الفتاة البائسة فاستحال عليك أن تقوم بعمل
أصبحت ترى انه إخلال تام بالشرف.

والخطأ الشائع عند كل رجل أنه يعتقد أن هذه العملية هى
عملية بدنية، ولكن الحقيقة أنها عملية نفسية عصبية تحتاج إلى
تهيئة نفسية خاصة.. فإذا لم تحدث هذه التهيئة فالنتيجة تكون
العجز.. وهو ليس عجزاً عضوياً بدنياً.. وليس نقصاً مرضياً.
ولكنه دائماً عجز نفسى.

الخجل.. والقلق.. والخوف.. والإحساس بالذنب. وتأنيب
الضمير يشل هذه القدرة عند الرجل.. وخصوصاً عند الرجل
الحساس الرقيق الشعور.

وكلنا نعرف أننا نضحك حينما نرى الممثل الكوميدي يمثل
دور مجنون على المسرح.. ولكننا مع ذلك نفقد القدرة على

الضحك تمامًا إذا رأينا مجنونًا حقيقياً يهذى في مستشفى المجاذيب
والسبب هو التعاطف والإشفاق.. ومشاعر الرحمة.. التي تتولد
أمام الرؤية الواقعية فتشغل قدرتنا على الضحك.
وما حدث لك من عجز من هذا النوع وليس عجزاً حقيقياً.
إنه موقف نفسى لا أكثر.

ولن ينشأ هذا الموقف حينما تتزوج.. لأن علاقتك بزوجتك لن تكون
جناية خلقية ولا انتهاك حرمت.. وإنما ستكون علاقة تسودها الشرعية
والحب والاعتناع والإحساس من الطرفين بأنها علاقة شريفة.

ولاشك أن علاقتك الوثيقة بأمك ونشأتك في حضنها طول
الوقت كانت سبباً في انطوائك وعزلتك وإحساسك بالخجل..
وربما كان الخجل الطاغى والعجز لحظة وقوفك أمام العاهرة سببه
أن عقلك الباطن صورها لك في صورة أمك المحرمة عليك.. ذات
الوجه الطيب الحنون الملائكى.. التي جنى عليها الزمان.

وكما يقول فرويد إن أى ارتباط شديد بين الأب والأم في
مرحلة طفولته يؤدي إلى عقدة أوديب.. وهى عقدة عشق الأم.
وهذه العقدة تكون باطنة غائرة في العقل الباطن غير واضحة
الشعور وتؤدي على الدوام إلى إحساس بالذنب والخجل..
وخصوصاً من العلاقات مع الجنس الآخر.. لأن الأم المحرمة
تصبح رمزاً لهذا الجنس كله.

أما رجولتك فأنا أطمئنتك عليها.

ابن امبارح

لم أكتب هذا الكلام إلا بعد أن فاض بي الهم وغلب همارى
وباظت أعصابى.

وما سأعرضه ليس مشكلة خاصة بى وحدى ولكنها مشكلة
جيلنا كله.

والمشكلة هى مشكلة الآباء الذين ينظرون إلينا نظرة لا تتغير
مهما تعلمنا وكبرنا وطلع لنا شنب.. فنحن فى نظرهم «شوية
عيال».

واحذرى حالاقى سنى ٢٥ سنة وأسمع من يقول لى «تعرف
إيه أنت فى الدنيا يا بن امبارح».

وباما شلتك على كتفى وأنت فى اللفه ما تساوش ثلاثة
أبيض.

وهو كل من طلع له شنب بقه راجل.

وأنا أحب والدى وأحترمه وأعلم قيمة رضاه ومكانته عند الله
ولكن لكل شىء حدود.. وفيه حاجات تجنب.

أنا مثلاً أقطن في حي بلدى مختلط بجميع الفئات طلبة وعمال وموظفين وأنا شخصياً في نهائي إحدى الكليات وأعمل موظفاً في نفس الوقت، وقبل ذلك كنت أعمل بالمدايع ثم بالفاخورة ثم الرمالى بالسيدة ثم بأحد مصانع الحلوى، وأخيراً التحقت بهذه الوظيفة.. وبحكم هذه الأعمال المتعددة أصبحت لى خبرة بالحياة وبالناس.. ولكنى مع ذلك ما زلت فى نظر السيد الوالد.. «العيل ابن امبارح اللى لا راح ولا جه».

إذا حاولت أن أبدى رأياً كان هو أول من يسخف هذا الرأى.. «وأنت إيه كمان اللى حاتتكلم فى أمور ماتفهمهاش».

التجديد فى أثاث البيت عيب.. واللبس النظيف حرام.. والأكل فى مواعيد محددة كلام فارغ.. واستبدال الطبلية القديمة أم رجلين مكسرة بسفرة لطيفة اقترأ على الله وبطر، والبطر من زوايل النعم.. ودهان البيت فخخة كدابة.. وطلب الهدوء للمذاكرة مالوش لازمة.. واللى عاوز يذاكر حا يذاكر فى مولد أو فى سويقة.

والذهاب بأختى ١٨ سنة إلى السينما بوظان.. وشراء الصحف والمجلات إسراف.. والاشتراك فى أحد النوادى تلف.. وعيشة قرف فى قرف.

تحملنا ورضخنا للأوامر حتى بلغت الروح الحلقوم.
لو صادف وجالسته مع أصدقائه وجدته يلقي الحكم والمواعظ

فى التربة الحديثة.. «وان كبر ابنك خاويه» و«الجواز سره
للبنه وصيانة للولد» و«المشورة فى الرأى من حسن الفطن»
إلخ.. إلخ.

فإذا ترك جلسة الأصحاب ودخل البيت تبخرت كل هذه
النصائح وانقلبت إلى العكس.. فلا مشورة.. ولا احترام لصغير
ولا لكبير.

لى أخ أكبر تجاوز الثلاثين اختار فتاة يحبها وتحبه وطلب من
الوالد السير فى إجراءات الزواج.. لكنه رفض.. لأنها لم تأت عن
طريقه هو، فهى لذلك «بنت ملعونة مش بتاعة عيش.. واشمعى
عاوز تتجوز اليومين دول.. لسه بدرى عليك لما تكمل خمسة
وثلاثين أربعين سنة».

وتعجب إذا قلت لك.. إنى حينما أشتري قميصًا جديدًا أخفيه عن
العيون وأبله ثم ألبسه مكرمشًا حتى يبدو نص عمر لأتخلص من
الموشح الذى يستقبلنى به الوالد العزيز عن المصاريف إلى ماهاش
لازمة.. والعياقة.. والوجاهة.. والظاهر إحنا بقينا خواجات.

وليس هذا حالى وحدى.. فى صديق محترم موظف قد الدنيا
وعمره ربع قرن.. وما زال أبوه يناديه بلقب «يا واد».. ويستولى
على مرتبه ويعطيه مصروفه اليومى.. فإذا فتح فمه احتجاجًا..
صرخ الوالد فى استنكار «آدى آخرة تربيتنا. خسارة شقانا
وتعبنا.. الواد بيبجح فيا».

وصديق ثان يعمل محصلًا بأحد الأقران ومنتسب في كلية وفي العام الماضي حصل على درجة امتياز في القانون التجارى والمحاسبة.. ومع ذلك أسمع بأذى السيد والده يلوح يديه في وجهه قائلاً.. «وده يفهم إيه في الدنيا والا يعرف إيه عن المسئولية العيل ده.. والله بعد ما أموت حايلف ع الأبواب يشحت».

وصديق ثالث غلبان صمم أبوه على تزويجه بالإكراه، من فتاة لا يحبها ولا يطيقها لأنه يريد أن يفرح به.. «والله العظيم ثلاثة إيمان بالله العظيم لو خرجت عن طوعى لا أنت ابني ولا أعرفك.. وأنا يا ابني راجل كبير.. لو عشت السنة دى مش حاعيش السنة الجاية.. وعاوز أشوفك عريس واتهنى بيك».

والعريس الغلبان طالب أيضاً وموظف. إيراده على قده.. يريد أن ينتظر حتى يجد شريكة حياته التى يحبها وتحبه.. وحتى تتحسن ظروفه المادية.

بالله عليك كيف يفكر هؤلاء الآباء.

وكيف نعيش معهم وهم بهذا الجمود.

عمر. ع.أ

خرطة أبو السعود

* * *

هذه الرسالة لكل أب ليستفيد العبرة.. ويأخذ درساً في معاملة الأبناء.. أما أنا فليس عندى ما أقوله.

حكاية سينها

أنا محام شاب. عمري ٢٨ سنة.. عاطفي، عنيد، أحب الاستقلال في حياتي وشخصيتي.. نجحت بكفاحي وإصراري ومثابرتي.. استطعت أن أشق طريقى بين المحامين الكبار وأن أحقق لنفسى دخلاً محترماً.

ولست هذه مبالغة في الثقة بنفسى ولكنها الحقيقة التى يقولها عنى الآخرون.

بدأت مشكلتى فى يوم من أيام شهر مايو سنة ١٩٦٢ دخلت إلى مكاتبى سيدة مع زوجها رأيتها فتسمرت فى مكانى لا لجمالها الباهر وحده، ولكن لشيء ما فى نظرات عينها شدنى إليها شداً.

واختصر لك الحكاية.. ترددت على بعد هذا كثيراً.. وتكلمنا كثيراً.. وشيء ما فى شخصيتها كان دائماً يصدنى كلما فكرت فى أن أغازها أو آخذ منها ميعاداً أو قبلة كما كنت أفعل مع غيرها من النساء.

كان شيء ما فى عينها يوقفنى عند حدى.. فأتبها.

وكننت أشعر شعورًا عميقًا بأن هذه المرأة هي المرأة التي ظلما
حلمت بها وأردتها لنفسى.

ما السر.. ما السبب.. ماذا يشدنى فيها.. لم أكن أعلم.
وتطور حديثنا.. وسألته عن حياتها فقالت لى باختصار إنها
متزوجة من ١٥ سنة، وإن زوجها عنين ليس له فى النساء، وأن
عندها عقدة نفسية من ناحية الجنس، وأنها ما زالت عذراء، وأنها
باردة تمامًا.. لا تشعر بأى رغبة أو غريزة تدفعها إلى الجنس
الآخر.

وحككت لى عن طفولتها فقالت إن أمها ماتت وهى فى التاسعة
من عمرها فأدخلتها زوجة أبيها فى مدارس الراهبات داخلية..
وعندما بلغت الخامسة عشرة زوجها لهذا الرجل وكان سنه فى
ذلك الوقت ٢٨ سنة.

كانت هذه هى قصتها كما روتها لى.
ومضت أيام وليال كثيرة وأنا أفكر فيما قالته كلمة كلمة.
وعواطفى تلح على ألا أتركها لهذا الرجل الأثافى.. وأعصابى
يمزقها التفكير..

ودهبت إلى أمى وحكىتها لها الموضوع كله عسى أن يكون لها رأى
أوفكرة وكان ردها أنه لا مانع من أن أتزوجها مادمت أحبها إلى هذه
الدرجة.. وأمى بالمناسبة تحببني جدًا ولا تطيق أن ترائى أناألم.
النهاية.. كانت موافقة أمى هى القشة الأخيرة التى تعلقت بها

تعلق الغريق.. فمضيت لتوى أهبيء الوسائل وأحطم العقبات.
استطعت أن أحصل لها على الطلاق من زوجها بعد شهرين.
ولا أطيل عليك.. تزوجتها
وكانت الليلة الأولى.. مفاجأة.
أحسست أنى أغبى إنسان فى العالم.
لم تكن عذراء.. كانت سيدة.
لم تكن باردة.. ولا عندها ذرة تعقيد من الجنس.
وإنما كانت شبة سوداوية لدرجة المرض، لا تشبع.. مشتعلة
الرغبة لدرجة الهوس.

وعلمت أنها كانت عادية طيلة الخمسة عشر عامًا.. لم تكن
مظلومة فى شىء.. ولكن المظلوم الغلبان الفدائى.. كان الرجل
التعس زوجها.
وقنيت فى هذه اللحظة أن أرى ذلك الرجل البطل لأرغم
أمامه وأستغفره.

وتذكرت أنه حينها ذهبت لأسعى لها فى الطلاق لم يقاوم ولم
يتحدث بحرف، وكل ما قاله إنه يشترط ألا تأخذ منه نفقة وبهذا
الشرط البسيط وافق على الطلاق.
كان واضحًا أنه يريد أن يتخلص منها.
وطويت هزيمتى فى قلبى.. وتجسم لى غبائى.. وجهلى.

حاولت أن أدمن السهر والخمر لأنسى المصيبة التى تنتظرنى
كل ليلة فى البيت.

وارتبتك أعمالى وأغلقت مكتبى.. ثم عدت ففتحته.
ومضت الأيام تجرى.

انجبت طفلاً برغم أنفى.. أى والله برغم أنفى.. كنت أعطيها
فى اليوم الواحد خمس حقن للاجهاض بدون جدوى.

كلما نظرت إليها الآن شعرت أنها تسرق منى شبابى وصحتى
وعمرى.. وأنها تلقى بى إلى هاوية الغريزة الحيوانية انحدر فيها
يوماً بعد يوم.

أحسد كل شاب على حريره.

أسأل نفسى.. لماذا فعلت بنفسى هذا.. هل كنت مجنوناً.
أفكر فى الانتحار لأتخلص من هذه العبودية.. ثم أعود فأقول
وما ذنب الطفل البرىء.

بالله عليك ماذا أفعل.. لا تقل لى لقد أخطأت.

وتحاسبنى على أخطائى.. فأنا غبى وجاهل ولا يمكن أن يكون
الجاهل مسئولاً عن أفعاله.

الجهل لن يعفيك من مسئوليتك.

إن المجنون الذى يضع إصبعه فى النار.. يحترق إصبعه.. جنونه

لا يعفيه من نتيجة خطئه.. وهذا حال الدنيا.

لقد أخطأت الاختيار.

كنت تحلم بامرأة جميلة وباردة تريحك بالليل والنهار.. فوقعت
في نار مشتعلة تأكلك بالليل والنهار.

وتذكر أنها لو كانت باردة معقدة رافضة الجنس كما كنت تتوقع
لكانت كارثة أكبر.. فالبرودة ترهق أكثر.

والظاهر أن خبرتك بالنساء قليلة.

والسبيل إلى زواج موفق ليس هو البحث عن امرأة باردة أو
امرأة نارية.

العلاقة الزوجية الناجحة هي توليفة موفقة.. كل من الزوجين
يحاول بالعشرة والفهم والمحبة أن يؤلف رغباته وحاجاته على قدر
طاقة الآخر ومزاجه وحاجاته.

العلاقة الزوجية مجموعة عادات يمكن تربيتها.

وتأكد أنك لو طلقت زوجتك وتزوجت من أخرى فسوف
تفشل أيضاً فأى امرأة يمكن أن تكون باردة ويمكن أن تكون
مشتعلة.

ومن خلال العلاقة الزوجية الموفقة يستطيع الزوج أن يربي
العادات التي تلائمها، كل ما في الأمر أنك لم تحاول.. وإنما اتخذت
موقفاً عدائياً من البداية.. حينما لم تجد مطلبك.. وهو مطلب
مضحك.. وحكاية خرافية.. الزوج العنين والزوجة التي تعيش ١٥

سنة عذراء.. حكايات سببا واضح أنها اختلقتها لتفتح بها مجال حديث معك لأنها كانت تريدك.

نصيحتي لك أن تكف عن هذه المواقف الطفولية.. السهر والخمر وأفكار الانتحار.. وأن تحاول أن تفهم زوجتك.. وأن تحاول أن تجعلها تفهمك.

وتأكد أنك ستوفق في خلق علاقة عادية سوية.

ليست أفعى

أنا شاب فى الثلاثين من عمرى أشغل منصباً كبيراً ومرتبى
حوالى سبعين جنيهاً.. متزوج منذ ٦ سنوات ولى أربعة أبناء وسن
زوجتى ٢٥ سنة.. وباختصار أقول لك إن زوجتى متكاملة..
جامعية.. جميلة.. موظفة.. ست بيت.. أم.. زوجة.. حبيبة.

سارت حياتى الزوجية سوية نظيفة طوال هذه السنوات
الست، لم يتخللها شجار ولا تفكير فى خيانة ولا حتى نظرة منى
إلى أية امرأة.

طوال هذه المدة لم اشتبه أى امرأة ولم أفكر فى أنثى ولم يخطر
على بالى مخلوق غير زوجتى.

كان شغلى الشاغل هو بيتى وأولادى وامراتى.
بدأت تتسلل إلى نفسى ولا أقول إلى قلبى.. أفعى فى شكل
فتاة سنها ١٧ سنة.

تسللت إلى مشاعرى أولاً عن طريق العطف، فهى عاملة
بسيطة مرتبها عشرون جنيهاً شهرياً.. عادية بل أقل من العادية،
ظروفها المادية والعائلية والاجتماعية تعسة جداً فهى تعيش مع

أسرتها المكونة من والدها طريح الفراش منذ عشر سنوات
ووالدتها التي تكافح في سبيل اللقمة وأختها الطالبة وأختها
الأخرى العاملة، كلهم يعيشون في غرفة واحدة في بدروم.
والبنت على مسحة من الجمال.. عطفت عليها وساعدتها مادياً
حينما شكت لى ظروفها، ثم دعتنى إلى منزلها واستقبلنى أهلها
بحفاوة كبيرة.

ولكن هذه الأيام.. بدأت المشكلة.
وأخذت أتردد عليهم وأقنع نفسى بأى سبب لذهابى.
وبالتدريج أخذت هذه الفتاة تحتل مكانة فى نفسى تزداد بمرور
الوقت.
وأخيراً.. اشتيتها.. نعم اشتيتها.. وقبلتها خلسة.. على
السلم.. ودعوته للخروج معى (إلى أماكن عامة فقط) كل هذا
دون أن تدري زوجتى.
وهذه التصرفات تجعلنى أحقر نفسى.. وأنا الذى كنت أحرم
على عيى أن تنظر إلى امرأة غير زوجتى حتى ولو كانت ملكة
جمال.
إنى أشعر أن حياى الزوجية.. وكيانى وبيتى.. ومستقبلى كله
يتهدم.

هل تصدق أنى لم أعد أستطيع النظر فى عين زوجتى.
هذا الشعور يعذبنى.

إني واقع فريسة سهلة لدوافع متضاربة.. العطف والإشفاق.. وإغراء النزوة بعد ست سنوات من الحياة في طهارة.. والملل.. والحياة الرتيبة الخالية من المغامرة.

والبنت متعلقة بي جدًا وطبعًا لها حق فأنا لقطة بالنسبة لها بالرغم من أني متزوج وعندي أولاد ولست من دينها.. وديني يمنعني من تعدد الزوجات.

أحاول أن أتخلص منها وألعن الظروف التي عرفتني بها.. ولكنني أعود فتنهار مقاومتي وأسرع إلى لقاءها.

تعودت منذ صغرى أن أصلى إلى ربي مصدر عزائي ورجائي.. أما الآن فإني أخجل من المثول بين يديه.. ماذا أقول له.. لا أريد منك أن تقول اتركها.. فإن عطفي على هذه الأسرة يزداد يومًا بعد يوم وعلاقتي بالفتاة تزداد بدرجة تجعلني عاجزًا عن الاستغناء عنها.

وأنا مختار بين بيتي الذي أقدس.. وهذا الشعور الجديد الذي اكتسحني.

* * *

واضح جدًا أنك الجانب الأقوى والأقدر في هذه المشكلة.. وأنتك سيطرت على البنت الفقيرة وعلى أسرتها بمالك ومساعداتك المادية وعطفك (المشكوك فيه).. وأنتك استدرجتها.. وأنتك الفخ والصياد ولست الضحية كما تصور لنفسك.

وليس صحيحًا أنك لقطعة.. فأنت متزوج ولك أولاد ومن دين
غير دينها ودينك لا يسمح لك بتعدد الزوجات.. إذن سوف تجربها
خلفك (وأنت ابن الثلاثين وهى بنت السبع عشر) بدون أمل
وبدون جدوى سوى مساعداتك المالية.

وسوف تكون نتيجة حبها لك أن تفوتها فرص كثيرة في
الزواج وفي الحب من شاب ندها.. فمن منكم الضحية.. أنت أيها
الرجل القادر القوى الغنى المستغنى.. أم هى التى تعيش مع أمها
المكافحة وأختها الفاملة وأبيها المشلول فى غرفة فى البدروم.
وأنت تسميها أفعى. وأنت الأفعى الذى تلتف حولها لتعصر
عودها وشبابها وعمرها بقروشك وعطفك الكاذب.. وفى النهاية
سوف تبكى وتقول.. هدمت لى بيتى.

كفى رثاءً لنفسك.. بدون داع.. وأترك البنت لحالها وإذا أردت
أن تساعدك فساعدك بكرم ورجولة دون أن تحتلس منها القبلات
على السلم.

وثق أنك إذا استمررت فى علاقتك فسوف تنتهى حياتك
الزوجية إلى الدمار المؤكد.

جدير بالإشفاق

بدأت مشكلتي عندما تزوج والدي.. وكان زواجه بعد أربعين يوماً من وفاة أمي - من سيدة مطلقة ولها ولدان أحدهما أكبر مني بسنة.

وكانت معاملة زوجة أبي حسنة لدرجة جعلتني أقول لنفسى، لو أن أمي كانت على قيد الحياة لما عاملتني أحسن من هذه المعاملة.

وما زلت أقول هذا الكلام بعد مضى تسع سنوات على زواج أبي.

لم تكن زوجة أبي هي المشكلة إذن.. ولكن المشكلة كانت في أبي الذى بدأت تتغير معاملته لى بعد زواجه بدرجة أفزعتنى.. فهو كل يوم يحلفنى على المصحف ألا أخونه ولا أهتك غرضه ولا أغرى امرأته.. ولو قلت لك ان عدد هذه الحلفانات اليومية بلغت عدد شعر رأسى لما كنت كاذباً.. فقد أصابت الرجل لوثة الغيرة والشك جعلته يرتاب فى كل لحظة بدون مبرر وبدون داع.. وهو فى كل مرة يرتاب فيها يأتى بالمصحف لأحلف عليه ويطلب

منى أن أقسم بعهد الله وبنور عيني وشبابي بأنى لم أفكر فى أمراته
ولم اشتھيها، ولم أنظر إليها نظرة حرام.

وفى رمضان كان يغلق عليها حجرات النوم ويأخذ المفتاح معه
وأحياناً يترك الباب مفتوحاً ليعود بعد دقائق يتجسس ويفتش
وتطور الشك فى ذهنه إلى تصورات وهمية.. مرة يقول لى إنى
أمسك ذراعها، ومرة يقول إنى تحسست شغرها، ومرة يقول إنى
قبلتها، مع العلم بأنها امرأة فى سن أُمى نصيبها من الجمال
والجاذبية لا يزيد عن ٤ من ١٠.

وتطورت حالته فأصبح لا يسمح لى بالبقاء فى البيت إذا
خرج فهو يأخذنى معه حينما يخرج فى الصباح الساعة التاسعة
ولا يسمح لى بالعودة قبل الواحدة.. وفى المساء يأخذنى معه
الساعة السابعة لأتسكع كما أشاء ولا أعود قبل التاسعة.

وهو يعطى الخادمة تعليمات مشددة بأن تلازم الست طول
الوقت ولا تخرج لقضاء أى طلب.. وإذا اكتشفت أنها خرجت
لأى غرض أصابه الهوس وبدأ يفتح تحقيقات لا آخر لها.

وأنا الآن طالب فى جامعة الاسكندرية فى السنة الثانية. ومن
حسن حظى أنى أترك هذا المورستان وارتاح منه طول السنة
لدراسية.. ولكن ما تكاد الاجازة تبدأ وأعود إلى البلد حتى يعود
لعذاب والجحيم و«س» و«ج».

آخر مرة أقام معى تحقيقاً طويلاً عريضاً لأنه رآنى أقف بجانبها عند الثلاثة.

ومرة أخرى كنت آخذ من المطبخ ملعقة بينما كانت واقفة تطبخ.. إزاي أدخل عليها.. واتلصص.. وانظر إلى ساقها ومفاتها (باريتك تشوف السيقان الغاب دول).

العائلة فى خصام معه لأنه تزوج بعد وفاة أمى بأربعين يوماً ولأنه باع أرضاً تركتها لى أمى وأنفق ثمنها.. وهذه طبعاً مسألة ثانوية لا تهمنى.. إنما المأساة فى هذا التفكير الذى يفكر فيه والشك حتى حيناً اترك البلد لأذهب إلى الاسكندرية تلازمى همومى وتمتنى من المذاكرة.

لا تظن أن والدى تعليم متوسط، إنه رجل متعلم تعليماً عالياً وموظف درجة أولى على المعاش منذ ثلاث سنوات. لقد فكرت أن أنتحر ولكن إيمانى منعى. ماذا أفعل فى هذا الجحيم الذى أعيش فيه؟

* * *

إن من يعيش فى الجحيم الحقيقى هو أبوك. أنت تشارك بنصيب المتفرج شهوراً قليلة من كل سنة، ولكن الذى يتقلب على جمر النار هو أبوك، وكل الوسوس التى يحترق فيها لا أصل لها بالطبع انها محض خياله وتصوراته. ولكن رجلاً هذا خياله وتصوراته.. هو رجل مسكين جدير بالإشفاق، والظاهر أنه تزوج فى خريف رجولته، وأنه لم يعد يجد فى نفسه الكفاءة التى كان يجدها فى شبابه فانعكس شعوره